كتاب بدء الأدب المسيحي الآبائي

القمص ثادرس يعقوب ملطى

المدخل في علم

الباترولوچي Patrology

١- بدء الأدب المسيحي الآبائي

الآباء الرسوليّون

القمص تادرس يعقوب ملطي

المحتويات

علم الباترولوچي

تتزايد أهميّة علم الباترولوچي في الدراسات اللاهوتيّة المعاصرة، لأن هذا العلم يبحث في حياة آباء الكنيسة الأولى وأقوالهم وكتاباتهم وأفكارهم اللاهوتيّة والروحيّة والمسكونيّة... الخ. فإن كان المسيحيّون اليوم يشتاقون نحو التعرّف على إيمان الكنيسة الأولى الجامعة وإدراك روحها وفكرها، فإن هذا هو عمل علم الباترولوچى، لأن قصّة الآباء إنّما هي قصّة حياة الكنيسة الأولى من كل جوانبها: التعبّديّة والكرازيّة والرعويّة والاجتماعيّة، قصّة الكنيسة الحيّة التي تحتضن بالحب الإلهي أولادها، وتواجه العالم الوثني لتدخل به إلى دائرة حب الله بالإيمان، كما تواجه الهراطقة وأصحاب الانقسامات لا لتحطيمهم بل لتحطيم ما هو شر فيهم، فنقتنيهم أبناءً لها، **بفكرٍ إنجيلي عملي**.

منهجنا في الدراسة

هذا العمل في حقيقته هو مجموعة من المذكرات المختصرة عن المحاضرات التي ألقيت على طلبة الكليّة الإكليركيّة واللاهوتيّة بالقاهرة والإسكندريّة منذ عام ١٩٧٤م، فيها أعطيت اهتمامًا للجانب العملي، أي ارتباط علم الباترولوچي بحياة الكنيسة

: إنجيلها ولاهوتيتها وتقليدها وتاريخها الحيّ وعملها الكرازي ووحدتها ونموّها المستمر. بمعنى آخر كانت المذكرات أشبه بعرض لحياة الكنيسة من خلال فكر الآباء. وإنني أرجو أن أضيف إلى هذه المذكرات عرضًا سريعًا لأهم آباء الكنيسة الأولى في الشرق والغرب، حتى يتذوّق القارئ عذوبة تراث الكنيسة الحيّ، لعلّه يشتاق إلى الرجوع إلى النصوص الأصيلة (الأصليّة)؟؟ ما استطاع أو ترجماتّها، فيحيا بالفكر الكنسي الأصيل، مختبرًا الجو المسيحي الأول.

في دراستنا لهذا العلم أجد نفسي أمام منهجين:

١. **المنهج العلمي**، وهو وليد عوامل كثيرة دفعت الغرب إليه. وقد أفاض هذا المنهج على العالم المسيحي بنشر نصوص الكثير من الآباء في شيء من الدقّة العلميّة مع ترجمات لها بلغات حديثة وتحقيقات علميّة وتحليلات وتعليقات لها أهميّتها في عصر اتّسم بالتفكير العلمي.

٢. **المنهج الروحي**، الذي اتّسمت به الكنيسة في الشرق، حيث يهتم بالدخول إلى أعماق النص، لا لمجرّد دراسته أو نقده أو تحليله وإنّما لقبوله كخبرة يعيشها المؤمنون، امتدادًا لعمل الروح القدس في حياة الكنيسة عبر الأجيال.

على أي الأحوال، لا أود أن أضع حدًا فاصلاً بين منهج غربي وآخر شرقي، وإنّما أقول إنّنا ككنيسة مسكونيّة واحدة لها مسيح واحد وغاية واحدة، يلزمها أن تعيش بفكرٍ رسولي آبائي واحد، هذا الفكر ينتفع بالمنهجين معًا؛ بكونهما عملاً واحدًا متكاملاً. فالدراسات العلميّة الغربيّة الخاصة بأقوال الآباء تقدّم لنا المادة الأصيلة المحقّقة علميًا. والمنهج الروحي يحوّل هذه المادة إلى حياة وخبرة تُعاش وتُمارس. فلا تقف الدراسات الآبائيّة عند حدود العرض والنقد

والتحليل والترجمة لماضٍ جامد، وإنّما تتحوّل إلى خبرة لقوّة الروح العامل بغير توقّف.

بمعنى آخر أن الكنيسة في الشرق – خاصة في مصر – إذ تحيا إلى يومنا هذا بالروح الإنجيلي الرسولي الآبائي الأصيل، فإنّها أقدر من غيرها على هضم الدراسات العلميّة التي قدّمها الغرب في هذا الشأن، وإخراجها بروحٍ رسولي حق ينتفع به العالم المسيحي كلّه.

إن ما يقدّمه الغرب من أعمال مجيدة في شأن الباترولوچي ليس بغريب عن كنيسة مصر، فإن علماء الباترولوچي أنفسهم يشهدون أن رمال مصر قد أغنت العالم المسيحي بالتراث الآبائي الذي حمله الغرب ولا يزال يحمله إلى متاحفه وجامعاته، والذي يعكف على دراسته والبحث فيه بغير توقّف. لكن بقي لنا أن نستعيدها من جديد لنعيد تقديمها لا بلغة العلم وحده بل وبلغة الروح أيضًا!

وإننا – في هذا المجال – لا نقدر أن نتجاهل بعض مجهودات لاهوتي الغرب في محاولة عودة الكنيسة الغربيّة إلى روحها الآبائي الأول، معتمدين في ذلك على تراث الآباء الشرقيّين والغربيّين، تراث الكنيسة المسكونيّة في القرون الأولى.

إني أحسب نفسي سعيدًا أن أدخل هذا الفردوس الآبائي، راجيًا عمل روح الله القدّوس في الكنيسة حتى يختبر كل منّا فكر الكنيسة التقليدي الروحي الحيّ!

أرجو أن أقدّم في هذا الكتاب خريطة عامة مبسطة تكشف عن حقل الآباء الدسم، لأجل بنيان كل نفس في المسيح يسوع، وتمتّع الكنيسة بروح آبائها، مردّدا ما قاله هنري باركل سويت Swete في مقدّمة كتابه: "دراسات آبائيّة" أنّه قد وضع كتابه ليسحب انتباه كهنة الكنيسة الشباب إلى حقل الحكمة الفسيح الذي ورثوه عن الكنيسة الأولى الجامعة[1].

[1] Patristic Study, Lognmans 1904.

الكتاب الأول – حول علم الباترولوچي

١. مفهوم علم الباترولوچى

٢. تاريخ علم الباترولوچى

٣. لغة الآباء ونصوص كتاباتهم

مفهوم علم الباترولوچى

موضوع علم الباترولوچي

كلمة "Patrologia" مأخوذة من الكلمة اللاتينيّة Pater أي "أب" فعلم الباترولوچي هو العلم الذي يبحث في حياة الآباء الأولين وأعمالهم (أقوالهم وكتاباتهم) وأفكارهم[١].

١. دراسة سيرة الآباء أو حياتهم أمر حيوي، يسندنا في تفهّم شخصياتهم ومعرفة الظروف المحيطة بهم، والتي من خلالها سجّلوا لنا كتاباتهم[٢].

٢. أما أعمالهم سواء كانت أقوالهم أو كتاباتهم أو رسائلهم فهي جزء لا يتجزّأ من تاريخ حياتهم. دور علم الباترولوچي هو التأكّد من أصالة هذه الأعمال بتحقيقها علميًا مع نشرّها وترجمتها إلى اللغات الحديثة الحيّة.

٣. أما الجانب الرئيسي في هذا العلم فهو الكشف عن فكر الآباء وعقائدهم وتعاليمهم، لا ببتر بعض فقرات من أعمالهم لتأكيد فكرة معيّنة أو عقيدة ما، بل بالحري بالدخول إلى روح الآباء والتعرّف على النقاط التي ركّز عليها كل أب، ودراسة آرائه على ضوء الصراعات المعاصرة له. يلزم دراسة تعاليم كل أب وشروحاته وتعليقاته على ضوء صوت الكنيسة الجامعة، بكونه عضوًا في الجسد الواحد.

بمعنى آخر، علم الباترولوچي ليس تعرّفا على الآباء وكتاباتهم فحسب وإنّما هو تفهّم عميق وحقيقي للحياة المسيحيّة والإيمان الجامع والتدبير الكنسي خلال آباء الشرق والغرب.

علم الباترولوچي ليس عرضًا مجرّدا لتاريخ الأدب المسيحي الأول، بل إدراك التعليم الكنسي والنسك المسيحي والعمل الكرازي والرعوي وتفهّم الوحدة المسيحيّة... الخ، كما عاشتها الكنيسة الأولى[٣].

من هم آباء الكنيسة؟

يلقَّب إبراهيم وإسحق ويعقوب بطاركة "آباء" إسرائيل[٤]، وكان اللقب الرسمي للكتبة في التقليد اليهودي هو "آباء".

وفي كنيسة العهد الجديد نسمع في استشهاد القدّيس بوليكاربوس جماعات اليهود والوثنيّين يصرخون: "هذا هو أب المسيحيّين"[٥]. وحين دافع القدّيس أثناسيوس عن استخدام تعبير (أمونسيوس) ذكر أن الآباء استخدموها، قاصدًا

[1] See F. Cayé: Patrologie et Histoire de la Theologie, Paris 1945, t. 1, p. ??

[2] Patrick J. Helell: Introduction to Patrology, 1968, p. 10.

[3] cf. B. Schmid: Manuel of Patrology, 1903, p. 19, 20.

[٤] انظر تك١: ٢٤ (الترجمة السبعينيّة)؛ خر٣: ١٣، ١٥؛ تث١: ٨؛ أع٣: ١٣؛ ٧: ٢، ١٢؛ رو٤: ١٣، ١٦؛ ٢بط٣: ٤.

[5] Marty. Polyc. 12:3.

بتعبير "الآباء" القدّيسين ديونسيوس السكندري وديونسيوس الروماني وغيرهما[٦].

ماذا نعني بكلمة "الآباء" في علم الباترولوچي؟

كان التعليم في الأصل عملاً أسقفيًا، أو قل عملاً أبويًا، إذ لم يكن التعليم في الكنيسة الأولى عرضًا لأفكار نظريّة أو عقائد فكريّة وفلسفات، لكنّه أولاً وقبل كل شيء هو تقديم خبرة حياة إيمانيّة يعيشها التلاميذ مع آبائهم؛ بهذا يمتزج التعليم بالتلمذة، أو بالأبوة الروحيّة، لهذا كان التعليم قاصرًا على الأساقفة والكهنة، والشمامسة الذين يُسمح لهم بذلك. لم يكن هذا بقصد احتكار التعليم ووقفه على جماعة معيّنة، وإنّما كان التعليم الإنجيلي الكنسي عملاً أبويًا، فيه يبذل الكاهن لا عصارة فكره وإنّما كل حياته من أجل الدخول بكل إنسان من فساد العالم إلى مجد أولاد الله. هذا ما عناه الرسول بولس بقوله: "أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (١كو ٤: ١٥).

❖ عندما يتعلّم إنسان من فم آخر يُقال عنه أنّه ابن ذاك الذي يعلّمه، ويُحسب الأخير أباه[٧].

القدّيس إيريناؤس

❖ الكلام ابن النفس، لهذا ندعو الذين يعلّموننا آباء لنا... ويُحسب الذي يتعلّم في خضوع الابن[٨].

القدّيس إكليمنضس السكندري

في علم الآباء لا يُحصر تعبير "آباء" على الأساقفة والكهنة والشمامسة الذين لهم تراث أدبي روحي أو لاهوتي، وإنّما يضم المدافعين عن الإيمان المسيحي في القرون الأولى، كما يضم الرهبان الذين هربوا من الكهنوت لكنّهم تلمذوا كثيرين بفكر نسكي إنجيلي.

يُشترط في الأب الآتي:

١. أن يكون له مقالات أو كتب أو رسائل أو أقوال سجّلها له أبناؤه الروحيّون أو بعض الرحالة خلال مناظرتهم معه.

٢. أن يكون أرثوذكسي – مستقيم – المعتقد، يعيش بروح الكنيسة في غير انحراف إيماني. لهذا غالبًا ما كانت كتابات الآباء تفتتح بالعبارة: "مقال أو رسالة لأبينا القدّيس... " تأكيدًا لأرثوذكسيّة واضع المقال[٩]؛ وكأن الأرثوذكسيّة والأبوة مع الحياة القدسيّة قد امتزج الكل معًا. هذا والكنيسة الأولى لا تؤمن بعصمة الآباء بصفتهم الشخصيّة، ولا تقبل آراءهم الذاتيّة، إنّما تعرفهم خلال عضويّتهم معًا في جسد المسيح الواحد، يحملون روح الكنيسة الجامعة.

[6] Athanasuis: Ep. ad Afros 6.

[7] Against Haer 4:41:2.

[8] Stromata 1:1:2.

[9] H. B. Swete: Patristic Study, Lonodn, 1904, p. 6.

هذا وتستفيد الكنيسة بتراث بعض الشخصيّات التي عُرفت بخصوبة إنتاجها مع ارتباطهم بالكنيسة، وإن كانوا قد سقطوا في بعض الانحرافات مثل العلاّمة ترتليان وتاتيان وأوريجينوس... الخ.

يعطي علم الباترولوچي اهتمامًا بكتابات الهراطقة أيضًا والكتب الأبوكريفا (المزوّرة) لنتفهّم جو الكنيسة الأولى، ونتعرّف كيف شهدت الكنيسة للحق بالرغم من مقاومة الهراطقة.

٣. قداسة الحياة: فنحن ندرس هذا العلم من أجل التمتّع بالحياة الكنسيّة الإنجيليّة الأصيلة، نتقبّل فكر الكنيسة الأولى خلال قدّيسيها الذين قدّموا حياتهم مع كتاباتهم سجّلاً حيًّا للشهادة للحق العملي.

٤. يضع بعض علماء الباترولوچي شرط "الزمن" بمعنى أن يكون الأب منتميًا إلى الكنيسة حتى زمن معين، حدّدها البعض بالقرن السادس وآخرون بالقرن الثامن، ويرى آخرون أن عصر الآباء ممتد ما دام روح الرب يرافق الكنيسة ويعمل فيها، لهذا لا ينقطع عنها آباء قدّيسون معلّمون[١٠].

٥. يضع الكاثوليك شرط القبول الكنسي للأب، لكننا بروح الكنيسة الأرثوذكسيّة لا تقوم الكنيسة بتقنين "اللاهوت ألآبائي" في كل كلمة، ولا تقدّم فهرسًا إلزاميًا عن الآباء وتراثهم، إنّما تكتفي في مجامعها بفرز الكتابات والآراء المنحرفة إيمانيًا وتحذر منها كما تحرّم الهراطقة من شركتها حتى يرجعوا عن ضلالهم؛ هذا والكنيسة تحدّد الآباء الذين يذكرون في "المجمع" سواء في القداس الإلهي أو التسبحة لتطلب صلّواتهم عنا.

سلطان الآباء

ما هو مدى التزامنا بما ورد في تراث الآباء؟

يمثّل الآباء القدّيسون فكر الكنيسة الجامعة الذي تسلّمته من الرسل بفعل الروح القدس الذي يعمل بلا انقطاع في حياة الكنيسة. يتحدّث عنهم **القدّيس أغسطينوس**، قائلاً: [تمسّكوا بما وجدوه في الكنيسة، عملوا بما تعلّموه، وما تسلّموه من الآباء أو دعوه في أيدي الأبناء[١١]] ، [من يحتقر الآباء القدّيسين إنّما يعرف أنّه يحتقر الكنيسة كلّها[١٢].]

يقوم هذا السلطان على عاملين: عامل طبيعي إذ اتّسم الآباء بالحياة القدسيّة والأمانة في استلام وديعة الإيمان الحيّ من أيدي الرسل لذلك هم أقدر على الشهادة للحياة الكنسيّة من كل جوانبها، خاصة واته يحملون الفكر الواحد، بالرغم من اختلاف الثقافات والمواهب والظروف، مع بُعد المسافات بين الكراسي الرسوليّة وصعوبة الاتصالات في ذلك الحين. والعامل الثاني إلهي حيث عاش الآباء منحصرين بالروح القدس قائد الكنيسة ومرشدها إلى كل الحق، يحفظها داخل دائرة صليب المسيح.

هذا لا يعني عصمة الآباء كأفراد وإنّما تعيش الكنيسة الجامعة ككل محفوظة بروح الرب.

كيف نستخدم كتابات الآباء؟

[10] Timothy Ware: The Orthodox Church, Maryland 1969, p. 212.

[11] St. Ausgustine: Contra Julian, II 9.

[12] Ibid 37.

١. لا يقدر أحد من الآباء بمفرده أن يتعرّف على "الحق" كلّه كما تعرِّفه الكنيسة في كليّتها، لهذا يليق بنا ألاَّ نقبل رأي أب ما بطريقة مطلقة بغير تحفّظ، إنّما يجب أن يكون رأيه إنجيليًا يحمل روح الكتاب المقدّس ومطابقًا لفكر الكنيسة الجامعة.

٢. يلزمنا ألاَّ نبتر بعض فقرات من تراث الآباء لتأكيد فكرة مسبّقة في أذهاننا... هذا يتطلّب دراسة شاملة جامعة للفكر الآبائي ولفكر كل أب مع مراعاة ظروف الكتابة حتى ندرك ما يعنيه الأب من كل عبارة.

٣. دراسة معاني بعض التعبيرات التي يستخدمها الأب، إذ توجد عبارات أو كلمات كانت تحمل مفاهيم فلسفيّة أو شعبيّة في ذلك الحين. توجد كلمات يستخدمها الأب بمعنى يناسب أفكار بعض الوثنيّين أو الهراطقة في ذلك الوقت، خاصة حين يكتب إلى فئة معيّنة للرد عليها أو لتوضيح الحق بلغتهم ومفاهيمهم الخاصة. هذا يستلزم منّا دراسة الفلسفات القديمة المعاصرة للآباء والهرطقات وأفكار الشعوب وأيضًا دراسة الحياة الكنسيّة ونموّها... الخ.

٤. يمكننا فهم بعض العبارات الصعبة الواردة في كتابات أحد الآباء بمقارنتها بما ورد في كتابات وأعمال الآباء المعاصرين له.

يجب التعرّف على تاريخ وضع العمل، وإدراك المرحلة التي كان فيها واضع هذا العمل، فما ينطق به أب في مرحلة ما يعني غير ما ينطق به في مرحلة أخرى من حياتهم، لاختلاف الظروف التي يعيش فيها الأب من مرحلة إلى أخرى.

احتل تراث الآباء مركزا مرموقًا في حياة الكنيسة وإيمانها، اعتمد عليه **القدّيس أثناسيوس** في دفاعه[١٣]، كما اعتمد **القدّيس باسيليوس** على كثير من التقاليد الكنسيّة خلال أقوال الآباء السابقين له.

تزايد هذا الاتجاه، إي الالتجاء إلى أقوال الآباء السابقين، في القرن الرابع، ونما جدًا في القرن الخامس[١٤]. **فالقدّيس كيرلس الإسكندري** كمثال، في كتاباته إلى الرهبان المصريّين[١٥] دفاعًا عن لقب القدّيسة مريم ثيؤتوكوس – لتأكيد أن المولود هو كلمة الله المتأنّس دون انفصال اللاهوت عن الناسوت – أشار إليهم أن يقتفوا آثار القدّيسين. إذ حفظوا الإيمان المسلم إليهم من الرسل، وعلّموا المسيحيّين باستقامة. مرّة أخرى يؤكّد أن التعليم الصحيح الخاص بالثالوث القدّوس قد وضح [بحكمة الآباء القدّيسين[١٦].] وفي حديثه ضدّ نسطور[١٧] التجأ إلى تعليم الكنيسة المقدّسة الممتدّة في كل العالم وإلى الآباء المكرّمين أنفسهم، معلنًا أن الروح القدس تحدّث فيه. ولتدعيم حديثه عن السيّد المسيح استند

[13] Athanasius: Ep. ad Afros 6.

[14] Kelly: Early Chrisian Doctrines, p. 48–49.

[15] Ad Monach PG 77:12,13.

[16] In Joan. evang. 4 11: PG 74:216.

[17] Adv. Nest. 4:2.

إلى بعض متقتطفات آبائيّة في كتاباتهم الجدليّة[١٨]، قدّمها إلى مجمع أفسس[١٩].

اهتمام الأقباط بكتابات الآباء

كان الأقباط منذ نشأة الكنيسة في مصر على صلة وثيقة بالفكر الآبائي للكنيسة الجامعة، فقد قاموا بترجمته إلى لغة الشعب حتى في صعيد مصر، والدليل على ذلك وجود مخطوطات قبطيّة قديمة لكتابات الآباء الرسوليّين، بكر الكتابات الآبائيّة، نذكر منها على سبيل المثال:

١. برديّة محفوظة في المكتبة الوطنيّة ببرلين تحوي ترجمة قبطيّة بلهجة إخميميّة لرسالة إكليمنضس الروماني إلى كورنثوس، ترجع إلى القرن الرابع، مأخوذة عن دير القدّيس ابنا شنودة بسوهاج "الدير الأبيض".

٢. برديّة من القرن السابع بستراسبورج تحوي مقتطفات من ترجمة لذات الرسالة السابقة.

٣. ترجمة قبطيّة لرسائل القدّيس أغناطيوس الأنطاكي؛ أشار إليها العالم Joseph Lightfoot في كتابه: "الآباء الرسوليّون"، وقام بنشرّها العالم چون بابتست بترا J.B.Petra توجد نسخ منها في المكتبة الأهليّة بفيّينا وبالمتحف البريطاني.

٤. مخطوطات لترجمة كتاب الراعي لهرماس بالقبطيّة الصعيديّة، قام بنشرّها العالم ديلابورت Delaport، ومخطوطات لترجمة نفس الكتاب اشتراها العالم Lefort من القاهرة مكتوبة على ورق الغزال.

هذه المخطوطات مع المخطوطات الأخرى القبطيّة التي تحمل ترجمة لنصوص الآباء تكتظ بها متاحف العالم ومكتباته العامة تؤكد مدى اهتمام الأقباط بفكر الآباء منذ عصر مبكر جدًا.

[18] De recta Fide ad regin; apol. contr. Orient PG 76:1212 For; 316.

[19] E. Shwartz: acta conciliorum oecumenicorum 1:1, 7:89 F.

تاريخ علم الباترولوچى

اللاهوتي اللوثري John Gerhard من رجال القرن السابع عشر هو أول من استخدم كلمة Patrologia كعنوان لعمله الذي نشرّه عام ١٦٥٣، إلاَّ أن فكرة نشر أقوال الآباء تمتد إلى القرون الأولى عينها، ويمكننا – إن جاز لنا ذلك – أن نقسم تاريخ علم الباترولوچي إلى عدة مراحل، وإن كانت هذه المراحل ليست محدّدة تمامًا.

١. بدء ظهور المسيحيّة

كانت أقوال الآباء في هذه الفترة تمثّل نصيبًا من التقليد الكنسي، يتقبّله كل جيل ويودعه لدى جيل آخر. وهكذا انتشرت أقوال الآباء لا لغرض دراسي ولا كهدف في ذاتّها، وإنّما كوديعة تحمل داخلها إيمان الكنيسة الحيّ.

بمعنى آخر، لم تكن أقوال الآباء وسيرهم ورسائلهم وفكرهم يمثّل تراثًا ثمينًا يودع في بطون الكتب أو يُحفظ في خزائن المتاحف والجامعات ليكون مادة لدراسات فلسفيّة نظريّة، إنّما كانت إنجيلاً عمليًا حيًّا تخطه الأجيال بالروح القدس، شهادة لديمومة عمل الله الخلاصي المستمر في كل جيل.

هكذا اعتزّ الآباء بتراث السابقين لهم لا بكونه أدبًا روحيًا لأجيال ماضية، وإنّما بكونه ممثلاً لحاضر حيّ وحياة واقعيّة صادقّة عاملة في الكنيسة.

لكن كيف حفظ هذا العصر أقوال الآباء وقام بنشرّها؟

١. أقوال الآباء وكتاباتهم بكونها جزءًا لا يتجزّأ من وديعة الإيمان التي تسلّمها لكي يسلّمها بغير انحراف. ونستطيع أن نُدرك حرص آباء الكنيسة الأولى على ذلك من قول **القدّيس غريغوريوس أسقف نيصص:** [يليق بنا أن نحفظ التقليد الذي تسلّمناه بالتتابع من الآباء ثابتًا بغير تغيّر]، وقول **القدّيس كيرلس الإسكندري:** [إنني محب للتعليم الصحيح، مقتفيًا آثار آبائي الروحيّة[١].]

أما كيف حفظ التقليد – الذي يحمل في طياتهم أقوال الآباء – فإن ذلك لم يتحقّق تسجيله بحبر وقلم، وإنّما أُودع في الكنيسة خلال روح التلمذة، حيث يتتلمذ كل جيل على آباء من الجيل السابق، لا ليُودعوهم أمورًا قديمة جامدة، وإنّما يسقونهم روح الإيمان الحيّ العملي. وظهرت التلمذة بصورتها القويّة في الحياة الرهبانيّة – سواء في الأديرة أو المغائر المتباعدة – حيث يعيش التلميذ (أو التلاميذ) مع أبيه، يأكل معه ويشرب ويتعبّد ويسهر ويجاهد ويعمل، ليقتبس روحه الإيماني العملي، كما ينصت إليه ويكشف له أفكاره الداخليّة، مسترشدًا بنصائحه. وبين الحين والآخر كثيرًا ما يقوم التلميذ بتسجيل ما يراه أو يسمعه من أبيه، كمذكرات يسترشد بها في حياتهم المقبلة... وجاء الكثير من هذه المذكرات تحمل إلينا تراث الكنيسة الأولى.

وفي دفعات كثيرة كان التلميذ عند نياحة أبيه يقوم بنسخ سيرة أبيه، وكل ما سمعه منه أو عنه لينتفع به هو واخوته.

[١] المؤلف: مفاهيم إيمانية (٢): الكنيسة والتقليد، ص٩.

ب. وفي الكنائس كان البعض يشغف بتسجيل عظات آبائهم اليوميّة أو الأسبوعيّة أو النصف أسبوعيّة، وجاءت هذه العظات كتفاسير وشروح للكتب المقدّسة أو لعلاج مواضيع روحيّة أو عقائديّة... الخ، مثل عظات القدّيس يوحنا الذهبي الفم، وعظات القدّيس أغسطينوس .

ج. امتدّت التلمذة – خاصة في مصر – فاحتضنت الكثير من رجال الشرق والغرب. فقد وفد إلى مصر كثير من القادة يتتلمذون على أيدي متوحّدي مصر أو داخل الأديرة أو بمدرسة الإسكندريّة، ويدوّنون أقوال الآباء وسيرهم وأفكارهم ويثبّتونها بلغاتهم من يونانيّة وسريانيّة ولاتينيّة.

نذكر على سبيل المثال **القدّيس يوحنا كاسيان** (حوالي ٣٦٠–٤٣٥م) الذي تتلمذ على آباء مصر العظام وسجّل خبراتهم في كتابين مشهورين: المناظرات Conferences مع آباء البريّة، وقد جعله بندكت كتاب القراءة اليوميّة للرهبان الخاضعين له، والمؤسّسات أو الدساتير Institutions حيث عالج قوانين الرهبنة وناقش كيفيّة نصرة الراهب في الحرب الروحيّة...

كما جاء المؤرّخ الرهباني المشهور "**بالاديوس**" (حوالي ٣٦٥–٤٢٥م) إلى مصر يتعرّف على حياة نساكها والتقى بالقدّيس ديديموس الضرير مدير مدرسة الإسكندريّة اللاهوتيّة أكثر من مرّة، وسجّل لنا الكثير من التراث الرهباني في كتابه "التاريخ اللوزياكي" أو "فردوس الآباء".

وسجّل لنا **روفينوس** Rufinus (حوالي ٣٤٥–٤١٠م) في كتابه "تاريخ الرهبنة (في مصر) هستوريا موناخوم" أحاديث عن آباء مصر الرهبان، وقد زار مصر عام ٣٧٢م والتقى بالقدّيسة ميلانيّا الكبيرة وزار رهبان البرّيّة. درس لعدة سنوات في مصر، متتلمذًا على يدي القدّيس ديديموس الضرير.

هذا وقد جذبت مدرسة الإسكندريّة الكثير من قادة الكنيسة في العالم فجاءوا إليها أو نقلوا إليهم تراثها يتتلمذون عليه. فالقدّيسان باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزي اعتبروا أوريجين المصري معلّمًا لهم، حتى جمعا مقتطفات من كتابه "المبادئ Principles" في مؤلف له أسماه "فيلوكاليا" أي حب الصلاح.

وبلغ شغف أوسابيوس أسقف فرسيل (بإيطاليا) بكتابات أوريجين أنّه لم يرى فلسفة حقيقيّة في غيرها.

ا. حفظ تراث الآباء عن طريق حركات الترجمة المستمرّة خاصة من اليونانيّة إلى اللاتينيّة أو السريانيّة أو الأثيوبيّة، نذكر منها على سبيل المثال ما حدث للتراث القبطي:

- ✞ كتاب "حياة أنطونيوس" بقلم أثناسيوس الرسولي.
- ✞ "أقوال الآباء المصريّين" التي نسخها بعض زوار مصر وحملوها إلى الخارج وتُرجمت إلى اللاتينيّة والأسبانيّة...
- ✞ قام روفينوس Rufinus بترجمة كتاب المبادئ للعلاّمة أورجين، وبعض كتبه في التفسير، وكتاب "المعارف" لإكليمنضس الإسكندري...
- ✞ نُقل الكثير من تراثنا إلى النوبة وترجم بعضه، حتى كان أهل النوبة يكتبون القبطيّة بجانب لغتهم النوبيّة بحروف قبطيّة.

- نُقل الكثير من تراثنا إلى الأثيوبيّة – بعد قبول أثيوبيا المسيحيّة – حتى إذ فُقد البعض من تراثنا وجدناه بالأثيوبيّة.

ب. خرج الكثير من الرهبان ومديرو مدرسة الإسكندريّة إلى العالم بروح الكرازة أو تأسيس أديرة في الخارج حاملين معهم بعضًا من تراثنا.

٢. ظهور مؤرّخين كنسيّين

يعتبر **يوسابيوس القيصري** (حوالي ٢٦٠–٣٤٠م) أبًا لعلم الباترولوچي ومؤسّسًا لفكر نشر أقوال الآباء وكتاباتهم[٢]، حيث أشار في كتابه "التاريخ الكنسي Ecclesiastical History" الذي نُشر عام ٣٢٦م: [هذا هو هدفي أن أكتب تقريرًا عن خلافات الرسل القدّيسين... وأن أشير إلى أولئك الذين – في كل جيل – نادوا بالكلمة الإلهيّة سواء كان شفاهًا أو كتابةً[٣].] وبالفعل قدّم يوسابيوس قائمة بكل الكُتَّاب وكتاباتهم حسب قدرته، كما سجّل لنا مقتطفات لأغلبهم، وبهذا اعتبر كتابه أهم مرجع لعلم الباترولوچي، خاصة وأن بعض الكتابات التي اقتطف منها فُقدت تمامًا. وبالرغم من كثرة أخطائه لكنّه لا يزال يعتبر المصدر الوحيد لبعض الكتَّاب المسيحيّين الأوائل.

لقد خلق هذا الكتاب "المؤرّخين الكنسيّين" في الشرق والغرب، إذ حاول كثيرون تكملة هذا العمل. نذكر منهم سقراط Socrates وسوزومين Sozomen وثيؤدرت Theodert الذين جاءت أعمالهم متقاربة إلى حدٍ ما، لكنّهم تجاهلوا الكنيسة الغربيّة اللهم إلاَّ فيما يخص عل اقتها بالكنيسة الشرقيّة. وفي الغرب قام روفينوس Rufinus بترجمة يوسابيوس إلى اللاتينيّة وأضاف إليه بعض الأحداث حتى عصر ثيؤدوسيوس الكبير سنة ٣٩٢م، غير أن إضافته ليست بذات قدر يذكر.

٣. ظهور كتاب "مشاهير الآباء" De Viris Illustribus

إن كان يوسابيوس بكتابه قد وجّه الأنظار إلى تاريخ الكتابات الكنسيّة، حيث قدّم عملاً ذات قيمة في هذا الشأن، فإن الكتاب التالي له في تاريخ كتابات الآباء وهو "مشاهير الرجال Illustrious Men" الذي جمعه **القدّيس چيروم** (حوالي ٣٤٣–٤٢٠م) في السنة الرابعة عشر من حكم ثيؤدوسيوس، أي عام ٣٩٣م، لطلبٍ صدّيقه Dexter. حيث أراد بعمله هذا أن يجيب على صيلسس Celsys وبروفري Prophyry ويوليان Juluan وغيرهم من الوثنيّين في اتّهاماتهم المستمرّة بأن المسيحيّين قليلوا الذكاء، فسجّل چيروم الكتَّاب الذين يعتزّ بهم الأدب المسيحي (حتى عام ٣٧٩م) في ١٣٥ فصلاً، حيث بدأ بالعصر الرسولي وانتهى بنفسه في السنة التي وضع فها هذا العمل، مقدّمًا في كل فصل عرضًا لسيرة الكاتب وتقييمًا لأعماله.

ربما أراد القدّيس چيروم أن يخدم الأدب المسيحي مظهرًا غنى التراث الأدبي المسيحي، مقتديًا بسيتونيوس

[2] J. Quasten: Patrology, vol 1.

The Oxford Dictionary of the Christian Church, 1974, p. 481.

[3] Eccl. Hist. 1:1:1.

Suetonius الذي نشر مجموعة دعاها "مشاهير الآباء" في حوالي عام ١٠٠م، لخدمة الأدب اللاتيني الكلاسيكي، تضم في اختصار حياة "مشاهير الكتاب اللاتين[٤]".

ويلاحظ في هذا الكتاب:

ا. اعتمد چيروم في الثمانية وسبعين فصلاً الأولى على تاريخ يوسابيوس اعتمادًا كبيرًا بالرغم من ذكره أنّه لم يعتمد على كتابات سابقة له. وقد ردّد نفس أخطائه، ومع هذا يعتبر عمله مصدرًا أساسيًا في المؤلفّات الكنسيّة الأولى، إذ هو المصدر الوحيد الذي بين أيدينا – إلى الآن – عن بعض الكتاب القدامى مثل مارقيوس فيلكس Marcuis Felix ونوفاتيان وترتليان وغيرهم.

ب. في مقدّمته حدّد چيروم مجال عمله وهو "أولئك الذين كتبوا عن الكتاب المقدّس"، لكنّه إذ بدأ عمله شمل الكتَّاب في الأمور اللاهوتيّة.

ج. ما أن نشعه حتى عبر **القدّيس أغسطينوس**[٥] عن أسفه أن چيروم لم يفصل بين الكتَّاب الأرثوذكس والهراطقة. فقد حمل بين المؤلفين أسماء هراطقة مثل تاتيان Tatian وبريسكيليان Priscilian و Basdesanes والأريوسي المتطرف أونوميوس وفلاسفة وثنيّين مثل سينيكا Seneca ويهودًا مثل فيلا الإسكندري ويوسيفوس.

د. يرى E. C. Richadson أن چيروم لم يقم بهذا العمل لأغراض علميّة بل لتحقيق أغراض عمليّة، لهذا قدّم تعريفًا مختصرًا عن بعض الكتَّاب غير المعروفين، وفي نفس الوقت جاءت كتاباته مقتضبة جدًا وتافة بالنسبة لبعض الكتَّاب المشهورين مثل القدّيسين أثناسيوس الرسولي وباسيليوس القيصري وكبريانوس وغريغوريوس أسقف نيصص وأبيفانيوس وأمبروسيوس.

هـ. تجاهل چيروم كتابات أغسطينوس التي ظهرت في ذلك الوقت، ولعلّ سرّ هذا اختلافهما في بعض وجهات النظر.

على أي الأحوال بقي كتاب چيروم خلال أكثر من ألف عام موضع اعتبار مؤرّخي المؤلفّات المسيحيّة الأولى في الغرب، ناظرين إليه كأساس لكل دراستهم، مشتاقين إلى تكميل هذا العمل، فقد قام Prosper Aquitanus صدّيق أغسطينوس بتكملة عمل چيروم حتى عام ٤٤٩م. إلاَّ أن عمل چيروم بقي مقترنًا بالتكملة التي قام بها جينياديوس Gennadius، وهو كاهن مرسيليا (تنيّح عام ٤٩٦م) الذي إتبع نفس الروح في كتابته، ويلاحظ عليه:

ا. عمل جينياديوس كما يقول Richadson ضئيل وغير منظم، فمعله ككل يعتبر أقل أهميّة من عمل چيروم، لكننا لا نقدر أن ننكر أن له إضافات غاية في الأهميّة، حتى يمكننا أن نحسبه جزءًا ثانيًا لعمل چيروم.

ب. شمل عمله ٩٩ فصلاً حيث استمرّ إلى عام ٤٩٥م، خاتمًا كتابه بفصل آخر عن كتاباته هو.

ج. كان جينياديوس نصف بيلاجي، وقد ظهر ذلك في انطباعاته على وصفه وتعليقاته بصورة أو أخرى، ومع

[4] J. N. D. Kelly: Jerome, 1975, p. 175.

[5] Ep. 40:9 written in 397.

ذلك فإنّه يُعتبر رجلاً واسع الإطلاع.

قام بعد جينياديوس كثيرون يقدّمون أعمالاً تحمل ذات المنهج، نذكر منهم ايسيذورس Isidore of Serville (تنيّح عام ٦٣٦) الذي أعطى اهتمامًا خاصًا بالكتّاب الأسبان[٦]، والأسقف Ildephonsus of Toledo (تنيّح عام ٦٦٧م).

وفي أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر قام مؤرّخ سيَر الآباء البندكيSigebert of Gembloux ببلچيكا بمحاولة جديدة لتقديم المؤلفّات المسيحيّة بصورة معاصرة لزماته، فعالج في كتابه De viris Illustribus الكتّاب المسيحيّين القدامى الذين جاءوا بعد چيروم وجينياديوس مباشرة، ونسق سيَر الآباء، ووضع ملاحظات على مؤلفّات اللاهوتيّين اللاتين في بدء العصور الوسطى، دون أن يشير إلى الآباء الشرقيّين.

وفي عام ١١٢٢م قام هونوريوس Honorius Ausgusodunum بعمل مشابه تحت اسم "الكنيسة المنيرة De Luminaribus Ecclesaie".

وحوالي عام ١٤٩٤م أمدنا الأب ترثيموس John Trithemius بسير ٩٦٣م من الآباء والكتاب مع تفصيل لكتاباته، منهم من هم غير لاهوتيّين. وقد تقبّل معلوماته عن الآباء الأولين من چيروم وجينياديوس.

كان ترثيموس أبًا لدير بندكتي في Sponheim، حصل على شهرة فائقة إذ جمع مكتبة من حوالي ٢٠٠٠ مجلّدا، وكان بعض النبلاء يزوّرونه لقراءة الآباء اليونان واللاتين[٧]. وقد احتضن الشماس Myraus هذا العمل وهذّبه. ثم جاء بعد ذلك الكاردينال R. Bellarmine الذي أعطى اهتمامًا خاصًا للأدب الكنسي القديم بطريقة عمليّة.

هذا عن الغرب، أمّا بالنسبة للشرق فقد قام البطريرك فوتيس Photius الذي تنيّح عام ٨٩١م (بطريرك القسطنطينيّة) بعمل مماثل تحت عنوان Photil Bibliotheca يمتاز بالدقّة كما يحوي أعمال بعض المؤلفين الوثنيّين.

أما في الكنيسة القبطيّة فبرز كتاب "السنكسار" الذي يركّز بالأكثر على سير القدّيسين، هذا مع قيام بعض المؤرّخين مثل يوحنا النقيوسي وغيره، كما اهتم الأقباط بنسخ كتابات الأولين...

[6] F. Arvalo: S. Isidore …, Rome 1797 to 1803, vol. 5, p. 138 – 178, PL 83 : 1018 – 1106: 96 : 195 – 206.

[٧] يذكر Questen وجود طبعة تشمل أغلب المؤلفين ومؤلفاتهم الكنسيّة من چيروم إلى ترثيموس (بالطبع تجاهل الكتاب الشرقيّين خاصة غير الخلقدونيين):

J. A. Fabricius: Biblotheca Ecclesiastics, Hamburg, 1718.

كما ذكر وجود عملين آخرين لمؤلفين كنسيّين هما:

L. S. Nain de Tillemont: Memoires pour server a Phistoure ecclesiastique des six premiers siècles, Paris 1693 – 1713.

R. Ceillier: Histoire generale des autears sacre’s et ecclesiastiques, Paris

وهو يقع في ٢٣ مجلدًا، يعالج الكتّاب المسيحيّين قبل ١٢٥م.

وفي القرن الخامس عشر قام في القسطنطينيّة نسيفورس كالستي بن كالستوس يلخص الأعمال السابقة لأسلافه ويضع تاريخًا للكنيسة منذ نشأتها حتى عام ٩١١م. استخدم كتابات يوسابيوس وأضاف سير بعض الرهبان، وقد عبر عبورًا سريعًا في حديثه عن الكنيسة اللاتينيّة بعد القرن الخامس الميلادي.

على أي الأحوال سنتعرّض – بمشيئة الله – في كل جيل من الأجيال لأهم الكتابات التي ظهرت فيه بأكثر تفصيل.

٤. مرحلة علميّة جديدة

انطلقت مرحلة جديدة في علم الباترولوچي في القرنين السادس عشر والسابع عشر بظهور أول تجمّعات للمؤلفّات الكنسيّة القديمة ونشرّها في طبعات ممتازة.

وجاء القرن التاسع عشر بفيض من الاكتشافات الجديدة في نصوص الآباء الشرقيّين، وبدأ ظهور إحساس بضرورة وجود طبعات مدروسة ومضبوطة علميًا. وقد افتتحت أكاديميات فيينّا وبرلين هذا العمل بطبع مجموعات محكمة للآباء الشرقيّين والغربيّين. كما قام الدارسون الفرنسيّون بنشر طبعات لأعظم مجموعتين للمؤلفّات المسيحيّة الكنسيّة الشرقيّة، وأنشأت كثير من جامعات الغرب كراسي خاصة بعلم الباترولوچي.

وكان من ثمر هذا كلّه أنّه بدأ يظهر في كنيسة الغرب، في القرن العشرين اتجاهًا لدراسة فكر الآباء ومفاهيمهم وإصطلاحاته وعقائدهم...

في هذه المرحلة العلميّة، صار على الكنيسة التزام بتنقية كتابات الآباء، حيث نُسبت بعض الأعمال إلى آباء عظام لكي يضمن واضعوها قبولاً وسرعة انشارها. كما نسب بعض النساخ أعمالاً إلى بعض الآباء مع أن هؤلاء الآباء لم يقوموا إلاّ بوضع جزء منه.

هذه التنقية تحتاج إلى التأكّد من أي عمل مشكوك فيه إن كان أصيلاً أم لا، بدراسته خلال ال اقتباسات التي وردت عن الأب خلال كتابات غيره من الآباء المعاصرين له أو اللاّحقين له، ودراسة أسلوب الكتابة وطريقتها. والتأكّد من انسجام العمل مع غيره من كتابات نفس الأب خاصة من جهة أفكاره اللاهوتيّة والروحيّة والاجتماعيّة. كما يحتاج الأمر إلى المقارنة بين المخطوطات المتباينة للعمل الواحد بلغات متعدّدة لتنقية ما أضافه أو حذفه المترجمون والنسّاخ... الخ.

نصيبنا في علم الباترولوچي

عندما يتحدّث الغربيّون عن تاريخ علم الباترولوچي وما توصلّوا إليه في أبحاثهم ودراساته ونشرّهم للنصوص الآبائيّة، يتطلّعون إلى كنيسة مصر وكرسي الإسكندريّة كينبوع حيّ يفيض على العالم المسيحي بالكثير من التراث الآبائي، نصوصًا وروحًا.

ففي أواخر العصور الوسطى وبداية العصر الحديث حمل علماء الغرب كنوز أديرتنا إلى متاحفهم وجامعاته، وصارت مادة أساسيّة في قيام علم الباترولوچي.

وإلى اليوم لا تزال مخطوطات مصر وأوراق البردي المصريّة تفتح آفاقًا جديدة في علم الباترولوچي، وكما قال

Quasten الأستاذ بجامعة أمريكا الكاثوليكيّة بواشنطون إنّنا **نشكر مصر التي قدّمت لنا الكثير من أوراق البردي تحمل إلينا مقالات كنّا مجرّد نسمع عنها في كتابات القدّيس إيريناؤس وغيره.** وقد ختم حديثه عن تاريخ علم الباترولوچي بقوله: [علاوة على هذا فإن أوراق البردي المصريّة المكتشفة حديثًا قد أعادت للدارسين أعمال آبائيّة مفقودة[٨].]

وما قاله Quasten ذكره بصورة أخري الأب Jungmann في كتابه The Early Liturgy عن بركات رمال مصر في الكشف عن الليتورچيات والكتابات الآبائيّة القديمة.

بقي لنا أن ندرك أن كنيسة الإسكندريّة – حسب شهادة الغرب ذاته – لا تزال تحيا بالروح الآبائيّة الأصيلة، تستطيع أن تنتفع بالأبحاث العلميّة التي قام بها الغرب في هذا المجال، بكونها دعوة لاسترجاع الكنيسة في المسكونة كلّها إلى فكرها الأول.

ظهور "علم الباترولوچي" وانتشار كتابات الآباء ما هو في الحقيقة إلاَّ نوعًا من "الحركة الأرثوذكسيّة" في بيئة غير أرثوذكسيّة، تحتاج منا إلى الاهتمام بها والانتفاع منها بطريقة روحيّة كرازيّة.

أقول مع الأب شميمان عميد معهد فِلاديمير للروس الأرثوذكس سابقًا أن ما كدّسته الحركات الغربيّة من مادة وخبرة في هذا المجال (الأبحاث الآبائيّة عن الأسرار) ليس بالغريب عنّا، إنّما له قيمته، إذ هو سند للاهوت الأرثوذكسي في إعلان أرثوذكسيّة الكنيسة في الغرب... ولكن هذا لا يعني قبولنا – بغير وعي – كل ما أثمره هذا الحقل في الغرب[٩].

[8] Quasten: Patrology, vol 1, p. 5.

[٩] راجع للمؤلف: المسيح في سرّ الأفخارستيا Christ in the Eucharist طبعة ١٩٧٣م، ص ٢١٧، ١٢٨.

لغة الآباء
ونصوص كتاباتهم

عند انتشار المسيحيّة كانت اللغة اليونانيّة هي اللغة السائدة في بلاد البحر الأبيض المتوسط، خلال القرون الأولى للإمبراطوريّة الرومانيّة. فقد غزت الثقافة الهيلينيّة العالم الروماني، حتى يصعب علينا أن نجد بلدًا في الغرب لم يستخدم اليونانيّة في التعامل اليومي. لهذا ننظر إلى اليونانيّة كلغة أساسيّة في كتابات الآباء.

لم يستخدم الآباء اليونانيّة الفصحى (Classical) التي كان الإغريق يستخدمونها في الكتابة والشعر وتدوين الحوادث التاريخيّة، وإنّما يستخدمون لغة دارجة (كويني Koine) والتي أصبحت من سنة ٣٠٠ق.م. حتى سنة ٥٠٠م اللغة الرسميّة للإمبراطوريّة الرومانيّة، ولغة الكتاب المقدّس، ولغة آباء الكنيسة الأولى[١]. وهي خليط بين الأدب الأثيني الفصيح والعاميّة.

لكن اليونانيّة أبطلت في الشرق وحلّت القبطيّة والسريانيّة والأرمنيّة، كما أبطلت في الغرب وحلّ محلّها اللاتينيّة.

لغة آباء مصر

كان بعض المصريون يفضلون الكتابة باليونانيّة بجانب المصريّة (الديموطيقيّة) لأسباب كثيرة نذكر منها[٢]:

١. سهولة اليونانيّة عن الديموطيقيّة.
٢. كانت اليونانيّة لغة الدولة الرسميّة، هذا استلزم تدوين الوثائق بها، سواء كان كاتبها يعرف اليونانيّة فيكتبها بنفسه أو يجهلها فيستخدم كاتبها لهذا الغرض.
٣. من الطبيعي كان الأهالي يقتبسون الكثير من لغة الحكام، حتى في تعاملهم اليومي.
٤. كانت اليونانيّة هي لغة المتعلّمين في البلاد الكبرى.
٥. كانت اليونانيّة هي لغة الكنيسة والمجامع المسكونيّة.

إلاَّ أنّه نبتت فكرة تدوين اللغة المصريّة بحروف يونانيّة مع الاستعانة ببعض الحروف الديموطيقيّة فخرجت اللغة القبطيّة كآخر تطورات اللغة المصريّة (الفرعونيّة)، وفي القرن الثاني قام العلاّمة بتنينوس بترجمة الكتاب المقدّس إلى القبطيّة بمساعدة تلاميذه وعلى رأسهم القدّيس إكليمنضس الإسكندري. وتُرجمت جميع المؤلفّات المصريّة إلى القبطيّة قبل القرن الخامس الميلادي.

ويلاحظ أن الأقباط لحرصهم على حفظ المعنى اللاهوتي لبعض المصطلحات استبقوها باليونانيّة حتى عند

[١] يس عبد المسيح: اللهجات القبطيّة وآثارها الأدبيّة – عن كتاب: صفحة من تاريخ القبط ص ٣٦.

[٢] كانت الكتابة باليونانيّة أما الوعظ فبالقبطيّة أو الديموطيقيّة، وذلك لأن كثير من العامة في القرى لا يعرفون اليّونانيّة. فالقدّيس أنبا أنطونيوس كان نفسه يجهل اليّونانيّة، وكان يتحدث مع زائريه بالقبطيّة.

كتابتهم بالقبطيّة. ويقول Warrell أن القبطي يستنكف ترجمة المصطلحات اللاهوتيّة[٣].

فعلى سبيل المثال عندما يذكرون "الروح القدس" لم يستخدم الأقباط كلمة (نيفي = روح) القبطيّة بل (بنفما = روح) اليونانيّة.

وإذ جاءت اللغة العربيّة بدأت تحل محل اللغة القبطيّة فقضت عليها، ثم عادت القبطيّة في الازدهار في القرن الثامن... وأخذت الكتابة القبطيّة منذ القرن الثاني عشر تظهر في نهرين بالقبطيّة والعربيّة[٤]. وفي القرن السادس عشر إنطفأ نور استعمالها كلغة للتكلم في الوجّه البحري، وبقيت حتى القرن السابع عشر لغة التكلم في الوجّه القبلي.

نستطيع القول أنّه في القرن الثالث عشر صارت اللغة العربيّة هي اللغة السائدة في المؤلفّات اللاهوتيّة والكنسيّة للقبط.

ويجدر بنا أن نذكر في هذا المجال أن الآباء الرهبان القبط عرفوا بالتقوى وإنكار فمالوا إلى الحياة أكثر من تدوينها، وجاء الكثير من أقوالهم الرهبانيّة عن طريق الوافدين إليهم من الشرق والغرب بلغات متعدّدة كاليونانيّة واللاتينيّة والسريانيّة.

نصوص كتابات الآباء

في القرن السادس عشر بدأ نشر كتابات الآباء أمّا كأعمال فرديّة للمؤلف أو كمجموعة كاملة؛ هذا العمل ازدهر جدًا في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

نشر Margueren de la Bigne (مات عام ١٥٨٩م) مجموعة أعمال لأكثر من ٢٠٠ كاتب في عمله Bibliotheca Sanctorum Patrum. أضيف إليها أعمال أخرى بالتدريج وقد صارت عام ١٦١٦م أربعة عشر مجلّدا باسم: Magna Bibliotheca Veterum Patrum ؛ أعيد طبعها في ليون عام ١٥٧٧م في ٢٧ مجلّدا باسم: Bibliotheca V. P. et antiq scriptorium ecclesiasticorum.

قام A. Galland (مات عام ١٧٧٩م) بنشر مجموعته في ١٤ مجلّدا بفينيس عام ١٧٦٥–١٧٨١، ١٧٨٨م باسم: Bibliotheca Vetrerum Patrum.

وتعتبر أعظم مجموعه كاملة – إلى حد ما – تلك التي قام بها الأب مني Abbe Migne في القرن التاسع عشر باسم Patrologiae Cursus Completus وهي عبارة عن إعادة طبع للنصوص السابق نشرّها في متناول يد اللاهوتيّين... وتعتبر هذه المجموعة في حقيقتها مجموعتان:

١. مجموعة الآباء اللاتين (P. L.) طبعة باريس ١٨٤٤–١٨٥٥م وتتكون من ٢٢١ مجلّدا تشمل ٤ مجلّدات

[3] Warrell: A Short Account of the Copts, Michigan, 1955.

[٤] جمعيّة مارمينا بالاسكندرية: صفحة من تاريخ القبط: الدكتور مراد كامل: القبط في ركب الحضارة العالميّة؛ يس عند المسيح: اللهجات القبطيّة وآثارها الأدبيّة.

فهارس.

٢. مجموعة الآباء الإغريق (P. G.) أي الكتابات اليونانيّة طبعة ١٨٥٧–١٨٦٦م وتتكون من ١٦١ مجلّدا، ورد بها ترجمة كاملة باللغة اللاتينيّة، وهي بغير فهارس.

وقد ترجم من هاتين المجموعتين إلى للغات الحديثة من ألمانيّة وفرنسيّة وإنجليزيّة.

توجد مجموعات تُعتبر ملحقًا لمجموعتيّ منّي Minge أو مراجعة لها:

١. Die Griechischen Christlichen Schrifsteller Der ersten drei Jahrjymderte (كتّاب القرون الثلاثة الأولى اليونان المسيحيّين) قام بنشرّها أكاديميّة برلين عام ١٨٩٧م مع مقدّمات وفهارس ألمانيّة، وقد بلغ عددها ٤١ مجلّدا.

٢. Corpus Scriptorum ecclesiasticorum Latinorum قام بنشرّها أكاديميّة فيّينا منذ عام ١٨٦٦م، وقد نشرت ٧٠ مجلّدا.

٣. Bibliotheca Teubneriana, Leibzig تشمل الكثير من الكتابات.

٤. The Loeb Classical Libaray قام بنشرّها Page وCapps وRouse بلندن – نيويورك، وهي تشمل الكثير من المؤلفين المسيحيّين اليونان واللاتين.

٥. Corpus scriptorium Christianorum Orientalium قام بنشرّها Chabot Forget وGuidi وHyvernat وCarra نشرت بفرنسا منذ عام ١٩٠٣م وهي تشمل ٤ مجموعات: سريانيّة وقبطيّة وعربيّة وأثيوبيّة، بلغ عدد مجلّداتها ٢٢٨ مجلّدا.

٦. Patrologia Orientals قام بنشرّها Nau, Graffin بباريس منذ ١٩٠٧م في ٢٨ مجلّدا.

٧. Patrologia Syriaca قام بنشرّها Graffin بباريس ١٨٩٤–١٩٢٦م في ٣ مجلّدات.

٨. Sources Chrétiennes يقوم بنشرّها Lubac وDaniélou بباريس منذ ١٩٤١م.

٩. Stromata patristica et mediavalia يقوم بنشرّها Mohrmann وQuasten منذ عام ١٩٥٠م.

أهم الترجمات

الإنجليزيّة

١. Library of the Fathers قام بتحريرها Newman, Keble, Pausey، بأكسفورد ١٨٣٨–١٨٨٨م في ٤٥ مجلّدا.

٢. The Anti-Nicene Christian Library تشمل ترجمة لأقوال الآباء قبل عام ٣٢٥م قام بتحريرها Donaldson, Roberts بأدنبرج ١٨٦٦م، ١٨٩٧م في ٢٤ مجلّدا ومجلّد إضافي قام بوضعه Menzies بأدنبرج عام ١٩٨٧م.

٣. The Ante-Nicene Fathers وهي إعادة طبع للمجموعة السابقة قام بمراجعتها ووضع مقدّمات وتعليقات مع عرض لسير الآباء A. Clevland Coxe، وقد جاءت في ٨ مجلّدات. والمجلّد الإضافي الذي لـ Menzines (مجلّد ٩) يشمل مختصر للبيليوغرافي (بيان بمؤلفّات الكاتب ومطبوعاته) وفهرست عام للمجلّدات السابقة، ومجلّد آخر (١٠) يشمل بعض إضافات للكتابات الخاصة بآباء ما قبل نيقيّة المكتشفة حديثًا، كما تشمل بعض كتابات للعلاّمة أوريجين مثل رسالته للقدّيس غريغوريوس، وتفسيره لإنجيل يوحنا وإنجيل متى.

وتعتبر هذه المجموعة والمجموعة التالية أكثر المجموعات انتشارًا خاصة في مصر.

٤. A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of the Chiristian Church قام بوضعها Schaff وWace بنيويورك ١٨٨٦–١٩٠٠م في ٢٨ مجلّدا وهي في حقيقتها مجموعتان:

(أ) المجموعة الأولى تشمل ٨ مجلّدات للقدّيس أغسطينوس، ٦ مجلّدات للقدّيس يوحنا ذهبي الفم.

(ب) المجموعة الثانية (١٤ مجلّدا) اهتمت بالأكثر بالكتب التاريخيّة المسيحيّة الأولى مثل كتابات يوسابيوس وسقراط وثيودورث وچيروم، كما قدّمت مجموعة لكتابات آباء شرقيّين وغربيّين.

٥. Fathers of the Church قام بوضعها F. W. Wright بلندن عام ١٩٢٨م، وهي مختارات من كتابات الآباء اللاتين.

٦. Translations of Christian Literature قام بوضعها Sparaw-Simpson وLowther Clark. وقد قام بنشر هذا التجميع (S.P.C.K) بلندن منذ عام ١٩١٧م، وهي تشمل مجموعات:

ا. نصوص يونانيّة.

ب. نصوص لاتينيّة.

ج. نصوص ليتورچيّة.

د. نصوص شرقيّة.

قام بتحريرها Quasten وPlumpe، وستمنستر منذ ١٩٤٦م.

٧. The Fathers of the Church يقوم بنشرّها الجامعة الكاثوليكيّة الأمريكيّة بواشنطن منذ ١٩٤٧م، بواسطة Schopp.

وهي من المجموعات المنتشرة أيضًا في مصر، صدر منها حتى عام ١٩٦٩م، ٦٣ مجلّدا وينتظر أن تبلغ مجلّدإنّها فوق ال ١٠٠ مجلّدا.

الفرنسيّة

١. Les Péres de l’Eglise بواسطة Genoude – فرنسا ١٨٣٥–١٨٤٩م في ١٠ مجلّدات.

٢. Biblioteque choisie des pérese de l’Eglise بواسطة Ghuilon، باريس ١٨٢٨م، في ٣٦ مجلّدا، أعيد طبعها في براسيل ١٩٢٨ – ١٩٣٤م في ٢٧ مجلّدا.

٣. Chefs-d’Oeuvre des Péres de l’Eglise باريس سنة ١٨٣٧م في ١٥ مجلّدا.

٤. Textes et documents pour l’etude historique du Chirstianisme بواسطة Hemmer وLejay. باريس ١٩٠٤–١٩١٢م، في ٣٠ مجلّدا تشمل نصوصًا وترجمات.

٥. Bibliothéque patristique de spiritualitée منذ عام ١٩٣٢م.

٦. Moralistes Chrétiens تشمل نصوص وتعليقات، باريس ١٩٢٤–١٩٣٢م في ١٣ مجلّدا.

٧. Source Chretiennes تشمل نصوص وترجمات.

٨. Les Grands écrivains chrétiens ليّون – باريس منذ ١٩٤٢م.

لغات أخرى

توجد مجموعات أيضًا لترجمة كتابات الآباء بالألمانيّة والإيطاليّة والأسبانيّة والهولنديّة والبولنديّة والنرويجيّة.

وفي لبنان بدأت تظهر أكثر من مجموعة لترجمة عربيّة ناشئة. أمّا في مصر فأغلب الترجمات ليست لأهداف علميّة أكاديميّة، وإنّما وُضعت بهدف عملي روحي... لذلك كثيرًا ما تُختصر الترجمة وتُبوَّب وتوضع لها عناوين ومقدّمات روحيّة بقصد الدخول في الفكر الآبائي، مثل مجموعة "الآباء الأوّلون" التي تقوم كنيسة مارجرجس بإسبورتنج بنشرّها.

إنّنا نود في القريب العاجل أن يقوم بعض المتخصّصون بالترجمة العلميّة الدقيقة لنصوص الآباء ونشرّها جنبًا إلى جنب مع الترجمات العمليّة (العلميّة؟؟) الشعبيّة. ويقوم مركز الدراسات الآبائيّة بالقاهرة بمجهود طيب في هذا المجال حاليًا.

المؤتمرّات الآبائيّة

تعقد مؤتمرّات دوليّة للدراسات الآبائيّة في أكسفورد كل أربع سنوات ابتداء من عام ١٩٥١م، حيث يجتمع دارسون في الآباء من كل الطوائف من أنحاء العالم المختلفة لتبادل الخبرات والدراسات.

المخطوطات القبطيّة

منذ القرن السابع عشر بدأت دراسات في اللغة القبطيّة في أوربا، فتبيّن للعلماء عظمة التراث القبطي وما تحويه المخطوطات القبطيّة من كنوز، ممّا حثّ البعثات الأجنبيّة على زيارة مصر لنقل هذه المخطوطات من الأديرة والكنائس إلى المتاحف والمكتبات العامة الأجنبيّة، ففقدنا ثروتنا الأدبيّة.

يذكر لنا **الشماس يوسف حبيب**[٥] وغيره أمثله لما كانت عليه مكتبات أديرتنا وكنائسنا وما وصلت إليه على أيدي هذه

[٥] يوسف حبيب: تاريخ كنسي، ١٩٧٤م، مذكرات الكليّة الإكليركيّة بالإسكندريّة، ص ١٣–١٦.

البعثات:

١. قال أجيديوس لوكينسيس لبيرسك أحد هواة الكتب بباريس بعد عودته من زيارته لمصر عام ١٦٢٣ بأنّه وجد كتبًا نادرة في كثير من الأديرة، خاصة في أحد الأديرة حيث تضم مكتبتها ثمانية آلاف مخطوطًا ترجع إلى العصر الأنطوني – يقصد دير السريان.

٢. شجّع هذا الوصف الكثير على ارتياد الأديرة ل اقتناص المخطوطات ففي السنة التالية جاء اجائنج دي فان دوم ليقتني نسخة من الإنجيل بست لغات.

٣. زار روبرت هنتجتون الأديرة عام ١٦٨٢–١٦٨٣م، ورأى بعض الكتب الهامة في دير أبي مقار وحصل على نسخة من الأناجيل وبعض الكتب الهامة.

٤. في القرن الثامن أوفد الفاتيكان – عام ١٧٠٧م – إلياس السمعاني أمين مكتبة حيث عاد يحمل مجموعة من المخطوطات السريانيّة. ثم جاء بعده ابن عمه يوسف السمعاني ليحصل على بعض المخطوطات السريانيّة والقبطيّة من دير ابنا مقار.

٥. حمل J. S. Assemani عام ١٧١٥م مجموعة ضخمة من المخطوطات من مكتبة دير أبي مقار، وهي عبارة عن إحدى عشر مجموعة كبيرة بالإضافة إلى أجزاء أخرى كثيرة، موجودة حاليًا بمكتبة الفاتيكان.

٦. استطاع أندريوس عام ١٧٩٩م أن يأخذ بعض المخطوطات المسطّرة على ورق كتّان من أحد الأديرة.

٧. توافد سيل من الرحّالة في القرن التاسع عشر على الأديرة يستخدمون كل حيلة ل اقتناء المخطوطات، من بينهم:

ا. دروفتي عام ١٨١٨م حصل على نسخة من المزامير وغيرها.

ب. روبرت كرزون عام ١٨٣٧م يفتخر أنّه حصل على بعض الكتب النفيسة.

ج. هنري عام ١٨٣٩م يحصل على نصيب وافر من المخطوطات (حاليًا بمكتبة رايلندز منشستر).

ا. في عام ١٨٤٤م مرّ Constantine Tishendorf على جميع الأديرة ليجمع ممّا تبقى (حاليًا بمكتبتيّ جامعة ليبزج وكمبردج).

ب. رفض رهبان دير أبي مقار السماح لحلانفل سستر أن يزور القصر الذي به الكتب ذلك لأنّه قبل زيارته بقليل حضر أحد الفرنسيّين يحدى فورتن أم الذي تسلّل في إحدى الليالي إلى المخطوطات وحملها إلى الأسوار حيث ألقى بها إلى البدو المرافقين له ليتسلّمها منهم عند خروجّه.

ج. خُرب دير ابنا أنطونيوس وابنا بولا في القرن الخامس عشر وبقيا مهجورين حوالي ٨٠ عامًا حيث ضاع الكثير من المخطوطات، ومع ذلك حمل يوسف السمعاني بعض المخطوطات من دير ابنا أنطونيوس إلى الفاتيكان...

٨. وجدت مجموعات من الكتب في القرن التاسع عشر بالدير الأبيض القريب من سوهاج، استولى المتحف البريطاني على جزء منه بينما نالت المكتبة الأهليّة بباريس النصيب الأكبر منها.

٩. اشترى الثري الأمريكي بيرينت مرجان ٥٦ مخطوطة من المجموعة التي اكتشفت عام ١٩١٠م في دير الحاملولي في الفيوم.

لم يبق في مصر بعد هذا كلّه إلاَّ بعض المخطوطات التي لا زال بعضها في الأديرة والكنائس. والذي نقل البعض الآخر إلى الدار البطريركيّة والمتحف القبطي.

قام بعض العلماء في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بنشر القليل من المخطوطات التي نقلت إلى الخارج في المجلات العلميّة والأثريّة وفي الكتب وترجمة بعضها، مثل بدج Budge واميلينوا Ameleniu وزويجا Zoega وكرم Crum.

الكتاب الثاني

الإطار العام لكتابات الآباء

تصنيف كتابات الآباء

الخط العام للتراث الآبائي

تصنيف
كتابات الآباء

يمكن تصنيف كتابات، خاصة في القرون الخمسة الأولى، على **أساس زمني**، فيرى البعض أن أول مجمع مسكوني (٣٢٥م) مع تحوّل الإمبراطوريّة الرومانيّة إلى المسيحيّة يُعتبر خطًا فاصلاً بين نوعين من الآباء من جهة كتاباته وتراثهم:

١. آباء ما قبل نيقيّة، يتسم تراثهم بالبساطة الشديدة.
٢. آباء ما بعد نيقيّة

كما يمكن تقسيم كتابات الآباء على **أساس اللغة** التي كتبوا بها:

١. آباء يونان (شرقيّون) حيث كتب غالبيّة الآباء الشرقيّون باللغة اليونانيّة بجانب كتابات البعض بلغاته القوميّة كالقبطيّة والسريانيّة والأرمنيّة.
٢. آباء لاتين (غربيّون).

ويقسم البعض الكتابات حسب **المناطق**:

١. كتابات آباء مصر، خاصة مدرسة الإسكندريّة وآباء البريّة.
٢. الآباء الأنطاكيون.
٣. الآباء الكبادوك.
٤. الآباء اللاتين.

كل مجموعة تحمل فكرًا خاصًا واهتمامات خاصة تناسب الظروف المحيطة بها، لذا جاءت كتابات كل منها إلى حد ما لها طابعها الخاص.

أحيانًا يقوم التقسيم حسب **مادة الكتابة:**

١. كتابات دفاعيّة.
٢. تفسير للكتاب المقدّس.
٣. عظات ومقالات.
٤. رسائل.
٥. ليتورچيات كنسيّة.
٦. كتابات شعريّة وتسابيح.
٧. حوار أو ديالوج.
٨. نسكيّات.
٩. قوانين كنسيّة.
١٠. كتابات تاريخيّة.

يميل بعض الدارسين إلى وضع تقسيم يمثّل مزجًا بين التصنيفات السابقة.

١

[1] H. B. Swete: Longmans 1904, p. 8.

الخط العام
للتراث الآبائي

يمكننا تقديم التراث الآبائي في مراحل خمس مسترشدين في ذلك بالتقسيم الذي اتبعه العالم كواستن J. Quasten بشيء من التعديل:

١. بدء الأدب المسيحي الآبائي

يضم هذا القسم **كتابات الآباء الرسوليّين** في القرن الأول وبداية الثاني بكونها بدء انطلاق للتراث خلال من تتلمذوا على يديّ الرسل وسمعوهم.

كما يض أيضًا بدء **القوانين الرسوليّة** والشكل الليتورچي حيث كانت كنيسة العهد الجديد تحتاج إلى هذا النظام لتمارس حياتهما التعبّديّة ووجود دستور لسلوكها.

فرزت الكنيسة الكتب **الأبوكريفا** عن الأناجيل وبقيّة أسفار العهد الجديد القانونيّة.

نظم المسيحيّون الأوائل **شعرًا للتسبيح** للتعبير عن مشاعر حبّهم لله مخلّصهم.

إذ عانت الكنيسة من الاضطهاد منذ بدء انطلاقها كتب بعض أبنائها سير الشهداء، فظهرت أول **أعمال الشهداء**.

واجهت الكنيسة أيضًا مقاومة فكريّة من الوثنيّين والهراطقة فظهرت أعمال **المدافعين** Apologists، كما ظهرت كتابات **للرد على الهرطقات**.

٢. كتابات ما بعد إيريناؤس إلى ما قبل مجمع نيقيّة (٣٢٥ م)

إذ كان في الإسكندريّة أكبر مركز هيليني فلسفي – مدرسه الإسكندريّة الفلسفيّة – التزمت الكنيسة منذ عهد القدّيس مرقس الرسول بإنشاء مدرسة مسيحيّة قادرة على مواجهة التيار الهيليني القوي، فظهرت **مدرسة الإسكندريّة** بآبائها الذين لمعت أسماؤهم في الشرق والغرب، وجاء إليهم قادة يتتلمذون على أيديهم، يتشرّبون التفسير الرمزي للكتاب المقدّس والفكر اللاهوتي مع حياة نسكيّة.

من جانب آخر ظهر آباء **آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين**، ونشأت مدرسة أنطاكية التي تبنت التفسير الحرفي للكتاب المقدّس كمقابل لمدرسة الإسكندريّة التي عُرفت بالتفسير الرمزي، كما ظهرت مدرسة قيصريّة.

بدأ **الأدب اللاتيني المسيحي** على يدي مينوسيوس فيلكس وهيبوليتس الروماني ونوفاتيان ولرسائل أساقفة روما.

ومن الشخصيّات **الأفارقة** المسيحيّة ترتليان والقدّيس كبريانوس وأرنوبيوس ولاكتانتيوس...

٣. العصر الذهبي والآباء الشرقيّون

تعتبر فترة ما بين مجمع نيقيّة سنة ٣٢٥م ومجمع خلقيدون سنة ٤٥١م العصر الذهبي للكتابات الآبائيّة الشرقيّة.

ففي **مصر** ظهرت كتابات القدّيسين البابا الكسندروس الذي واجه أريوس المبتدع، والبابا أثناسيوس الرسولي،

وسيرابيوس أسقف تيمي، وديديموس الضرير، والبابا ثاوفيلس، والبابا كيرلس الكبير... الخ.

كما ظهرت كتابات **مؤسّسي الحركة الرهبانيّة** في مصر (وكتابات الذين جاءوا إلى مصر ليمارسوا الحياة الرهبانيّة ويسجّلوا أقوال آباء البريّة في مصر) مثل القدّيسين ابنا أنطونيوس الكبير وأمونيوس وباخوميوس أب الشركة وهوريسيوس وثيؤدور (تاردس) ومقاريوس المصري وأغريس من بنطس وبالاديوس واسيذوروس بالبلسم وشنودة بأتريب.

وفي **آسيا الصغرى** نجد يوسابيوس النيقوميدي وثيؤجنيس من نيقيّة وأوستيروس السوفسطائي ومارسيلليوس بأنقرة وباسليوس بأنقرة.

كما ظهر **آباء الكبادوك العظام** مثل القدّيسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزي وغريغوريوس أسقف نيصص وأمفيلوخيوس أسقف ايقونيم وأوستيروس من أماسيا.

وفي **أنطاكية وسوريا** أوستاثيوس الأنطاكي وأتيوس الأنطاكي وأونوميسوس من Cyzicus ويوسابيوس القيصري وجلاسيوس القيصري ويوسابيوس من أميسا.

وظهر أيضًا كيرلس الأورشليمي وأبوليناريوس من لادوكيا وأبيفانيوس أسقف سلاميس وديؤدور الطرسوسي وثيؤودور من الميصة يوحنا الذهبي الفم وأكاكيوس من Beroea وأنتيخوس من بتللاميس وسيفريان من جبالة ومقاريوس ماجنيس وهستخيوس الأورشليمي ونيلس من أنقرة ومرقس الناسك وبروكليس من القسطنطينيّة وباسيليوس من سيليكيا.

ظهر أيضًا **المؤرّخون الكنسيّون** مثل فيليب Philip Sidetes وسقراط وسوزومين وثيؤدورت أسقف قورش.

٤. آباء الغرب في القرنين الرابع والخامس

أشهرهم القدّيسون هيلاري أسقف بواتييه وأمبروسيوس أسقف ميلان وأغسطينوس أسقف هيبو وچيروم ورفينوس ويوحنا كاسيان...

٥. كتابات ما بعد مجمع خلقيدون

إذ عزل مجمع خلقيدون الشرق عن الغرب إلى حد ما اهتمت الكنائس اللاخلقيدونيّة بالكتابة عن طبيعة السيّد المسيح، وقد برز قادة عظماء في ذلك. يقول **ميندورف:** [خلال النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس، قد ساد عظماء اللاهوتيّين (المونوفزيت)[1] على المسرح وهم تيموثاوس أوليروس وفيلكسينوس أسقف Mabbug، وعلى وجّه الخصوص سويرس الأنطاكي، ولم يكن لدى الخلقيدونيّين لاهوتي واحد بارز يقف أمامهم[2].]

بعد دخول العرب مصر وبقيّة منطقة الشرق الأوسط تحوّل اهتمام الكتاب الشرقيّين إلى الحوار وجاءت القرون ١١–

[1] لم يكونوا "مونوفزيت" بل ميافزيت" لأن الطبيعة الواحدة عن اللاخلقيدونيين ليست طبيعة منفردة Single بل الطبيعة واحدة من طبيعتين، لذا لا تدعى monophysite بل Miaphysite كتعبير القدّيس كيرلس الكبير.

[2] J. Meydorff: Christ in the Eastern Christian Thought, 1969, p. 24.

١٣ غنيّة بالميراث المسيحي المصري في ذلك المجال. أمّا الكنائس الخلقيدونيّة فواجهت مشاكل من نوع آخر مثل محاربة الأيقونات ثم انبثاق الروح القدس... الخ.

الكتاب الثالث

بدء الأدب المسيحي الآبائي

الفصل الأول

====كتابات الآباء الرسوليّين

- الآباء الرسوليّون
- القدّيس إكليمنضس الروماني
- القدّيس أغناطيوس الروماني
- القدّيس بوليكاربوس
- رسالة برناباس
- الراعي لهرماس
- الرسالة إلى ديوجين
- دفاع كوادراتس
- الديداكيّة

الآباء الرسوليّون

The Apostolic Fathers

مضي الجيل الأول المعاصر للسيّد المسيح الشهود العيان له، وتتلمذ كثيرون على أيدي رسله وتلاميذه، ولم تعد الكنيسة محصورة في بقعة ما بل انطلقت في العالم تخمره بخميرة الحق وتلهبه بنيران الحب الإلهي، ووُجدت كنائس محليّة كثيرة في الشرق والغرب، لها إيمان واحد، ورجاء واحد، وحب واحد، صلّوات واحدة ومفاهيم واحدة ليتورچيّات وطقوس ذات هيكل واحد... حتى يحق لنا أن نقول إنّها ليست كنائس كثيرة بل كنيسة المسيح الواحدة الرسوليّة.

إن كانت هذه الكتابات الآباء الرسوليّين ليست إلاَّ براعم الربيع الصغيرة، لكنها حيّة تحمل روح الكنيسة الواحدة، تكشف لنا ما تحمله من أوراق وزهور وثمار حملتها شجرة الكنيسة عبر الأجيال[1].

لقد حملت إلينا صدى أصيلاً لكرازة الرسل، وإعلانًا حقًا لبساطة إنجيل الخلاص، وصورة صادقّة للتقليد الكنسي في تلك الفترة الفريدة[2].

قدّمت لنا الإيمان الذي تقبّله هؤلاء الآباء الرسوليّين خلال اتصالهم المباشر للرسل أو تسلّموه عن طريق تلاميذهم[3].

أما تسميّتهم بالآباء الرسوليّين فترجع إلى الدارس الفرنسي Jean B. Coterlier من رجال القرن السابع عشر، الذي قام بنشر مجلّديه تحت اسم Patres aevi apostolici عام ١٦٧٢، واللذين شملا مجموعة الكتابات التالية:

١. الرسالة المنسوبة لبرناباس.
٢. كتاب "الراعي" لهرماس.
٣. رسالتان: إحداهما لأكلمنضس الروماني والأخرى منسوبة له.
٤. رسائل أغناطيوس السبع.
٥. رسالة لبوليكاربوس، ومقال عن استشهاده.

في عام ١٧٦٥ أضاف إليها Andres Gallandi في مجموعتهBibliotheca Veterum Patrum الأعمال التالية:

٦. رسالة إلى ديوجينيتس Diognetius لا يُعرف كاتبها.
٧. مقتطفات لبابياس وQuadratus

[1] of. Chrétiens de tous les temps (1): Les écrits des Péres Apostoliques, Paris 1968.

[2] Maxwell Staniforth: Early Christian Fathers, 1963.

[3] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 40.

٨. وفي عام ١٨٧٣ اكتشفت "الديداكيّة Didache" أو "تعليم الرب للأمم كما نقله الإثنا عشر رسولاً" أضيفت إلى الكتابات الرسوليّة.

وأخيرًا فإن بعض الدارسين رأوا إضافة ما يسمى ب "قانون إنّما للرسل The Apostolic Creed" إلى مجموعة الكتابات الرسوليّة، لكن الغالبيّة لم يقبلوا ذلك.

سمات كتابات الآباء الرسوليّين

١. جاءت أغلب هذه الكتابات أشبه برسائل، لكنها في الحقيقة لا تمثّل "**وحدة في الطبع**".

فالرسالة الأولى لإكليمنضس، غرضها معالجة موضوع النزاع (والشقاق) الذي ساد في كنيسة كورنثوس؛ أمّا الرسالة الثانية المنسوبة له فهي عظة وليست رسالة.

ورسالة برناباس أشبه بمقالات لاهوتيّة بسيطة تعالج الربط بين العهد القديم والمسيحيّة.

والرسالة إلى ديوجنيتس ليست إلاَّ مقالاً يُقدّم مختصرًا للمسيحيّة.

وكتاب الراعي لهرماس هو مجموعة من الرؤى والوصايا تعالج موضوع التوبة بعد المعموديّة.

والديداكيّة هي أشبه بدلال كنسي.

ومقتطفات بابياس في جوهرها تعليقات على بعض منطوقات السيّد المسيح، في عرض لطيف للتقليد الشفهي.

أما عمل Quadratus فهو دفاع موجّه للإمبراطور هدريان.

هكذا لا نقدر أن نربط بين هذه الكتابات وبعضها البعض من جهة الطابع أو الموضوع، لكننا بشيء من التجاوز يمكننا القول أن هذه الكتابات في مجملها تعالج موضوعين:

ا. وحدة الكنيسة الداخليّة وسلام بنيانها الداخلي.

ب. الحفاظ على الإيمان الخالص حتى لا تشوبه وثنيات.

٢. اتسمت هذه الكتابات بالبساطة مع الغيرة الملتهبة، دون الاعتماد على الفسلفة اليونانيّة أو البلاغه الهيلينيّة. فباستثناء الرسالة إلى ديوجنيتس لا تحمل هذه الكتابات عملاً أدبيًا.

٣. جاءت هذه الكتابات وليدة احتياجات عمليّة رعويّة، وليس لغرض علمي دراسي؛ فلم تقدّم لنا دراسات لاهوتيّة روحيّة، إنّما أوضحت في بساطة الإيمان العملي ما هو الإنجيل كما عاشته الكنيسة الأولى قبل أن تلتحم بسلطان زمني.

"الاهتمام الرعوي الأصيل" عامل مشترك في هذه الكتابات، فالآباء الرسوليّون لم يكن يشغلهم إبراز أفكار معيّنة بل الدخول بكل أحد إلى الحياة الإيمانيّة العمليّة، فلا ينتقون المصطلحات اللاهوتيّة الصعبة بل يقدّمون قلوبًا ملتهبة حبًا نحو خلاص البشريّة.

لم يكن هؤلاء الكتَّاب جبابرة عقليّين بل قدّيسين بسطاء، يحبّون التقوى، ويكرّسون حياتهم وقلوبهم لمخلّص حيّ يحيا فيهم وهم يحيوا به وفيه ومن أجله.

عاشوا في جيل بطولات روحيّة عمليّة لا جيل كلمات برَّاقة، لم يكن عصرهم عصر كتَّاب بل جنود روحيّين، ليسوا أصحاب كلام بل كانوا محتملي آلام[٤].

٤. اتسمت كتاباته بالصبغة الاسخاتولوجيّة (اللانقضائيّة) eschatological character. كان المجيء الثاني للسيّد المسيح هو غاية "الحياة المسيحيّة"، خلال عل اقتهم المباشرة مع الرسل إذ كانوا يذكرون شخص المسيح بحماس. فقد كشفت كتاباته عن شوق عميق نحو السيّد المسيح المخلّص الصاعد، وهو لا يزال حيًّا وقائمًا في وسطهم. ينتظرون مجيئه ليروه وجها لوجّه. هذا الشوق حمل شكلاً قدسيًا في حياتهم وكتاباته وعبادتهم.

٥. اتسمت هذه الكتابات بالطابع الكنسي كما حملت روح الشركة، شركة الكنيسة في العالم كلّه في الإيمان والتقليد والعبادة... رغم بُعد المسافات بين الكنائس وبعضها البعض مع اختلاف الثقافات وتفاصيل التقاليد.

أخيرًا يليق بنا أن نفهم أن هذه الكتابات، مهما بلغت قيمتها، ومهما كانت قداسة كتَّابها، فهي ليست وحيًا إلهيًا نقدّس كل عبارة فيها، إنّما هي أنشودة الروح التي تتغنى بها الكنيسة ليمتدّ هذا اللحن الأبدي من جيل إلى جيل في توافق وانسجام تحت قيادة الروح القدس العامل في الكنيسة ليدخل بكل العالم إلى الاتّحاد مع الآب في المسيح يسوع ربّنا بالروح القدس.

[4] ANF vol. 1, p. VII.

القدّيس إكليمنضس الروماني

St. Clement of Rome

تعتبر الرسالة إكليمنضس الروماني أول الكتابات الآبائيّة التي احتلت مركزا خاصًا في كتابات الكنيسة الأولى وحياتهما وعبادتها، كتب عنها القدّيس إيريناؤس في القرن الثاني الميلادي إنّها رسالة لها وزنها[١]. وأشار إليها ديونسيوس الكورنثي[٢] عام ١٧٠م بأنّه قد صارت هناك عادة قائمة منذ عدة سنوات أنت تُقرأ رسالة إكليمنضس في الكنيسة في يوم الرب. كما كتب المؤرّخ الكنسي يوسابيوس[٣] أن قراءة رسالة إكليمنضس في كثير من الكنائس صار أمرًا عامًا.

صمت التاريخ الكنسي عن تعريفنا بحياة القدّيس إكليمنضس، وتضاربت الأقوال عنه. فمن جهة أصله وُضعت احتمالات كثيرة، نذكر منها[٤]:

[٥]

١. رأي يقول أنّه أحد معاوني القدّيس بولس في الخدمة، وهو نفسه الذي ذكره الرسالة في رسالته إلى أهل فيلبّي (في٤: ٣). نادى بهذا العلاّمة أورجين ونقله يوسابيوس[٦] فجيروم[٧] ثم تناقله كثيرون من بعدهم.

وبالرغم من أن غالبيّة المؤرّخين يؤكّدون أن هذا الرأي ليس بمستبعد، خاصة وأن الرسالة تحمل في دخلها شهادة على أن كاتبها صدّيق للرسول بولس، إذ تقدّم تعليم الرسول وطبعه وطريقة تفكيره[٨]، لكن البعض يستصعب كيف يتسلّم الأسقفيّة في روما خادم من فيلبّي؟!

على أي الأحوال، يحتمل أن يكون روماني الأصل أو يوناني، عمل بعض الوقت في فيلبّي، ثم بعد ذلك في روما.

[1] Irenaeus: Adv. Haer 3:3. 3.

[2] Eus: H. E. 4:23.

[3] Eus: H. E. 2:16, Jerome: De Vir Illus., c. 15.

[4] Schaff: His. of Christian Church, vol. 2.

القمص شنودة السرياني (نيافة الأنبا يؤانس): الكنيسة في عصر الرسل ٣٥١-٣٥٢.

[5] Com. in Joan 1:29, 6:36.

[6] H. E. 2:15.

[7] De vir Illus., ch. 15.

[8] ANF vol. 1, p. 1.

٢. الرأي الثاني أخبرنا به ديوكاسيوس[٩] Dio Cessius، أنّه ليس إلاّ القنصل تيطس فلافيوس كليمنس Titus Flavius Clemns، العضو في العائلة الملكيّة، حفيد الإمبراطور Vespasian وابن عم الإمبراطور دومنيان، الذي أعدمه دومتيان عام ٩٥-٩٦م بدعوى الكفر (قبوله المسيحيّة) ونفى زوجته دومتيلا إلى أحد الجزر.

لكن غالبيّة المؤرّخين رفضوا هذا الرأي، فلو كان إكليمنضس هذا قنصلاً وله صلة قرابة مع الإمبراطور لما غفل الكتبة الكنسيّون ذكر هذه القرابة للتدليل على دخول المسيحيّة بيت الإمبراطور. زد على ذلك أن معرفته الدقيقة بالكثير من نصوص العهد القديم التي احتلت ربع الرسالة تقريبًا تدل على أن الكاتب لم يكن من أصل أممي بل يهودي تنصر[١٠].

٣. يرى Lightfoot (وهو مجرّد تخمين قبله كثيرون) أنّه إنسان شريف ليس قرابة مع القنصل كليمنس، من أهل يهودي.

٤. قيل أيضًا أنّه كان عبدًا يهوديًا أو ابن عبد يهودي للقنصل المذكور، اعتقه فحمل اسم سيّده[١١].

هذا وقد ذكر عنه **القدّيس إيريناؤس:** [رأى الرسل الطوباويّين وتحدّث معهم، كانت كرازتهم لا تزال تدوي في أذنيه، وتقليدهم مائلاً قدام عينيه.]

تحدّث عنه يوسابيوس أنّه الأسقف الثالث على روميّة[١٢]، بعد لينوس وأناكليتوس، سيم أسقفًا في السنة الثانية عشرة لحكم دومتيانس وتنيّح في السنة الثالثة من حكم تراجان، أي من سنة ٩٣م حتى سنة ١٠١م.

أما نياحته فضاربت فيها الأقوال:

١. ذكر چيروم[١٣] أنّه مات ميّتة طبيعيّة، وقال عنه الكتّاب الأوّلون أنّه تنيّح بعد خدمته الأسرار المقدّسة[١٤].

٢. أنّه استشهد؛ أول من روى ذلك روفينوس[١٥] في القرن الرابع، ولا يوجد من قبله كاتب واحد يذكر ذلك. وقد

[9] His. Rom. 67:4.

[١٠] يوجد كتاب مسيحيّون من أصل أممي يجيدون معرفة العهد القديم وفمه، مثل القدّيس يوستين الأممي المولد والثقافة.

[11] Bishop Lightfoot: The Apostolic Frs. (Clement of Rome, vol. 2).

كان بعض العبيد على جانب من الثقافة والذكاء، ومن أمثلتهم هرماس صاحب كتاب "الراعي"، وكالستوس أسقف روما، كلاهما من العبيد المحرّرين "الكنيسة في عصر الرسل"، ص ٥٣.

[12] H. E. 3:15, 16, 17.

[13] De vir Illlus., ch 15.

[14] H. E. 3: 34.

[15] Rafinus: Epilogue to Pamphilus.

استبعد كثيرون استشهاده، معتمدين في ذلك أنّه لو حدث ذلك لما أغفله الكتّاب الأوّلون.

وقد جاء عنه في أحد الكتب الأبوكريفا من القرن الرابع أنّه حوّل ثيؤدورا إحدى شريفات روما وزوجها Sisinnius و٤٢٣ آخرين إلى المسيحيّة، الأمر الذي أثار غضب الشعب وأدى إلى نفيه في شبه جزيرة القرم[١٦].

وروى البعض عنه[١٧] أن مجلس السانتو بروما لم يحتمل أن يرى من بينهم شريفًا صار أسقفًا مسيحيًا، يجذب الأشراف إلى المسيحيّة، فاجتمع ودعوه ونصحوه بالعدول عن مسيحيّته، وإذ لم يقبل عرضوا تقريرًا لتراجان الذي أمر بنفيه وتكليفه بقطع الأحجار. هناك في النفي التقى بحوالي إلفين من المسيحيّين، وإذ كانت المياة بعيدة عنهم صلى إلى الله الذي أرشده إلى صخرة بها نبع ماء يستقون منه. وقد آمن على يديه الكثير من الوثنيّين، وتحوّل المنفى إلى مركز للعبادة والكرازة، الأمر الذي ملأ الولاة غضبًا، فوضعوا في عنقه مرساه وطرحوه في البحر ومات غرقًا حوالي عام ١٠١م. وقد قيل أن الجسد بقي عامًا بأكمله في المياه دون أن يفسد حتى أظهر الرب.

رسالة إكليمنضس الأولى

امتازت الكنيسة الأولى بالحب الحقيقي الذي جعل الكنائس غير منعزلة عن بعضها البعض، بل يشعر كل منها بآلام الأخرى وأثقالها، لذا كثرت الرسائل المتبادله بينهم[١٨]، وقد امتازت بروح التواضع والوداعة بغير مداهنة أو رياء، وروح الصراحة والوضوح بغير تشامخ!

سبب الرسالة[١٩]

في القرن الأول حدث حركة تمرّد وعصيان في الكنيسة كورنثوس. قام جماعة من الشبان المتعجرفين ظنّوا في أنفسهم أنّه أكثر حكمة من الإكليروس وأقدر على التعليم، وبدءوا يشنّون بين الشعب حملة تمرّد وعصيان، فطردوا كثيرين من عملهم[٢٠]. لذا أسرع القدّيس إكليمنضس أسقف روما وكتب رسالة مملوءة حكمة، تمتاز بروح الانسحاق عم الحب، اعتمد فيها على الكثير من النصوص الكتابيّة مع أمثلة كثيرة من العهدين.

ملامح الرسالة

جاءت الرسالة في المخطوط السكندري للكتاب المقدّس بعد سفر الرؤيا منعزلة عن رسائل الرسل؛ فهي ليست رسالة رسوليّة ولا سفر من أسفار الكتاب المقدّس مُوحى به، لكنها كوثيقة آبائيّة لعصر تلي الرسل مباشرة، حملت مكانة خاصة، تقدّم لنا فكرًا آبائيًا إنجيليًا، ينتفع به المؤمنون. أمّا أهم ملامحها فهي:

١. **رسالة كتابيّة:** اقتبست الكثير من العهدين أمّا بعبارات منقولة عن الكتاب المقدّس مباشرة أو مشابهة لها.

[16] Butler's lives of the Saints, vol. 4, p. 406.

[١٧] راجع يسطس الدويري: موجز تاريخ المسيحيّة، الأسقف إسيذوروس: الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة.

[١٨] مثل رسائل القدّيس أغناطيوس أسقف أنطاكية، و بوليكاربوس أسقف أزمير، وديوناسيوس الكورنثي، وسرابيون...الخ.

[١٩] للمؤلف: الآباء الأولون: ٣ رسالة إكليمنضس الأولى (ترجمة شعبيّة غير دقيقة).

[20] cf. Quasten, Patrology, vol 1; Maxwelll, p. 20.

وقد جمعها Funk ووضع قائمة بها فإذا هي ١٥٧ عبارة عن العهد القديم و١٥٨ عن العهد الجديد.

تكشف الرسالة عن دراية إكليمنضس العظيمة برسائل معلّمنا بولس الرسول أكثر من رسالتيّ القدّيس بطرس.

ويُلاحظ أنّه استخدم الترجمة السبعينيّة التي عرفها غالبًا عن طريق الرسول بولس والإنجيلي لوقا.

٢. تكشف الرسالة عن أن ذكريات إكليمنضس **بتعاليم السيّد المسيح ورسله** كانت خصبة للغاية.

٣. قدّمت لنا معلومات في **تاريخ الكنيسة** عن اضطهاد نيرون، كما تحدّثت عن جموع الشهداء، وأشارت إلى كثرة النساء الشهيدات[٢١].

٤. تحمل هذه الوثيقة مفاهيم قيّمة وشهادة واضحة عن "العقيدة المسيحيّة" كما فهمها المسيحيّون الأوّلون:

ا. ذكر الثالوث القدّوس: الآب والرب يسوع المسيح والروح القدس.

ب. لاهوت السيّد وربوبيّته وخلاصه.

ج. ضرورة الإيمان، بدونه لا خلاص بالأعمال الذاتيّة، إذ يقول: [ونحن أيضًا الذين دعينا بإرادته في المسيح يسوع لن نتبرّر بذواتنا ولا بحكمتنا ولا بفطنتنا ولا بتقوانا، ولا بالأعمال التي نضعها في قداسة القلب، بل بالإيمان الذي من البدء برّر به الرب ضابط الكل كل الناس[٢٢].]

د. ضرورة الأعمال المرتبطة بالإيمان، وهي تفرح الله. يقول: [لماذا بُورك أبونا إبراهيم؟ أليس بسبب اقتنائه البرّ والحق خلال الإيمان[٢٣]]، [إذن، ماذا ينبغي علينا أن نفعل يا اخوة؟ أنهمل عمل الخير، ونكف عن الحب؟! الله لن يقبل هذا، بل بالحري نسرع في عمل الخير باجتهاد وفي غيرة. إن خالق الكل وربّهم هو نفسه يفرح بأعماله[٢٤]]، [العامل الصالح يتقبّل خبز عمله بجرأة، أمّا الكسول والمتهاون فلا يجسر أن ينظر بعينيه إلى رب عمله[٢٥].]

هـ. التبرير بالنعمة المجّانيّة مع الجهاد المستمر حتى الموت [نساء كثيرات صرن قويّات بالنعمة الإلهيّة وقمن بأعمال خارقة[٢٦].]

[21] Ch. 6:1, 2.

[22] Ch. 32:4.

[23] Ch. 31:2.

[24] Ch. 33:1, 2.

[25] Ch. 34:1.

[26] Ch. 55:3.

و. التقدّيس بالروح القدس.

ز. الفضائل المسيحيّة من تواضع واحتمال وطول أناة مع تركيز على المحبّة. من كلماته: **[المسيح هو مسيح المتواضعين لا المتعجرفين على قطيعه**[٢٧]، [الحب يقود إلى أعالٍ لا يُخبر بها!... بالحب يأخذنا الرب إليه. بالحب يحملنا يسوع المسيح الذي أراق دمه عنّا بإرادة الله، وأعطانا جسده عن جسدنا، ونفسه ونفوسنا[٢٨].]

س. الوحدة الكنسيّة القائمة على التقدير المتبادل بين الأعضاء. **[لا وجود للكبار بدون الصغار، ولا للصغار بدون الكبار، وإنّما في كل مكان يُدمج (الكل) لنفع الجميع**. أعظم مثل لهذا هو جسمنا، فالرأس بدون الأقدام ليس بشيء ولا الأقدام بدون الرأس. نعم، فإن أقل الأعضاء في جسمنا ضروري ومفيد للجسم كلّه، أو بالحري كل الأعضاء تعمل معًا في خضوع لأجل حفظ الجسم[٢٩]، [لماذا نمزّق أعضاء المسيح ونقطّعها، نثور ضدّ جسمنا، ويستولي علينا جنون مطبق كهذا، ننسى إنّنا أعضاء بعضنا البعض؟ اذكروا كلام ربّنا يسوع المسيح[٣٠].]

٥. لأول مرّة نجد إعلانًا واضحًا وصريحًا عن تعليم "**التتابع الرسولي**" فرجال الإكليروس لا يُسامون بواسطة أعضاء الجماعة، لأن السلطة الروحيّة لا تُمنح منهم وإن كان من حق الشعب أن يختار راعيه، لكن سلطانهم مُستمد من الرسل، الذين يمارسون سلطاته في طاعة المسيح[٣١].

٦. يعالج الفصلان ٢٤-٢٥ موضوع **القيامة من الأموات**، ولأول مرّة تُستخدم الأسطورة الرمزيّة القديمة الخاصة بالطائر "فونيكس" أو "العنقاء" في كتابات مسيحيّة لتأكيد القيامة.

وهو طائر خرافي زعم قدّماء المصريّين أنّه يعمّر خمسة قرون، بعدها يموت ويدفن نفسه في تابوت من المرّ واللبان والعطور ليقوم وهو أتم ما يكون شابًا وجمالاً.

وقد استخدم بعض الآباء هذه الأسطورة في كتاباته بعدما سجّلها إكليمنضس، مثل ترتليان[٣٢] وأورجين[٣٣] وأمبروسيوس[٣٤] وأبيفانيوس وروفينوس... الخ. كما ظهرت آثارها على العملات والمداليات (الأوسمة)

[27] Ch. 16:1.

[28] Ch: 49:4, 6.

[29] Ch. 37:4.

[30] Ch. 46:7.

[31] Ch. 42;44: 1-3.

[32] De Resurt. 13.

[33] Against Celsus 4:72.

[34] Hexaen. 5:2, 29.

والخواتم وعلى المقابر. وقد نادى البعض مثل بليني Pliny وتاكيوس وديوكاسيوس أن العنقاء عاد فعلاً للظهور في مصر عام ٣٤م بعد غيبة ٢٥٠ عامًا، كما قال بليني أنّه أحضر إلى روما عام ٤٧م.

٧. **أوضحت نظرة الكنيسة للدولة:** فبينما كان إكليمنضس وشعبه يذوقون المر من الإمبراطور دومتيان إلاَّ أنّه في رسالته إلى أهل كورنثوس تجده يطلب **الخضوع للولاة والرؤساء كما يقدّم عنهم صلاة من كل قلبه.**

يقول[٣٥] Robes [إن سُموّ هذه الصلاة يكون له معنى خاص، إن تذكّرنا أنّها قُدّمت من أجل دومتيان (مضطهد الكنيسة)!]

٨. كشفت لنا عن **الليتورچيّا في الكنيسة الأولى،** ففي هذه الرسالة نستشف الآتي:

ا. يعتبر إكليمنضس الروماني أول كاتب مسيحي يصف التجمع الليتورچي للكنيسة المسيحيّة لتقديم "قرابينها" بتنظيم كنسي كعمل إلهي[٣٦]، إذ يقول: [أمرنا (الرب) أن نقدّم التقدمات حسب أوقات وساعات معيّنة... لقد حدّد بنفسه، بأمره العلوي أين نتمّمها ومن الذي يقدّمها، حتى إذ يتم كل شيء بورع حسب مسرّته الصالحة تكون مقبولة لديه... [٣٧].]

ب. كشف عن شركة كل المؤمنين في الليتورچيّا، سواء الكهنة أو الشعب... ولكن كل واحد حسب عمله. إذ يقول: [أعطيت لرئيس الكهنة (الأسقف) ليتورچيّات خاصة، وحدّدت للكهنة أماكن معيّنة، وللاويّين (الشمامسة) خدمات خاصة بهم، وللشعب القوانين الخاصة بهم. ليصنع (يشترك) كل واحد منكم يا اخوة في أفخارستيّا eucharisteito لله حسب ترتيبه (وضعه)[٣٨].]

ج. ذكر بعض الرتب الكنسيّة مثل الأبوذاقونيّين (مساعدي الشمامسة)، والذياقون (الشماس)، الأبرسفيتيروس (القس)، والأسقف وأوضح أن عمله الرئيسي هو خدمة الليتورچيّات وتقديم القرابين[٣٩].

د. كشف عن السيّد المسيح أنّه "كاهن تقدماتنا العلي(ما تشكيلها؟؟؟)"[٤٠]... فالعمل الكهنوتي هو عمل المسيح شخصيّا الذي يعمل سرّيًا في كهنته... أنّها ذبيحة سماويّة تُقام على الأرض، كاهنها المسيح نفسه، يقدّمها على المذبح السماوي كفّارة عن البشريّة.

35 G. J. H. Robes: The New Ms. of Clement of Rome, in the Persb. Quarterly and Princeton Review, N.Y. 1877, p. 349.

36 Gregory Dix: The Chape of the Liturgy, p. 102.

37 Ch. 40.

38 Ch. 40: 5;41:1.

39 Ch. 44.

40 Ch. 36.

د. قدّم لنا أقدم وأروع شكل لصلاة ليتورچيّة (جماعيّة) في الكنيسة[٤١]، انتهت بمجدلة(هل كل واحد يفهم بنطقها معناها؟؟؟) "ذكصولوجيّة" doxology كعادة الكنيسة في نهاية كل صلاة ليتورچيّة[٤٢].

تاريخ كتابتها

يحدّد أغلب الدارسين للرسالة تاريخ كتابتها بعام ٩٦م، معتمدين على ذلك على:

١. إنّها كتبت بمجرّد انتهاء الضيقة التالية بعد اضطهاد نيرون، أي في عهد دومتيان ما بين عام ٩٥، ٩٦م إذ ذكر الكاتب أن الضيقات المفاجئة والمتواليّة أدت إلى تأجيل الكتابة[٤٣].

٢. هذا التاريخ (٩٦م) يتّفق مع شهادة التقليد الذي يرجع إلى هيجيسيبوس Hegesipus وديوناسيوس الكورنثي، وهو أن كاتبها إكليمنضس أسقف روما (ما بين٩٢، ١٠١م)، كما ذكر المؤرّخ عن هيجيسيبوس أن الخلافات التي دفعته للكتابة كانت في حكم دومتيان.

٣. كشف القدّيس بوليكاربوس أسقف سميرنا في رسالته إلى أهل فيلبّي (بدء القرن الثاني) عن معرفته التامة بالرسالة، إذ اقتطف الكثير منها.

نصوص تقليديّة

١. المخطوط الإسكندري للكتاب المقدّس The Alexendarian Code of the Bible بالمتحف البريطاني، يرجع للقرن الخامس الميلادي.

٢. المخطوط القسطنطيني Hierosolymitanus من القرن الحادي عشر عام ١٠٥٦م، نسخة ليون؛ اكتشفه فيلوثيؤس برينيوس Philotheus Brynnius أسقف[٤٤] Serrae عام ١٨٧٥م بالقسطنطينيّة وقام بنشرّه.

٣. وُجدت ترجمة سيريانيّة كاملة في مكتبة Jules Mhol بباريس عام ١٨٧٦م، ترجع للقرن الثاني عشر عام ١١٧٠م كتبت بدير مارصليبا بالرها.

٤. اكتشف D. G. Morin بدير Moredsous ببلجيكا عام ١٨٩٤م نصًا لاتينيًا في مخطوط من القرن العاشر أو الحادي عشر، ينتمي أصلاً إلى دير فلورانس حيث نقل إلى مكتبة Great Seminary ب Namur.

٥. ترجمة قبطيّة في لهجة أخميميّة في ملكيّة برلين Staatsbiblothek.

٦. ترجمة قبطيّة أخرى في لهجة أخميميّة، اكتشفت في ستراسبورج من القرن السابع، وهي أشبه بمقتطفات.

[41] Ch. 59-61.

[42] E. von der Goltz: Das Gebt in dêr abtesten Christenheit, 192-207.

[43] Ch. 1: 1.

[٤٤] أسقفية قديمة (هيراقليا) بمكدونيّة – وبعد ذلك – نيقوميديا.

أقسامها

افتتاحيّة من كنيسة كورنثوس، فيها يعلن الأب الأسقف حقيقة الكنيسة إنّها متغرّبة على الأرض... هذه الحقيقة تتطلب أن تعيش الكنيسة وسط العالم بفكر سماوي فلا تسلك بروح الغيرة والانقسامات، ولا تزحف على الأرض تطلب الفانيات، بل تهتم بخلاص كل أحد.

أولاً: جمال ملامح الكنيسة قبل الانقسام فصل ١-٢

هذا روح الرسول بولس الذي يبدأ رسائله دائمًا بالتشجيع فيكشف للمرسل إليهم فضائلهم وإيمانهم وحياتهم في الرب حتى يسندهم.

ثانيًا: ملامح الكنيسة بعد الانقسام فصل ٣

كشف لهم الفوضى التي تعيشها الكنيسة بسبب المنافسات الرديئة والحسد الذي دب في وسطهم، وال "الذات" التي تعيش فيهم.

ثالثًا: سرّ الانقسام: الغيرة والحسد فصل ٤-٦

قدّم لهم أمثلة حيّة وواقعيّة من العهدين القديم والجديد ومن عصر الشهداء الذي كانوا يعيشونه...

رابعًا: علاج الحسد والغيرة فصل ٧-٥٨

١. بالتوبة والإيمان العملي فصل ٧-٨
٢. بالطاعة فصل ٩-١٢
٣. بالتواضع فصل ١٣-٢١
٤. تذكّر الدينونة وقيامة الأمواتفصل ٢٢-٢٩
٥. بالجهاد كابناء الله فصل ٣٠-٣٦
٦. بالخضوع للنظام والترتيب فصل ٣٧-٤٧
٧. بالحب الذي هو باب البرّ فصل ٤٨-٥٨

خامسًا: ابتهال لله فصل ٥٩-٦١

سادسًا: ختام فصل ٦٢-٦٥

فيه ملخص للرسالة مع تشجيع لعلاج الموقف واشتياق لسماع أخبار سارة عنهم.

[تُرجمت نصوص الرسالة إلى العربيّة، ونُشرت عام ١٩٧٤م.]

الأعمال المنسوبة للقدّيس الكيمنضس الروماني

لعلّ ما حظي به القدّيس إكليمنضس من تقدير عام هو المسئول الأول عما نُسب إليه من كتابات أرثوذكسيّة وهرطوقيّة، لكي تجد لها رواجًا.

١. رسالة الكيمنضس المسماة بالثانية The so-called Second Epistle of Clement

في حقيقتها عظة لا رسالة، لها أهميّتها بكونها أول عظة مسيحيّة وصلت إلينا حتى اليوم، لم يستقر الدارسون على أصل العظة وواضعها، لكن الدلائل تشير بالأكثر إنّها إسكندرانيّة الأصل وليست من كورنثوس أو رومة[٤٥]، قبل منتصف القرن الثاني.

أما أهم ملامحها ومحتوياتها فهي:

ا. التركيز المستمر على التوبة كطريق للملكوت، وكوسيلة لعمل لله فينا: **[لنتب ما دمنا على الأرض، فإننا طين في يد فنان**[٤٦].]

ب. الإيمان العملي خلال الطاعة للوصيّة واحتقار الشهوات الزمنيّة من أجل الأبديّة.

ج. الكنيسة سابقة للوجود[٤٧]، روحيّة غير منظورة، صارت جسد المسيح[٤٨] وأمًا للمؤمنين.

د. دعى العماد ختمًا Sphragis يلزم حفظه[٤٩].

٢. رسالتان عن البتوليّة

في عام ١٧٥٢م اكتشف J. J. Westein في مكتبة المحتجين The Remonstrants بأمستردام نصًا سيريانيًا لرسالتين عن البتوليّة موجّهة إلى المتبتّلين من الجنسين، كملحق للعهد الجديد اليوناني، وقد أيّد المكتشف نسبة الرسالتين إلى إكليمنضس الروماني. ودافع كثير من الدارسين الكاثوليك عن نسبتهما لإكليمنضس غير أن غالبيّة الدارسين البروتستانت يرفضون ذلك، للأسباب التالية[٥٠]:

ا. صمت يوسابيوس عن ذكرهما.

ب. نغمتهما النسكيّة تناسب النصف الأول من القرن الثالث[٥١].

[٤٥] للمؤلف: القدّيس إكليمنضس الروماني، ١٩٧٤م، ص ٧٢-٧٦.

[46] Ch. 8:1.

[47] Ch. 14:1.

[48] Ch. 14:2.

[49] Ch. 7:6.

[50] Prof. Riddle: ANF, vol. 8, p. 53.

[51] Quasten: Patrology, vol. 1., p. 58.

ج. تختلف الرسالتين هنا عن الرسالة الأصليّة لإكليمنضس في طريقة ال اقتباس من العهد الجديد، كما أن ال اقتباس هنا من العهد القديم أقل.

ملامحهما ومحتوياتها

ا. يبدو أن الرسالتين في الأصل عمل واحد، مع الزمن قُسِّم إلى جزئين

ب. البتوليّة حياة يعيشها الإنسان بروحه في الداخل كما بجسده، وليست لقب شرف أو مجرّد اسم يحمله البتول:

[كل البتوليّين من الجنسين... يلتزمون كل واحدّ فواحد منهم أن يكونوا متأهّلين لملكوت السموات في كل شيء...

الاسم وحده بغير الأعمال لا يُدخل ملكوت السموات، لكن إن كان الإنسان بحق مؤمنًا، مثل هذا يخلّص...

لا يقدر الإنسان أن يخلّص لمجرّد تلقيبه بتولاً وهو خالٍ من الأعمال الممتازة الكاملة التي تليق بالبتوليّة... فقد دعى ربّنا مثل هذه البتوليّة جهلاً كما جاء في الإنجيل (مت٢٥: ٢). وإذ لم تحمل زيتًا ولا نورًا تُركت خارج ملكوت السموات، وطُردت من فرح العريس، وحُسبت ضمن أعدائه، مثل هؤلاء الأشخاص لهم فقط مظهر مخافة الله ولكنّهم منكرون قوّتها (٢تي٢: ٥)[٥٢].]

ج. الحياة البتوليّة هي عمل إلهي فائق للطبيعة، تدخل بنا إلى الحياة الملائكيّة، ويختبر أصحابها الحياة السماويّة، وذلك بتقدّيس روح الله[٥٣].

د. الحياة البتوليّة ليست هروبًا من العالم لأجل الراحة الزمنيّة، إنّما هي دخول في معركة الصليب حيث يجاهد البتول بروح الرب ضدّ الأنا وضدّ الشيطان ومحبّة العالم وشهوات الجسد.

[إن كنت تتوق إلى هذا كلّه اغلب الجسد، اهزم شهوات الجسد، اغلب العالم في روح الله، انتصر على الزمنيّات الباطلة التي تعبر وتشيخ وتفسد وتنتهي،...
اِغلب الشيطان، بيسوع الذي يقوّيك، بسماعك كلماته وتمتّعك بالإفخارستيّا في الله.
احمل صليبه واتبعه، ذاك الذي يطهّرك[٥٤].]

هـ. يقدّم الكاتب نصائح وإرشادات عمليّة تخص النسّاك، منها:

[52] ??

[53] Ep. 1:4.

[54] Ep. 1:5

- ✞ عدم الخلطة بين النساك والبتوليّين من الجنسين معًا[55]، خاصة عدم المزاح والأحاديث التافهة، والهروب من أماكن الشرّ[56].
- ✞ الالتزام بالعمل، إذ لا يسمح للكسالى حتى أن يأكلوا خبزًا[57].
- ✞ يخدمون لكن دون حب التعليم[58]، ويهتمّون بالفقراء والمرضى مع عدم تجاهل العبادة والحياة الروحيّة الداخليّة[59].

و. تظهر أهميّة الرسالتين إذ تقدّمان لنا أقدّم وثيقتين كمصدر للتاريخ النسكي المسيحي الأول وقوانين الحياة النسكيّة وعاداتها.

٣. القوانين الرسوليّة The Apostolic Institutions

قدّمت لنا في الكتاب الثامن ما يُسمى بالليتورچيّا الإكليمنديّة The Clementine Liturgy. كان الدارسون حتى القرن السادس عشر يعتقدون إنّها عمل أصيل من وضع القدّيس إكليمنضس، وقد أدركوا بعد ذلك إنّها ليتورچيّا شرقيّة من القرن الرابع.

سبق لي الحديث عنها وترجمة نصها إلى العربيّة[60].

٤. الإكليمنضيّات المزوّرة، وتسمى "كلمنتينا" أو سيّدو-كلمنتينا Pseudo-Clementina

وهي مجموعة كتابات مزوّرة متشابهة إلى حد ما، لكنها غير متجانسة معًا، منسوبة خطأ للقدّيس إكليمنضس.

كتبها جماعة من الأبيونيّين[61] الهراطقة، وهم شيعة متطرفة من بعض اليهود المتنصرين، يحملون عداءً للرسول بولس بكونه رسول الأمم... أو على الأقل يتجاهلون خدمته وكرازته. لذلك جاءت هذه الكتابات مليئة بعبارات التمجيد للرسولين بطرس ويعقوب أخي الرب، بكونهما رسولي الختان. كما ربطوا بين الرسول بطرس وسيمون الساحر عقب اللقاء الذي تم بينهما في السامرّة حوالي عام ٣٧م ويصوّرون الرسول أنّه أخذ

[55] Ep. 1:10; 2:1-15.

[56] Ep. 2:6.

[57] Ep. 1:10.

[58] Ep. 1:11.

[59] Ep. 1:12, 13.

[60] للمؤلف: المسيح في سرّ الأفخارستيا، طبعة ١٩٧٣م، ص ٦٢٠-٦٥٣.

[61] يختلف الدارسون في أصل الأبيونيّين Ebionaioi، فينسبه البعض إلى أبيون مؤسّسهم في القرن الأول، وهذا قول ضعيف، ويقول آخرون أن الكلمة مشتقّة عن "ابيونيم" العبريّة وتعني "المساكين"، وقد دعوا أنفسهم هكذا يقول الرب "طوبى للمساكين" (لو٦: ٢٠؛ مت٥: ٣) أو دعاهم المسيحيّون هكذا لأنهم مساكين في الإيمان.

يتعقبه من سوريا حتى وصل إلى روما عاصمة الإمبراطوريّة وهناك أماته بصلاته[٦٢].

أما عن أفكار هذه الجماعة فهما فريقين بين متزمت ومعتدل، الأول يحفظ ناموس موسى حفظًا حرفيًا ويقدّسون السبت ويعتبرون الختان لازمًا للخلاص. أمّا الفريق الآخر فيحفظون ناموس العهد القديم، لكنّهم لا يلزمون الجميع ولا يتعصّبون ضدّ من يرفضون حفظه. كانوا يحتفلون بيوم الأحد ولا يعترضون على آلام السيّد المسيح، لكنّهم يشتركون مع الفريق الأول في إنكار لاهوته وأزليّته[٦٣].

أما أهم كتابات الاكلمنضيّات المزوّرة فهي:

ا. **العظات Homilies**: عبارة عن عشرين عظة أبيونيّة؛ تتحدّث عن السيّد المسيح كنبي ومعلّم وليس مخلّصا، وتنكر لاهوته.

ب. **المدركات Recognitions**: في عشرة كتب وصلت إلينا كاملة في ترجمة لاتينيّة لروفينوس، وقد وضحت فيها عقيدة الثالوث القدّوس. يرى البعض أنّه قد وُضعت العبارة الخاصة بها بواسطة المترجم روفينوس، وإن كان ليس من السهل التأكّد من ذلك، لذلك يظن البعض أن كاتبها مستقيم الرأي وليس هرطوقيًا، وأن العبارات الهرطوقيّة جاءت جزافًا من غير عمد.

ج. **الخلاصة Epitome**: وهي مقتطفات باليونانيّة بغير دقّة أو إكتراث منقولة عن العظات Homilies مضاف إليها مقتطفات عن رسالة إكليمنضس ليعقوب عن "استشهاد الكيمنضس Martyrium Clementis، بواسطة Simon Metaphrastes... الخ.

د. كتابات أخرى لها ذات الصبغة منها متقطفان عن المدركات Regonitions والعظات Homilies، وُجدت باللغة العربيّة.

كما نسبت له خمسة رسائل منها رسالتان موجّهتان إلى يعقوب أخ الرب، يضمّهما البعض إلى الإكلمنضيّات المزوّرة. في الرسالة الأولى يظهر الكاتب رسالة إكليمنضس بيد بطرس الرسول كخلف له على كرسي روما مع توجيهات خاصة بالتنظيمات الكنسيّة. والثانية تشير إلى خدمة الأفخارستيّا وأثاث الكنيسة وبعض الأمور الطقسيّة[٦٤].

ملامحها ومحتوياتها

١. احتلت قصّة عائلة إكليمنضس مركزا هامًا في العظات كما في المدركات، وهي تتلخص في أن سيّدة

[٦٢] ظن البعض مثل Baur أنهم قصدوا بسيمون الساحر "بولس الرسول" لكن هذا الرأي مستبعد.

[٦٣] راجع: أنبا غريغوريوس: مذكرة عن البيونيّة لطلبة الكليّة الإكليركيّة، أنبا يؤانس (القمص شنودة السرياني): الكنيسة المسيحيّة في عصر الرسل، ص ١٣٢، ٢٦٦.

A.N.F. vol., 8, p. 69-71; Shcaff, vol. 2, 618, 435.

[64] Schaff, vol. 2, p. 650.

تدعى ماتلدا زوجة فوستوس ووالدة ثلاثة أشخاص: فوستينوس وفوستنيانوس وإكليمنضس تركت روما متجهة إلى أثينا وفي صحبتها الابنان الكبيران، وقد اختفى الثلاثة. قام فوستوس بالبحث عنهم فاختفى هو بدوره. بقى إكليمنضس بمفرده، فجال في العالم يبحث عن الحق فوجد القدّيس بطرس. التصق به ودخل معه في مناظرات حيث كان يسأله عن الحق... وقد اكتشف بعدئذ بالتتابع والدته فأخويه ثم والده. وربما لهذا السبب دُعيت أحد هذه الأعمال بالمدركات.

٢. بينما نُسبت الرسالتان عن البتوليّة للقدّيس إكليمنضس، حيث يشبه البتوليّين بالملائكة السمائيّين، وتعتبر البتوليّة هبة إلهيّة تمس الحياة الداخليّة كما الجسد، إذ بالعظات المنسوبة لذات القدّيس تحمل اتجاهًا أبيونيًا، إذ تهاجم الأبيونيّة الحياة البتوليّة، كما ذكر القدّيس أبيفانيوس[٦٥]. فقد تطلّعت العظات إلى الحياة العزوبيّة كأمر مشكوك فيه. لذا تحث الشباب والمتقدّمين في السن على الزواج تحفظًا من نيران الشهوة، حتى لا يدخل وبأ إلى الكنيسة خلال الزنا والنجاسة. لقد عاش بطرس نفسه مع زوجته[٦٦].

٣. يّجاء في الإكليمنضيّات المزوّرة بعض طقوس التطهير منسوبة للقدّيس بطرس مثل الامتناع عن العلاقات الجسديّة بين الزوجين في فترة الطمث[٦٧]، والاستحمام بعد العلاقات الجسديّة.

٤. تقدّم لنا هذه الإكليمنضيّات القدّيس بطرس كإنسان نباتي، إذ يقول: [أعيش ع الخبز والزيتون فقط، ونادرًا ما آكل خضروات... فإن نفسي تسبح في الأعالي في الأبديّات ولا تتطلّع إلى السفليّات[٦٨].]

ينظر الكاتب إلى أكل لحوم الحيوانات أنّه ضدّ الطبيعة، أدخله إلى البشريّة العمالقة الذين وُلدوا من الملائكة الساقطين[٦٩].

٥. حملت العظات مفاهيم غير مسيحيّة خاطئة منها:

- أن الناموس سُلِّم شفاهًا من موسى إلى السبعين كليمًا، وبعد موته كُتب، لكنّه ضاع فأعيد كتابته لذا يحتاج إلى تنقية من بعض الأخطاء[٧٠].
- لم يهتم الكاتب بدور السيّد المسيح الخلاصي، ورفض فكرة سقوط آدم، إذ حسب الأخير نبيًا حقيقيًا يعرف كل شيء، قدّم هذه المعرفة لأولاده وعلمهم أن يخدموا الله في كل شيء، وبهذا أسس

[65] Adv. Haer. 30: 18: 2-3.

[66] Hom. 3: 68; 13: 1.

[67] Recog. 6: 10: 11' Hom. 11: 28, 30.

[68] Hom. 12-6; Recog. 7: 6.

[69] Hom. 8: 15.

[70] Hom. 2:38; 3:47; 18:20.

للبشريّة كلّها قانونًا أبديًا[٧١]. وإذ تجاهلت البشريّة ذلك احتاجت إلى موسى ويسوع ليحقّقا ما سبق أن قام به آدم. لهذا يمكن للإنسان أن يتتلمذ على الواحد دون حاجة إلى الآخر، ما دام يمارس عمليًا ما يعلّمه ولا يحمل كراهيّة ضدّه؛ وكأنّه وضع موسى ويسوع على قدّم المساواة... لأن همه الأول هو "النشاط العملي للإراده" لا الإيمان بالخلاص. تجاهل بنوّة السيّد المسيح الإلهيّة، وتطلّع إلى كلمات يسوع على الصليب للغفران للمسيئين إليه مجرّد مثال نتمثّل به وليس عملاً خلاصيًا[٧٢].

هذا الفكر يحمل اتجاهًا يهوديًا، لذا يرى كثير من الدارسين أن الكاتب يهودي قبل المسيحيّة، فقد هاجم تعدد الآلهة وعبادة الأوثان والتنجيم، لكنّه لم يحمل فكرًا مسيحيًا حقيقيًا.

لم تكتب ص٧٢-٧٤

[71] Hom. 8:10.

[72] Hom. 11:20.

مفاهيم روحيّة

رسالة إكليمنضس الأولى

١. **التأمل في الصليب:** [لنركّز أنظارنا على دم المسيح؛ متحقّقين كم هو ثمين لدى أبيه! إذ أراقه قدّم نعمة التوبة للعالم كلّه!] (٧: ٤).

٢. **الحاجة إلى التوبة:** [اته يود أن يقدّم فرصة للتوبة لكل محبوبيه، ويثبّتها بإرادته القادرة] (٨: ٥). [احترزوا أيها الأحبّاء لئلا يصير كثرة لطفه دينونة لجميعنا، ذلك إن لم نسلك كما يليق به، ونتمّم بفكرٍ واحد الأمور الصالحة المرضيّة في عينيه] (٢١: ١).

٣. **الثقة في المواعيد الإلهيّة:** [ليتنا لا نتردّد، ولا نتشكك من جهة عطاياه الثمينة المجيدة] (٢٣: ٢). [مباركة ومدهشة هي عطايا الله أيها الأحبّاء] (٣٥: ١).

٤. **ترقب وعده بالقيامة:** [على هذا الرجاء تلتصق نفوسنا بالأمين في مواعيده، العادل في أحكامه] (٢٧: ١).

٥. **شهادتنا لله بسلوكنا:** [فليشهد الآخرون عن أعمالنا الصالحة، كما شهدوا لآبائنا الصدّيقين] (٣٠: ٧).

٦. **نشكر الله على عمله معنا وفينا:** [يليق بنا أن نشكره ما دام كل ما فينا هو منه] (٣٨: ٤).

٧. **الاهتمام بدراسة الكتاب المقدّس:** [انكبوا على دراسة الكتب المقدّسة التي هي بحق منطوقات الروح القدس] (٤٥: ٢).

٨. **الاهتمام بالحب الأخوي** اللائق والمقدّس والعملي. [لننطرح قدّام الرب ونسأله بدموعٍ أن يجعلنا رحومين، ويصالحنا معه، ويعيدنا إلى ممارسة الحب الأخوي الذي كان لنا، اللائق والمقدّس.

إنه باب البرّ الذي يفتح الطريق للحياة، كما هو مكتوب: "افتحوا لي أبواب البرّ، أدخل فيها وأحمد الرب. هذا هو باب الرب، والصدّيقون يدخلون فيه" (مز ١١٨: ١٩، ٢٠).

الحب يقود إلى أعالي لا يُخبر بها!

الحب يوحِّدنا مع الله، إذ "المحبّة تستر كثرة من الخطايا" (١ بط٤: ٨؛ أم ١٠: ٢)...

بالحب يصير مختاروا الله كاملين، وبدونه ليس شيء يرضي الله.

بالحب يأخذنا الرب إليه.

بالحب يحملنا يسوع المسيح الذي أراق دمه عنّا بإرادة الله، وأعطانا جسده عن جسدنا، ونفسه عن نفوسنا.

انظروا أيها الأحبّاء، كم هو عظيم – الحب – ومدهش! كماله لا يمكن وصفه!...

يجلس الكاملون في الحب بالنعمة الإلهيّة في مجالس القدّيسين، ويظهرون عند إعلان ملكوت المسيح.] (٤٨-٥٠)

٩. **اهتمامنا بالخطاة:** [لنصل نحن أيضًا من أجل الذين ارتكبوا أية خطيّة، حتى إذ نعاملهم بالوداعة والتواضع يمتثلون لا لنا بل لإرادة الله. بهذه الكيفيّة يكون ذِكرنا لهم مثمرًا وكاملاً وبلطف في صلّواتنا لله وقدام

القدّيسين] (٥٦: ١).

١٠. **الهروب من الكبرياء:** [من الأفضل أن تكونوا صغارًا ومكرّمين في قطيع المسيح، عن أن تكونوا مشهورين وخارج رجائه] (٥٧: ٢).

الأعمال المنسوبة للقدّيس إكليمنضس

١. رسالة إكليمنضس المسمّاة بالثانية

١. اهتمامنا بالمخلّص والخلاص

[الذين ينصتون إلى هذه الأمور (الخلاص) في استهتار كأنّها ليست بذي شأن يخطئون، غير عالمين من أي حال نحن دُعينا؟ ومن الذي دعانا؟ وإلى ماذا دعانا؟ وكم من الآلام احتملها يسوع المسيح من أجلنا؟

ماذا إذن نرد عليه؟

أو أي ثمر يلزمنا أن نقدّمه مقابل عطيّته لنا؟!

حقًا ما أعظم المقدّسات التي نحن مدينون له بها!

فقد أنعم علينا بالنور،

وكأب دعانا أولادًا،

وإذ أوشكنا على الهلاك خلّصنا!...

لم تكن حياتنا إلاَّ موتًا؛ اكتنفنا العمى، وغطت ظلمة كهذه بصيرتنا، فتقبّلنا البصيرة، وبإرادتنا ألقينا عنّا السحابة التي غشت علينا...

دعانا حيث لم نكن، وأردنا أن نوجد من العدم] (١، ٢).

٢. شهادتنا للمخلّص

[كيف نتعرّف به؟ بالعمل حسب قوله، وعدم عصياننا وصاياه؛ بتكريمنا له لا بشفاهنا فحسب، بل وبكل قلوبنا وذهننا، إذ يقول في إشعياء: "هذا الشعب أكرمني بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عني" (إش٢٩: ١٣؛ مت١٥: ٨؛ مر٧: ٦).

إذ ليتنا لا نقف عند مجرّد دعوته "يا رب" فإن هذا لا يخلّصنا؛ إذ يقول: "ليس كل من يقول يا رب يا رب يخلص، بل الذي يفعل البرّ" (مت٧: ٣١).

لهذا فلنعترف به يا اخوة بأعمالنا، بحبنا بعضنا لبعض، بامتناعنا عن الزنا والنميمة والحسد، بل نكون أعفاء، رؤوفين وصالحين] (٣-٤).

٣. ترقبنا للأبديّة

[إذ نحن مقيمون مؤقتًا في هذا العالم الحاضر، فلنتمّم إرادة الذي دعانا، ولا نخاف الرحيل من هذا العالم] (٥: ١).

[بالحب وعمل البرّ نتوقّع من ساعة إلى ساعة ملكوت الله؛ فإننا لا نعرف يوم ظهور الله] (١٢: ١).

[لو أعطى الله المكافأة في الحال، لصار تدريبنا تجارة وليس برًا. فإننا نظهر أبرارًا بينما نحن نسعى لا من أجل الصلاح بل من أجل الرب] (٢٠: ٤).

٤. **لنتب**

[لنتب ما دمنا على الأرض، فإنّنا طين في يد فنان] (٨: ١).

[لنسلّم أنفسنا لله طبيبنا، ما دام لنا فرصة الشفاء، ولنرد له المكافأة. كيف؟ بالتوبة من قلب خالص] (١٠: ٢).

٥. **الخير مصدر السلام**

[إن كنا تجاهد في صنع الخير يتبعنا السلام] (١٠: ٢).

٦. **تمتّعنا بالحياة الكنسيّة المقدّسة**

[لنختر أن ننتسب لكنيسة الحياة لكي نخلص...

لقد أُعلنت الكنيسة – التي هي روحيّة – في جسد المسيح...

إن قلنا أن الجسد والروح هو المسيح، فإن من يفسد الجسد يكون قد أفسد الكنيسة؛ مثل هذا ليست له شركة في الروح الذي هو المسيح.

مثل هذا الجسد قادر أن يشترك في حياة عظيمة هكذا، وفي الخلود، إن رافقه الروح القدس] (١٤).

٧. **الصلاة**

[الصلاة بضمير صالح تخلّص من الموت] (١٦: ٤).

ب. الرسالة الأولى عن البتوليّة

١. **التأهّل للملكوت**

[لا يُقتنى ملكوت السموات بفصاحة الكلام أو الشهرة، ولا بالمركز الاجتماعي أو النسب، ولا بالجمال أو القوّة، ولا بطول الحياة، إنّما يُقتنى بقوّة الإيمان عندما يُظهِر الإنسان عمل الإيمان] (٢).

٢. **البتوليّة حياة إيمانيّة عمليّة**

[المتبتّلون هم مثل رائع للمؤمنين وللذين سوف يؤمنون.

الاسم وحده بغير الأعمال لا يُدخل ملكوت السماوات، لكن إن كان الإنسان بحق مؤمنًا فمثل هذا يخلص...

لا يقدر الإنسان أن يخلص لمجرّد تلقيبه بتولاً وهو خالٍ من الأعمال الممتازة الكاملة اللائقة بالبتوليّة...] (٣).

[من التهبت نفسه بهذه الأمور العظيمة الساميّة (مخافة الله)، ينسحب فاطمًا نفسه عن العالم كلّه، **لكي يختبر حياة إلهيّة سماويّة على مثال الملائكة القدّيسين، في عمل طاهر مقدّس، بتقديس روح الله** (٢تس٢: ١٣)، خادمًا ضابط الكل يسوع المسيح، من أجل ملكوت السماوات.

على هذا الأساس يفطم نفسه عن كل شهوات الجسد... مشتاقًا إلى الرجاء الموعود به والمهيأ والمذخَّر في السماء (كو١: ٥) بواسطة الله... فيوهب للبتوليّين مكانًا مرموقًا في بيت الله؛ هذا أفضل له من البنين والبنات (إش٥٦: ٤، ٥)، وأفضل (مما يناله) الذين يقضون حياتهم الزوجيّة في قداسة ولم يكن مضجعهم دنسًا (عب١٣: ٤). يعطي الله البتوليّين ملكوت السماوات كملائكة قدّيسين] (٤).

[أتريد أن تكون بتولاً؟...
إن كنت تتوق إلى هذا اغلب الأسد، اهزم شهوات الجسد،
اغلب العالم في روح الله، انتصر على الزمنيّات الباطلة التي تعبر وتشيخ وتفسد وننتهي،
اغلب التنّين (رؤ١٢: ٧)، اغلب الأسد ((١بط٥: ٨)، اغلب الحيّة (٢كو١١: ٣)، اغلب الشيطان بيسوع المسيح الذي يقويك، بسماعك كلماته، وتمتّعك بالأفخارستيّا في الله.
احمل صليبك واتبعه (مت٢٦: ٢٤)، ذاك الذي يطهّرك، يسوع المسيح ربك] (٥).

٣. **الصلاة لإرسال فعلة للحصاد**

[فلنطلب من رب الحصاد أن يرسل فعلة لحصاده (مت٩: ٣٧–٣٨)، يفصلون كلمة الحق باستقامة، فعلة بلا لوم (٢تي٢: ١٥)، فعلة أمناء، فعلة يصيرون نورًا للعالم (مت٥: ١٤)، فعلة يعملون لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبديّة (يو٦: ٢٧)، فعلة كالرسل، يمتلئون بالآب والابن والروح القدس المهتمّين بخلاص البشر...] (١٣).

ج. الرسالة الثانية عن البتوليّة

[نحن بمعونة الله نسلك هكذا:

لا نسكن مع متبتّلات، وليس لنا شركة معهنّ في شيء.

لا نأكل مع متبتّلات ولا نشرب معهنّ] (١).

[طوبى للإنسان المتّزن، الحذر في كل شيء من أجل النقاوة] (٥).

[ليتنا لا نمكث باستمرار مع نساء أو عذارى، فإن هذا غير مفيد للذين يرغبون أن يمنطقوا أحقّاءهم (لو١٢: ٣٥). فإننا نطالب بحب الأخوات بكل نقاوة وعفّة، وبكل ضبط فكر في مخافة الله، دون أن نجتمع دومًا بهنّ، ولا أن نستأنس بهنّ في أيّة ساعة] (٨).

الإكليمنضيّات المزوّرة

١. **الإنسان في صورة الله**

[الإنسان هو صورة الله. من يريد أن يكون تقيًا نحو الله فليفعل صلاحًا مع الإنسان؛ لأن جسد الإنسان يحمل صورة الله. لكن ليس الكل يحمل شبهه، إنّما **العقل النقي في النفس الصالحة يحمل شبهه**. على أي الأحوال، إذ نعرف أن الإنسان على صورة الله ومثاله، نخبركم أنّه يجب أن تكونوا أتقياء نحو الإنسان، فيُحسب ذلك مقدّما لله، الذي على صورته الإنسان] (عظة ١١: ٤).

٢. **حريّة الإرادة**

[للعقل الحريّة أن يوجّه حكمه إلى أي جانب يريده، وأن يختار الطريق الذي يودّه، فمن الواضح أن للإنسان حريّة الخيار] (المدركات ٥: ٦).

[اخبروني، كيف يدين الله بالحق كل أحد حسب أعماله، إن كان البشر ليس في قدرتهم أن يفعلوا شيئًا؟! لو أخذنا بهذا الرأي (القضاء والقدر) ل اقتلعنا كل شيء من جذوره؛ وحُسب باطلاً أن نطلب اِتّباع الصلاح، بل وباطلاً يحكم قضاة هذا العالم بالقوانين ويدينون الذين يخطئون، ما داموا ليس في قدرتهم ألاَّ يخطئوا، وتصير قوانين الأمم الموضوعة لمعاقبة الأعمال الشرّيرة باطلة] (المدركات ٣: ٢٢).

٣. **العماد**

[يأمر الله كل أحد يتعبّد له أن يُختم بالعماد، فإن رفضت ذلك وأطعت إرادتك الذاتيّة عوض إرادة الله، لا شك أنت تقاوم إرادة الله وتعاديها] (المدركات ٦: ٨).

[اقتربوا (إلى المعموديّة) إن كنتم أبرارًا أو أشرارًا. فإن كنت بارًا ينقصك مجرّد العماد للخلاص. وإن كنت أثيمًا فتعال لكي تنال العماد لمغفرة الخطايا التي سبق أن ارتكبتها في جهالة...

إن كنت بارًا أو أثيمًا اسرع لكي تولد لله، ففي التأخير خطر، لأن موعد الموت المعين غير مُعلن. اظهر بحسن صنعك امتثالك بالآب الذي يلدك من الماء.

كمحب للحق كرِّم الله الحقيقي كأبيك. وتكريمك له هو أن تعيش كما هو، تعيش بارًا. فإن إرادة ذاك البار أنك لا تخطئ] (عظة ١١: ٣٧).

[سواء كنت بارًا أو أثيمًا، فالمعموديّة ضروريّة بالنسبة لك في كل الأحوال. فبالنسبة للبار يتحقّق الكمال فيه، ويولد ثانية لله. وبالنسبة للشرّير، يُمنح له العفو عن الخطايا التي ارتكبها في جهالة. إذن ليسرع الكل إلى الولادة الثانية من الله دون تأخير، لأن نهاية حياة كل أحد غير أكيدة] (المدركات ٦: ٩).

[ميلادنا الأول يتحقّق خلال نار الشهوة، ولذلك بتدبير إلهي يأتي الميلاد الثاني بواسطة الماء الذي يطفئ طبيعة النار؛ وإذ تستنير النفس بالروح السماوي يُطرد الخوف من الميلاد الأول، بشرط أن تعيش لأجل الزمن الآتي (الحياة الأبديّة)، فلا تطلب أية ملذّات لهذا العالم، فنحسب هنا زائرًا وغريبًا ولك مواطنة في

المدينة الأخرى] (المدركات ٩: ٧).

٤. **الذبائح الحيوانيّة**

[لا يُسر (الله) بالذبائح، يظهر هذا من أن الذين يأكلونها ما أن يذوقونها حتى يشتهونها، ويصيرون لها مقبرة، فيسمّون "مقبرة الشهوات" (عظة ٣: ٤٥).

كأن الكاتب يقول بأن الذبائح الحيوانيّة حملت رمزًا للذبيحة الخلاصيّة الفريدة، أمّا من يتمسّك بها في حرفيّتها فلا ينال شيئًا، بل بالعكس عوض تمتّعه بالمصالحة مع الله يأكل الذبيحة بشهوة، وتصير أحشاؤه مقبرة تدفن فيها الذبيحة!

٥. **الحق والحب**

الحق ليس مجرّد معرفة ذهنيّة، إنّما هو إعلان إلهي، لذا يرتبط الحق بالحب من يحمل حبًا نحو الله إنّما يتأهّل للإعلان الإلهي والتمتّع بمعرفة الحق.

[لقد حجب الله الحق بستائر حبه، حتى يمكن فقط لمن يقرع باب حبّه الإلهي أن يبلغ إليه] (المدركات ٥٨).

٦. **الحق وإمكانيّة الإنسان**

لا يستطيع الإنسان بقدراته أن يتعرّف على الحق دون العون الإلهي.

[كل الذين يبحثون عن الحق، متّكلين على ذواته حاسبين أنّهم قادرون على العثور عليه، يسقطون في فخ. هذا ما عانى منه كل من فلاسفة اليونان والعقلاء جدًا من البرابرة] (عظة ٢: ٧).

٧. **المعرفة**

[هي باب الحياة للذين يدخلون منها، في طريق الأعمال الصالحة للذاهبين إلى مدينة الخلاص] (المدركات ٥: ٥).

[إذ يبتهج (الإنسان) بغنى الحكمة التي يجدها، يشتاق بِنَهم أن يتمتّع بها، مبتهجًا بممارسة الأعمال الصالحة، مسرعًا نحو اقتناء الدهر الآتي، بقلبٍ نقي وضميرٍ طاهر، حيث يكون في قدرته رؤية الله ملك الكل] (المدركات ٥: ٧).

٨. **الحاجة إلى تعاليم صادقّة**

[كل من يتوقّع دينونة الله ناظر الكل، يصير له دافع أعظم نحو الفضيلة. أمّا (إذ ارتبط ذلك) بتعليم صادق، فإنّه (التعليم) يسحبه من العقوبة الأبديّة، ويهبه بركات أبديّة غير منطوق بها ينالها من قبل الله] (عظة ٤: ١٤).

٩. **المخافة الإلهيّة**

[خف الله فإنّه عادل، لكن سواء كنت تخافه أو تحبّه يلزمك ألاَّ تخطئ...

من يخافه يستطيع أن يقتني الغلبة على الشهوات الشرّيرة، ولا يشتهي ما للغير، بل يمارس الحنو والوقار ويعمل بعدل!] (عظة ١٧: ٧).

[على أي الأحوال، من النافع أن نخافه وحده، ليس كظالم بل بكونه الله البار. فإن الإنسان يخاف من هو ظالم لئلا يهلكه بالظلم، ويخاف البار لئلا يخطئ فيُعاقَب. فبخوفك إياه تتحرّر من كل المخاوف الضارة. فإنك ما لم تخف الرب الواحد خالق الكل، تصير عبدًا لكل الشرور التي تضرّك، أقصد تصير عبدًا للشيّاطين والأمراض (الروحيّة) وكل ما يمكنه أن يضرك بطريقة أو أخرى] (عظة ١٠: ٥).

١٠. البرّ

يلزمنا ألاَّ ننشغل ليس فقط بالأمور الزمنيّة وإنّما حتى بالتعرّف على الأسرار السماويّة، إذ يليق بنا أن نهتم أولاً بخلاص نفوسنا، فنطلب ملكوت الله وبرّه أولاً...

[واجبنا الأول نحن جميعًا أن نطلب برّ الله وملكوته، برّه لكي نتعلّم أن نعمل باستقامة (ببرّ)؛ وملكوته لكي نعرف المكافأة المعدّة من أجل العمل والصبر؛ في ذلك الملكوت ينال الصالحون الأبديّات، بينما ينال الذين مارسوا ما يخالف إرادة الله العقوبات عن كل عمل...

لذلك، قبل كل شيء فلنطلب هذا: ماذا نعمل؟ وكيف نمارسه؟ حتى نتأهّل لنوال الحياة الأبديّة] (المدركات ٢: ٢٠)

[إن اقترح علينا ذهننا أن نطلب معرفة الأسرار الخفيّة قبلما نطلب أعمال البرّ، فلنرد عقلنا إلى صوابه، فإنّه إذ يفكر حسنًا نتأهّل لنوال الخلاص. عندئذ إذ نذهب إلى الله في طهارة ونقاوة نمتلئ بالروح القدس، ونعرف السرائر الخفيّة كلّها دون إثارة تساؤلات. أمّا إذا قضى الإنسان حياته كلّها في السؤال عن هذه الأمور، فإنّه ليس فقط يعجز عن نوالها، وإنّما أيضًا يشغل نفسه بأخطاء عظيمة، لأنّه لم يدخل أولاً طريق البرّ، مجاهدًا من أجل بلوغ ميناء الحياة] (المدركات ٢: ٢١).

١١.الطاعة

إن كان يليق بالمؤمنين أن يمارسوا الطاعة في الرب، فإنّه يليق بالإكليروس ألاَّ يطلبوا منهم إلاَّ ما هو لائق.

[عملكم أن تأمروا بما هو لائق، وعمل الاخوة هو الخضوع لا أن يعصوا. بالخضوع يخلصون، وبالعصيان يعاقبون بواسطة الرب، لأنّه يُعهد إلى الرئيس موضع المسيح] (عظة ٣: ٦٦).

١٢.الغضب المقدّس

[هذا هو الغضب البار والضروري، الذي به يناضل الإنسان مع نفسه، ويتهم نفسه بالأمور التي يخطئ فيها والتي يقصِّر فيها، بهذا النضال تلتهب نارًا معيّنة فينا، تعمل فينا كما في حقل قفر، تهلك وتحرق جذور

اللذّة الشرّيرة، وتجعل تربة القلب أكثر خصوبة بالنسبة لبذار كلمة الله الصالحة.

إنني أظن أنّه لديكم من الأسباب ما هو كافٍ لإثارة الغضب، الذي منه تشتعل النيران الأكثر برًا، إن أخذتم في اعتباركم أية أخطاء سحبكم إليها شرّ الجهل، هذا الذي أحدركم إلى السقوط، ودفع بكم إلى الخطيّة للتوّ؛ انتزعكم من الصالحات وسحبكم إلى الشرور؛ وما هو أهم من الكل، كيف جعلكم تستحقّون العقوبات الأبديّة في الدهر الآتي] (المدركات ٦: ٣).

[يكون الغضب شرًا عندما يربك الذهن، فينزع المشورة السليمة. أمّا الغضب الذي يعاقب الأشرار فلا يسبب تشويشًا للذهن] (المدركات ١٠: ٤٨).

١٣.نقاوة القلب

[يُرى الله بالذهن لا بالجسم، وبالروح لا بالجسد. لذلك تراه الملائكة، وهم أرواح، أمّا البشر فما داموا بشر لا يستطيعون معاينته. أمّا بعد القيامة من الأموات، عندما يصيرون كالملائكة (مت٢٢: ٣٠)، فيستطيعون أن يروه... لذلك فإن قول المعلّم: "طوبى للأنقياء القلب لأنّهم يعاينون الله" (مت٥: ٨) لا يناقض الناموس (خر٣٣: ٢٠)] (المدركات ٣: ٣٠).

١٤.المثابرة في الدراسة

[من الضروري دراسة التعليم بمثابرة بغير انقطاع، لكي يمتلئ ذهننا بفكر الله وحده، فإنّه لا يكون للشرّير موضع في ذهن ممتلئ بفكر الله] (المدركات ٣: ٢١).

١٥.السلام والحرب الروحيّة

[من لم يقبل كلمات السلام، ولا يستجيب للحق، نعرف كيف نوجّه ضدّه حرب الكلمة **ونوبّخه بحدّة بتفنيد جهله** واتّهامه بخطاياه (مباشرة بيننا وبينه).

من الضروري أن نقدّم سلامًا، فإن كان أحد ابنا للسلام يحل سلامنا عليه؛ أمّا من يقيم نفسه عدوًا للسلام، فيرجع سلامنا إلينا] (المدركات ٢: ٣١).

[عندما جاء ذاك الذي يرسلنا، ورأى العالم ساقطًا في الشر لم يعط سلامًا لمن هو ساقط في خطأ، لئلا بهذا يثبّته في شرّه، بل أقام معرفة مقابل هلاك الجهل بالحق، حتى إذا ما أراد الناس أن يتوبوا ويتطلّعووا إلى نور الحق، يحزنون حقًا لأنّه كانوا مخدوعين ويُدركون أنّه قد انسحبوا إلى جُرف الخطأ، فيشعلون نار الغضب الوقور ضدّ الجهل الذي خدعهم. بسبب هذا قال: "جئت لألقي نارًا على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟!" (لو١٢: ٤٩)... ولهذا قال ذاك الذي أرسلنا: "ما جئت لألقي سلامًا على الأرض بل سيفًا" (مت١٠: ٣٤)] (المدركات ٦: ٤).

١٦.الخطيّة والألم

[حينما كان (الإنسان) بارًا، كان أعظم وأسمى من كل الآلام، إذ لم يكن ممكنًا للجسد غير المائت أن يكون

له خبرة الألم، لكنّه إذ أخطأ... وصار خادمًا للخطيّة، خضع لكل الآلام، وبحكم عادل حُرم من كل الأمور الساميّة] (عظة ١٠: ٤).

[قدّم لي إنسانا لا يخطئ، وأنا أريك إنسانا لا يتألّم، فإنك تجده ليس فقط لا يتألّم بل وتراه قادرًا أن يشفي الآخرين] (عظة ١٩: ٢٢).

١٧.الزواج

[من أجل الطهارة ليته يسرع ليس فقط الشيوخ وإنّما الكل إلى إتمام الزواج. لأن خطيّة من يزني بالضرورة تحل على الجميع (بالغضب). لذلك فإن بداية المحبّة أن تحث الاخوة على الطهارة، بكونها شفاء للنفس] (عظة ٣: ٦٨).

١٨.الملاك الحارس

[لكل أمَة ملاك، يعهد الله إليه إدارتها] (المدركات ٢: ٤٢).

١٩.سلطان المؤمن على الشيّاطين

[عندما تأتي نفس ما إلى الإيمان بالله، تنال فضيلة الماء السماوي، الذي به تطفئ الشيطان مثل شرارة النار] (المدركات ٤: ١٧).

كل مؤمن يأمر الشيّاطين، وإن كانوا يظهرون كأنّه أقوى من البشر، لكن المؤمن يأمر لا بقوّته الخاصة، بل بقوّة الله الذي يخضعهم (لنا)] (المدركات ٤: ٣٣).

[أفضل عون لكم لكي تهرب منكم الشيّاطين هو النسك والصوم واحتمال الضيق. فإن كانت الشيّاطين تدخل أجساد البشر من أجل شركة الملذّات ، فواضح إنّها تهرب باحتمال الألم] (عظة ٩: ١٠).

٢٠.الحاسة السادسة

[توجد حاسة سادسة، أعني بها "سبق المعرفة"، فالحواس الخمس قادرة على المعرفة، أمّا السادسة فقادرة على سبق المعرفة، هذه التي للأنبياء] (المدركات ٢: ٥١).

القدّيس أغناطيوس الثيؤفورس[١]

St. Ignatius of Antoioch

أسقف أنطاكية

ولد ما بين عامي ٣٠، ٣٥م؛ سوري الأصل على الأرجح، هليني الثقافة، وثني. يرى أناستاسيوس الكتبي[٢] الذي عاش في القرن التاسع أنّه ذاك الطفل الذي حمله السيّد المسيح مقدّما إياه مثالاً للتواضع (مت١٨: ٢-٤)؛ بينما يرى

[١] راجع للمؤلف: الشهيدان أغناطيوس وبوليكاربوس، ١٩٦٤م. وأيضًا قاموس آباء الكنيسة وقدّيسيها، ج١، ١٩٨٥م، ص ٣٤١-٣٤٣.

[2] Amastase le Bibliothécaire, 2:42. PG. 5:404.

القدّيس يوحنا الذهبي الفم، الأنطاكي المولد، في أواخر القرن الرابع أن القدّيس أغناطيوس لم يرَ السيّد المسيح[3].

إذ رأى الرسل فيه غيرته المتّقدة رسموه أسقفًا على أنطاكية، وقد اختلف البعض في شخصيّة من سامه، فيرى البعض أن الرسول بطرس سام أفوديوس على اليهود المتنصرين والرسول بولس سام أغناطيوس على الأمم المتنصرين... واته لما تنيّح الأول تسلّم أغناطيول رعاية الكنيسة بشطريها. على أي الأحوال اتّسم بغيرته على خلاص النفوس فكسب الكثيرين من الأمم للسيّد المسيح.

اتسم بحبه الشديد لشعبه كما يظهر من حديثه مع مستقبليه في أزمير أثناء رحلته إلى روما للاستشهاد، إذ كان يذكر أمام مستقبليه شعبه، ويطلب إليهم الصلاة من أجلهم.

وضعه نظام التسبحة

قيل أنّه نظر في رؤيا الملائكة تسبح ممجدة الثالوث القدّوس، فنقل النظام الذي لاحظه إلى الكنيسة الأنطاكية، حيث انتشر بعد ذلك بين بقيّة الكنائس.

لقاؤه مع والي سوريا

إذ سمع عنه الوالي من جهة غيرته على انتشار المسيحيّة استدعاه، ودخل معه في حوار من جهة "يسوع المصلوب"، انتهى بإصداره الأمر بأن يُقيَّد أغناطيوس القائل عن نفسه أنّه حامل في قلبه المصلوب، ويُقاد إلى روما العظمى، ليُقدّم هناك طعامًا للوحوش الضارية، إرضاءً للشعب.

سمع الأسقف بذلك فابتهج جدًا. إذ جاءت الساعة التي طالما ترقبها، وحسب هذا الأمر أعظم هديّة قدّمت إليه؛ إذ جثا وصرخ مبتهجًا: "أشكرك أيها السيّد الرب، لأنك وهبتني أن تشرّفني بالحب الكامل نحوك، وسمحت لي أن أُقيّد بسلاسل حديديّة كرسولك بولس". ولما صلى هكذا قبل القيود، متضرعًا إلى الله أن يحفظ الكنيسة، هذه التي ائتمنه الرب عليها ليخدمها حوالي ٤٠ عامًا.

إلى روما

خرج القدّيس في حراسة مشدّدة من عشرة جنود، وقد صاحبه اثنان من كنيسته هما روفوس وزوسيموس اللذان شملهما الحكم بالإعدام.

إذ رأى الجند حب الشعب له والتفافهم حوله عند رحيله تعمّدوا الإساءة إليه ومعاملته بكل عنف وقسوة، حتى دعاهم بالفهود بالرغم من لطفه معهم.، وما دفعه الشعب لهم كي يترفّقوا بأسقفهم.

وصلّوا إلى سميرنا Smyrna حيث استقبله القدّيس بوليكاروبوس أسقفها، كما جاء إليه أساقفة كنائس مغنيسيّة

[3] In Sanct. Mart. Ignatium. PG. 49:594.

(مانيزيا) Magnesia[٤] وأفسس وترواليا Tralles[٥] مع وفود من الكنائس يتبركون به، ويلتقطون درر تعاليمه. استغل الفرصة وكتب رسائل إلى هذه الكنائس، كما كتب رسالة بعثها إلى روما، إذ سمع أن بعض المؤمنين يبذلون كل الجهد لينقذوه من الاستشهاد، جاء فيها:

"لا أطلب إليكم سوى أن أكون سكيبًا لله مادام المذبح معدًا...

أطلب إليكم ألا تظهروا لي عطفًا في غير أوانه، بل دعوا الوحوش تأكلني، التي بواسطتها يوهب لي البلوغ إلى الله. أنّني حنطة الله. اتركوني أُطحن بأنياب الوحوش لأصبح خبزًا نقيًا للمسيح. هيِّجوا هذه الوحوش الضارية لتكون قبرًا لي، ولا تترك شيئًا من جسدي، حتى إذا ما مُت لا أُتعب أحدًا، فعندما لا يعود العالم يرى جسدي أكون تلميذًا حقيقيًا للمسيح[٦].]

في تراوس

أبحر بالسفينة من سميرنا إلى تراوس، ليكتب القدّيس أيضًا ثلاث رسائل "إلى فيلادلفيا، وسميرنا، والقدّيس بوليكاربوس"

من تراوس أبحر إلى نيوبوليس، ثم فيلبّي، ثم Epirus و ...Tyrheneوأخيرًا إلى منطقة Portus حيث التقى بالاخوة الذين امتزج فرحهم برؤيته وبحزنهم لانتقاله. قابلهم بكل محبّة سائلاً إياهم أن يظهروا المحبّة الحقيقيّة ويتشجّعوا.

جثا على ركبتيه وصلّى لكي يوقف الله موجة الاضطهاد عن الكنيسة، وأن يزيد محبّة الاخوة لبعضهم البعض...

أخيرًا أسرع به الجند إلى الساحة، وأطلقت الوحوش ليستقبلها بوجه باش، لمن يُسرع إلى المدينة السماويّة الأبديّة، ليعيش مع سيّده في الأمجاد الأبديّة. وثب عليه أسدان، ولم يبقيا منه إلاَّ القليل من العظام. استشهد حوالي سنة ١٠٨ بروما[٧].

جمع المؤمنون ذخائره وأرسلوها إلى كنيسته بأنطاكيا، فدفنت خارج السور بالقرب من باب دفنه. وبقيت هناك حتى أيام إيرونيموس، ثم تحوّل هيكل فورتونة في قلب أنطاكية إلى كنيسة مسيحيّة، فنقل الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير (٤٠٨-٤٥٠) رفات القدّيس إلى هذه الكنيسة، وأطلق عليها اسم الشهيد البار تخليدًا لذكراه[٨].

تعيِّد له الكنيسة في ٧ من شهر أبيب.

[٤] مغنيسيّة: مدينة صغيرة بآسيا الصغرى، واقعة على الجنوب الغربي من أفسس على مقربة من نهر ميندر في مقاطعة ليديا، تُدعى الآن جوزيل حصار (عن مجلة الكرمة)

[٥] ترواليا أو ترالس، مدينة في مقاطعة فيجية بالأناضول، موقعها الآن قرية سلطان حصاء (عن مجلة الكرمة)

[6] Ep. to Rom. 2, 4.

[٧] السنة العاشرة من ملك تراجان (يوسابيوس ٣: ٣٦).

[٨] الدكتور أسد رستم: آباء الكنيسة – القرون الثلاثة الأولى، ١٩٨٣م، ص ٣٠-٣١. Eragrius: His Eoc. 1: 16.

رسائله

إن كان التاريخ يشهد بروعة ما كتبه القدّيس أغناطيوس من رسائل، إلاَّ إنّها أثارت جدلاً كثيرًا أكثر من أي وثائق أخرى من كتابات آباء الكنيسة الأولين، فقد كتب عنها كثير من الدارسين. وقد ظهرت ١٥ رسالة: ٧ رسائل حقيقيّة، ٨ رسائل مزيفة.

الرسائل الحقيقيّة موجّهة إلى كنائس أفسس ومغنيسيّة وترواليا (ترالز Tralles) وروما وفيلادلفيا وسميرنا (إزمير) وإلي الشهيد بوليكاربوس. أمّا المزيّفة فموجّهة إلى السيّدة العذراء ومريم الكاسابيليّة (الكسبولة Cassabola) والرسول يوحنا (رسالتان) وهيرون (شماس أنطاكي) وإلى كنائس أنطاكية وفيلبّي وطرطوس (تراسيا).

وصلت إلينا الرسائل الحقيقيّة في مجموعات ثلاث: قصيرة (يونانيّة) وطويلة ومختصرة (سريانيّة). اتفق معظم العلماء على أن النص القصير هو النص الأصلي، وأما المطوّل فجاء شارحًا للأصل، كما قال Lardner في كتابه Credibility of the Gospel History عام ١٧٤٣م. هكذا رأى كل من جورتن Gorten (١٧٥١م) وموسهيم Mosheim (١٧٥٥م) وجريسباخ Griesbach (١٧٦٨م) وروسنملر Rosenmiller (١٧٩٥م) ونيندر Neander (١٨٢٦م)... الخ.

حُفظ النص القصير في مخطوطة يونانيّة قديمة[9] وهي تعود إلى القرن الثاني، لكنها لا تشمل نص الرسالة إلى أهل روما. وقدّم النسخ التي تتضمّن نص الرسالة إلى روما لا تعود إلى ما قبل القرن العاشر[١٠].

ظهرت المشكلة من جديد عندما اكتشفت ثلاث من هذه الرسائل باللغة السريانيّة ضمن المخطوطات التي أُخذت من دير السيّدة العذراء ديبارا Deipara بصحراء نتريا بمصر وأودعت بالمتحف البريطاني، وقام وليم كرتن Cureton بنشرّها عام ١٨٤٥م. هذه الرسائل هي إلى بليكربس وإلى روما وإلى أفسس وهو نص مختصر. لا زال البعض يفاضل بينها وبين النص اليوناني القصير، غير أن Lightfoot وغيره يرون أن النص السرياني هو ترجمة قديمة لما جاء في النص القصير اليوناني.

أما من جهة أصالة الرسائل السبع فقد تشكّك بعض البروتستانت في أصالتها إذ رأوا أنّه لا يُعقل أن تكون الكنيسة قد انتظمت بقدر ما جاء في الرسائل في عصر تراجان، غير أن Lightfoot وHarnak وZan وغيرهم أثبتوا بأدلة داخليّة وخارجيّة تأكيد أصالتها. والواقع أن القدّيس بوليكاربوس نفسه أشار إلى هذه الرسائل في رسالته إلى أهل فيلبّي وبعث نسخًا منها إليهم[١١]، وذكر هذه الرسائل بترتيبها التقليدي كل من أوريجينوس وإيريناؤس، كما أيَّدهما في ذلك يوسابيوس القيصري[١٢].

[9] Codex Mediceus Laurentiarnus, 57:7.

[10] Codex Paris, Graec., 1457.

[11] Ep. of Polycarp 13: 2.

[١٢] أسد رستم، ص ٣٢؛ يوسابيوس ٣: ٣٦.

المفاهيم

اللاهوتيّة والروحيّة

يرى Jules Lebreton أنّه من بين كل شهود الكنيسة المسيحيّة في بدء القرن الثاني من أسقف وشهيد ليس من يحمل شهرة مثل القدّيس أغناطيوس الأنطاكي، ولا من شهد لمسيحه مثله[1]. ومع هذا فإن سرّ شهرته هي اللحظات الأخيرة من القبض عليه واستشهاده؛ فقصّة استشهاده هي سيرة حياتهم التي تبدأ وتنتهي مع وقائع نياحته. استشهاده أعطى لحياتهم حيويّة خاصة، وأبرزه ككاتب ولاهوتي[2].

لا نعرف للقدّيس أعمالاً ثقافيّة سوى رسائله التي كتبها بسرعة في طريقه للاستشهاد وهو تحت حراسة مشدّدة. لم يكتبها بعد إعداد طويل، بل في عجلة شديدة كأسير يترقب موته سريعًا. لهذا لا نتوقّع فيها رسائل لاهوتيّة تشرح العقيدة المسيحيّة، ولا تنظيميّة تصف النظام الكنسي، إنّما نجد فيها شهادة مخلّصة حيّة وملتهبة نحو الإيمان والحياة المسيحيّة إذ كان يستعد بفرح لاحتمال العذابات بل والموت من أجل مسيحه، مشتاقًا أن ينعم الكل معه بأكاليل المجد، كاشفًا عن حبه للكنيسة وخلاص كل نفس.

بالرغم من هذه الظروف قدّمت لنا رسائل القدّيس أغناطيوس مفاهيم إيمانيّة حيّة تمس العقيدة المسيحيّة، خاصة في التجسّد الإلهي وعمل المسيح الخلاصي والأفخارستيّا والكنيسة والوحدة، تكشف عن نظرة الكنيسة الأولى وعقيدتها، ممّا يجعل دراسة هذه الرسائل شيقة ونافعة.

اتسمت مفاهيمه اللاهوتيّة بالآتي:

١. إذ جمع القدّيس أغناطيوس في شخصه البساطة الشديدة بلا تكلف مع الصراحة وعدم حبه للدعاية والمظاهر وأيضًا الصلابة في التمسّك بالإيمان المستقيم، كتب لا كدارس باحث، وإنّما كراعٍ يقظ وأب محب مترفق، يهتم بإبراز الحق في استقامة، وحفظ أولاده من البدع، خاصة المعاصرة له مثل (الخياليّين) أو الدوسيتيّين[3] Docetists الذين حملوا اتجاهًا نحو إنكار التجسّد والصلب بكون الجسد "خيالاً". كتب ليشعل قلوب أولاده بنار الحب الإلهي، ويبعث فيهم الانشغال بالحضرة الإلهيّة، والتمتّع بالكنيسة الجامعة (الكاثوليكيّة) كحياة معاشة واتّحاد مع المسيح.

٢. العقيدة – كما تظهر من رسائله – ليست فكرًا فلسفيًا، وإنّما هي حياة معاشة، يختبرها المؤمن دون فصل بين الإيمان بالله (اللاهوت) وعمله الخلاصي وممارسة الحياة الكنسيّة على صعيد الروح خلال الواقع

[1] J. Lebreton, Jaques Zeiller: The History of the Primitive Church, London 1944, vol. 2, please 349.

[2] Rev. H. S. Holland: the Apostolic Fathers, SPCK London, p. 116.

[3] كلمة "دوسيت" مأخوذة عن اليونانيّة " ooke'w، تعني "أبدو I seem". ظهر هذا الاتجاه – أكثر منه تعليم محدّد رسمي – منذ القرن الأول، ينادي بأن السيّد المسيح لم يكن له جسد حقيقي بل ظاهري، وبالتالي لم يتألم ولا صُلب... ظهر هذا الاتجاه بأكثر قوة في الغنوسيّة في القرن الثاني. Cross: Dict. of the Christian Church, p. 413.

العملي مع انشغاله بخلاص اخوته.

يتحدّث كشاهد حقيقي للسيّد المسيح الساكن فيه، وكمختبر للحياة الكنسيّة السرائريّة والعمليّة، يعيش حول المذبح داخل الهيكل، ويمارس الحب والوحدة، كما يكشف عن أبوته العاملة لخلاص كل نفس.

٣. يركّز على الوحدة المسيحيّة في كل رسائله، فيحسب نفسه مكرّسا لهذا العمل: [لقد قمتُ بما في وسعي القيام به كإنسان يعيش من أجل الوحدة[٤].]

٤. خلافًا للقدّيس إكليمنضس الروماني، لا يقتبس من العهد القديم، وإنّما لأنّه تلقى تربية مستقلّة عن مجمع اليهود، بكونه نبتة جديدة ظهرت في أرض وثنيّة من زرع مسيحي تقي[٥].

٥. كشفت لنا هذه الرسائل عن روح آبائنا من جهة حبهم الملتهب نحو الله، وشوقهم لتمتّع الكل بالروح الكنسيّة الإنجيليّة، ورغبتهم الصادقّة نحو الاستشهاد مع حزمهم الشديد ضدّ الهرطقات ومقاومتهم لها ولأصحاب البدع والمنشقّين عن الكنيسة، وفتحهم باب التوبة على مصراعيه أمام الراغبين منهم في العودة إلى أحضان الكنيسة.

عم حزم القدّيس بخصوص الهرطقات نراه الإنسان الرقيق الوديع والمتضّع، لا يكف عن أن يطلب من الشعوب المقدّسة أن تصلي عنه وعن شعبه، وحينما يتحدّث عن نفسه يرى أنّه أقل إنسان في شعبه!

٦. جاءت هذه الرسائل بعد حوالي ١٥ عامًا من رسالة القدّيس إكليمنضس الروماني، فنجد بينهما بعض التشابه حيث يشترك الكاتبان في رغبتهما من جهة الكنيسة أن تعيش بنظام وترتيب في سلام وخضوع للرئاسات، مع شوق حار نحو الوحدة؛ لكنّه يوجد أيضًا اختلاف واضح بين الأسقفين، فالقدّيس إكليمنضس لا يقف عند النصح بل بسلطان يقدّم مشورةً يلزم إتباعها، أمّا القدّيس أغناطيوس فأخذ اتجاهًا آخر، فمع كونه أسقفًا وما كان له من تقدير خاص لمعترف في طريقه للاستشهاد لم ينته أسلوب السلطة بل المشورة والنصح الأخوي أو الأبوي[٦]. ففي رسالته إلى أهل ترواليا كتب: [في حبي لكم أكف عن تقديم ملاحظات قاسية أقدّمها لكم بخصوص أسقفكم، لستُ آمركم كرّسولٍ، وإنّما فقط كشخصٍ ينصحكم][٧].

٧. كتابته الرسائل وعيناه تتطلّعان لا إلى روما حيث تنتهي حياتهم الزمنيّة بل بالحري إلى السيّد المسيح السماوي وهو يُعد له موضعًا في الأمجاد طبع عليها **اتجاهًا اسخاتولوچيًا** (أو انقضائيًا). في رسالته إلى روما يقول: [عندئذ أصير تلميذًا حقيقيًا ليسوع المسيح عندما لا يعود يرى العالم جسدي بعد[٨]؛ [عندما

[4] Ep. to Phlad. 8.

[٥] الأصول المسيحيّة الشرقيّة: (١) رسائل رعويّة، ترجمها قودم لها چورچ صابر، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٣٣.

[6] J. Lebreton, p. 351, 2

[7] Trall. 3:3.

[8] Rom. 4:1-2.

اختفي من هذا العالم استطيع أن أُدعى مؤمنًا حقيقيًا[9].] [ليس شيء منظور جميلاً؛ حتى إلهنا يسوع المسيح يعلن بصورة أفضل الآن إذ عاد إلى حضن الآب[10].]

هكذا يرتفع قلبه إلى الدهر الآتي لينعم بالتلمذة الحقيقيّة، ويحسب بالحق مؤمنًا، بل ويرى مسيحه في كمال بهاء لاهوته الذي كان مختفيًا في الجسد.

١. المسيح المخلّص

"المسيح المخلّص" هو محور لاهوت القدّيس أغناطيوس، الذي استقاه من القدّيس بولس الرسول متأثّرًا بل ومتمتّعا بدسم لاهوتيات القدّيس يوحنا الإنجيلي[11].

أ. السيّد المسيح هو المعلّم الذي تتلمذ عليه الأنبياء قبل مجيئه وذلك بعمل الروح القدس الذي سبق فوجّه أنظارهم إلى المعلّم، المسيّا المخلّص، وقد تحقّقت نبوّاته واشتياقهم بمجيئه.

[يسوع المسيح معلّمنا الأوحد... حتى الأنبياء تتلمذوا له بالروح، وقد توقّعوا مجيئه معلّما[12].]

ب. أوضح لاهوت السيّد المسيح وناسوته بجلاء تام:

[يوجد طبيب واحد، هو في الوقت نفسه جسم وروح (إنسان وإله)، مولود *gennetos*، وغير مولود، الله صار إنسانا. حياة حقيقيّة في موت (جسد قابل للموت)، من مريم ومن الله، في البدء كان قابلاً للألم وأصبح الآن غير قابل للألم، هو يسوع المسيح ربّنا[13].]

[هو بالحقيقة من نسل داود حسب الجسد، وهو ابن الله حسب الولادة الآب وقوّته، وقد وُلد حقًا من عذراء وعمّده يوحنا حتى يتمّم كل برّ[14].]

أنّه فوق الزمن وغير منظور.

[تطلّع إلى ذاك الذي هو فوق الزمن – غير الخاضع للزمن ولا منظور، الذي لأجلنا صار مرئيًا، غير الخاضع للألم صار لحسابنا خاضعًا للألم، محتملاً كل شيء لأجلنا[15].]

ج. حياتنا الجديدة هي في المسيح يسوع مصدر الحياة كما سنرى في الحديث عن الخلاص وعن الشركة في

[9] Rom. 3:2.

[10] Rom. 3:3.

[11] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 66.

[12] Magn. 9:1-2.

[13] Eph. 7:2.

[14] Smyrn. 1:1.

[15] Polyc. 3:2.

المسيح.

الخلاص

اهتم القدّيس أغناطيوس بعمل السيّد المسيح الخلاصي، معلنًا أن قصد الله هو خلاص البشر، الذي يتحقّق بالتجسّد الإلهي فالصلب والقيامة. ولعلّ سبب تركيزه على ذلك مقاومته للدوسيتيّين Docetists "للخياليّين"، الذين ينكرون حقيقة التجسّد وبالتالي ينكرون الصلب[١٦].

في رأي القدّيس أغناطيوس[١٧]: توجد مملكتان: مملكة الله مصدر الحياة والخلود وحده ومملكة إبليس المؤقتة يسودها الفساد والموت. أمّا **الإنسان فبذاته لا تتمتّع نفسه بالخلود... أنّه في حاجة أن يتّحد بالمسيح واهب الحياة والخلود.** فمن كلماته: [لا تنكر صلاحه (المسيح)، لأنّه لو عاملنا بالمثل كما نعامله لقُضي علينا[١٨].]

الآن كيف يتحقّق الخلاص؟

أ. السيّد المسيح كواهب الحياة وحده قادر أن يطهّرنا من سلطان الفساد والموت إذ يقول:

[وُلد واعتمد لكي يطهّر الماء بآلامه[١٩].]

[ينشر على كنيسته عطر الخلود[٢٠].]

[بدونه ليست لنا حياة حقيقيّة[٢١].]

ب. لقد صُلب السيّد المسيح حقًا[٢٢]، لكي يهبنا بصليبه الحياة، لذا يدعو الصليب "شجرة الحياة[٢٣]"، أغصانها هم المؤمنون الثابتون فيه، يحملون ثمارًا غير فاسدة[٢٤]. الصليب هو أساس الاستشهاد كدعوة لقبول الموت مع المصلوب. إذ يقول: [دعوني اقتدي بآلام إلهي؛ من كان الله معه فليفهم ما أريد... أنا حنطة الله! أُطحن تحت أنيابها لأصبح خبزًا نقيًا للمسيح... حينئذ أصبح تلميذًا حقيقيًا ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم

[١٦] مغنيسيا ١١: ١؛ ترالليا ٩: ١-١٠: ١.

[١٧] الأب يوحنا رومانيدس: لاهوت الكنيسة عند القدّيس أغناطيوس الأنطاكي، ترجمة الأب ميشال نجم.

[١٨] مغنيسيا ١٠.

[١٩] أفسس ١٨.

[٢٠] أفسس ١٧.

[٢١] ترالليا ٩: ٢.

[٢٢] ترالليا ٩: ١.

[٢٣] ازمير ١: ٢.

[٢٤] ترالليا ١١: ٢.

جسدي[٢٥].]

ج. بالموت حطّم السيّد المسيح الشيطان ونزع عنّا الموت:

[لا تعيشوا كسائر الناس بل بحب يسوع المسيح الذي مات لأجلكم الذي **إذا آمنتم بموته تخلّصون من الموت**[٢٦].]

د. باتّحادنا بجسد المسيح القائم من الأموات نستهين بالموت وننتصر عليه. إذ تكون الحياة المُقامة ليست فقط في متناول يد المؤمن بل عاملة فيه خلال شركته مع مسيحه.

[أما أنا فأعرف وأؤمن أنّه ظل في الجسد حتى بعد قيامته... في الحال لمسوه (لو٢٤: ٣٩) وآمنوا واتّحدوا بجسده وروحه، فاستهانوا بالموت وانتصروا عليه. وبعد قيامته أكل وشرب مثل البشر، لكنّه كان متحدًا بالآب في الروح[٢٧].]

يرى أن الكلمة تجسّد حقًا ووُلد وصُلب حقًا ومات حقًا أمام السمائيّين والأرضيّين والذين تحت الأرض، غايته أن تكون قيامته حقيقة واقعة ، ليهبنا جسده المقام فنقوم فيه ومعه. [وقام حقًا من الموت، والآب هو الذي أقامه، وسيقيمنا نحن في يسوع المسيح وكل الذين آمنوا به، فبدونه ليست لنا حياة حقيقيّة[٢٨].]

هـ. إن كنا لن نتمتّع بالحياة المقامة ما لم نؤمن بالمسيح القائم من الأموات ونتحد به ونسكن فيه، فإن لهذا الإيمان وهذه الشركة وجها عمليًا هو تمتّعنا بالحب كسمة الله الآب بيسوع المسيح الواهبة الغلبة على نتائج الموت، أي على الخطيّة. كأن الإيمان يستلزم اتّحادا مع المسيح الحب؛ بالوحدة والحب ننعم بخلودنا مع الله وفيه.

نظرته للموت

يرى **الأب رومانيدس** في كتابه: [لاهوت الكنيسة عند القدّيس أغناطيوس] أن شوقه إلى الموت ليس عن حماس أخروي ولا عن تعب، إنّما عن فهم كتابي (إنجيلي) للشيطان حيث يرتبط مع الموت (٢كو٢: ١١). ففي نظره الخوف من الموت هو استعباد للشيطان، أمّا من يتحد بالسيّد المسيح ويتتلمذ له فلا يخاف الموت، لأنّه يتمتّع بالاتّحاد مع الحياة والخلود وعدم الفساد... بالموت يبلغ الإنسان إلى الآب والسيّد المسيح فينعم بالحياة الخالدة.

[أمامنا شيئان: الموت والحياة... توجد عُملتان: عملة الله وعملة العالم، ولكل منهما ختم خاص بها. لغير المؤمنين ختم العالم، وللمؤمنين القائمين في المحبّة ختم الله الآب بيسوع المسيح. **إن لم نختر بملء حرّيتنا أن نموت معه**

[٢٥] روما ١١: ٣؛ ٤: ١-٢.

[٢٦] ترالليا ٢.

[٢٧] أزمير ٣: ١-٣.

[٢٨] ترالليا ٩: ٢.

لنشترك في آلامه، فحياتهم ليست فينا[٢٩].]

[لتأت عليَّ كل هذه: النار والصليب، مجابهة الحيوانات المفترسة، التمزيق والكسر... لتنصب عليَّ كل عذابات الشيطان، **على أنّني أبلغ يسوع المسيح**[٣٠].]

[رئيس هذا العالم (الشيطان) يفرح بإقصائي بعيدًا عن الله وإفساد اشتياقي إليه؛ ليتكم أيها القاطنون بروما لا تعاونوه بل تكونوا في جانبي، أي مع الله[٣١].]

[لماذا أسلِّم نفسي إلى الموت، إلى النار، إلى السيف، إلى الوحوش الضارية!... القريب من السيف هو قريب من الله، والذي مع الوحوش هو مع الله، على أن يتم ذلك كلّه باسم يسوع المسيح؛ وإنني احتمل كل شيء لاشترك في آلامه[٣٢].]

جاء في حواره مع تراجان: [أنا كاهن سيّدي يسوع المسيح، وله أقدّم الذبيحة كل يوم، وأرغب أن **أقدّم حياتي ذبيحة** كما قدّم حياتهم ذبيحة، حبًا فيَّ.]

٢. الكنيسة

أ. موضع الذبيحة Thysiasterion

إذ كان القدّيس أغناطيوس متهلّلاً بالروح وهو في طريقه للاستشهاد عبر عن نظرته للكنيسة بكونها جسد المسيح المبذول؛ إذ يقدّم المسيح الأفخارستيّا، جسده ودمه المبذولين لتعيش الكنيسة تنعم مع عريسها بروح البذل. هذا ما دفعه لتعريف الكنيسة "**موضع الذبيحة**" في أكثر من موضع[٣٣].

ب. جماعة حب

بانتصار المسيح على الموت والشيطان، يستطيع المؤمن بجسد المسيح أن يتّحد بحياة الله ومحبّته، بالاتّحاد مع قريبه. الإيمان ومحبّة القريب حقيقة واحدة؛ بداية الحياة في المسيح ونهايتها[٣٤]، إذ أن الوحدة مع القريب بالحب هي [رمز ومثال للخلود[٣٥]]؛ [كل الأمور حسنة على السواء؛ إذا آمنتم وأنتم في المحبّة[٣٦].]

[29] Magn. 5.

[30] Rom. 5.

[31] Rom. 7.

[32] Smyrn. 4.

[33] Ephes. 5:2; Trall. 7:2; Philad. 4.

[34] Ephes. 14.

[35] Magn. 6.

[36] Philad. 9.

السيّد المسيح هو الحياة الخالدة، إذ يهبنا الحياة يعطينا الحب الإلهي: [فإن شرابه أي دمه... هو المحبّة غير الفاسدة[٣٧].]

كان الخلاص في مفهومه ليس مجرّد تغيير وضع الإنسان بالنسبة لله، ولا مجرّد إقامة علاقة جديدة بينهما، إنّما هو مشاركة الإنسان في الحياة الإلهيّة وفي حب الآب في المسيح تتجلّى في حبّه للقريب، فيحصل على الخلود ويتجنّب الموت[٣٨].

الخلاص هو عودة الخلود إلى الذين يشركون كجماعة واحدة في المحبّة اللانهائيّة؛ وهو تبرير الإنسان بتدمير الموت وتقييد إبليس؛ والتمتّع بالقوّة لدحر الشيطان ل اقتناء الحب اللاّأناني لله والقريب.

ج. جماعة شكر وتسبيح

إذ نجتمع معًا بالحب كهبة إلهيّة لا يستطيع الشيطان أن يهيمن علينا، وتتحوّل حياتنا إلى حياة شكر لله وتسبيح له.

الكنيسة جماعة أفخارستيّا، ترتبط بذبيحة السيّد المسيح (الأفخارستيّا)، فتحمل طبيعة الشكر عوض الجحود، والتسبيح والفرح بالنصرة والغلبة.

لا يرى القدّيس أغناطيوس في سرّ الشكر أو الأفخارستيّا تحقيقًا لواجب كنسي معين وإنّما تمتّع بحياة الحب مع النقاوة، التي تدخل بنا إلى الخلود، كما يف فيه سلاحًا يهب المؤمن غلبة دائمة على عدو الخير.

بمعنى آخر خلال سرّ الشكر تظهر الكنيسة من جانبين:

١. جانب إيجابي: تمتّع بالحب والنقاوة والوحدة وشركة الخلود مع التسبيح والفرح... هذه هي سمات الكنيسة المجتمعة بالحق حول المذبح لتشترك في سرّ الأفخارستيّا.

٢. جانب سلبي: تقاوم إبليس وتغلبه.

[اهتموا في أن تجتمعوا بكثافة أكثر لتقديم الشكر والمجد لله، فعندما تجتمعون مرارًا معًا في الاجتماع الأفخارستي، تضمحلّ قوى الشيطان، وتنحل قوّته أمام اتفاق إيمانكم وتآلفه[٣٩].]

[لا يخدعن أحد نفسه، فإذا كان الإنسان خارج الهيكل يُحرم من خبز الله... ومن لا يأتي إلى الاجتماع معًا يتكبر ويقطع نفس عن الشركة[٤٠].]

[37] Rom. 7.

[38] Ephes. 20; Rom. 7; Smyrn. 7.

[39] Ephes. 13.

[40] Ephes. 5.

[من كان داخل المذبح فهو نقي، وأما من كان خارج المذبح فهو ليس نقيًا[٤١].]

د. كنيسة المسيح

ما دامت الكنيسة هي جماعة حب وشكر وتسبيح تجتمع حول الذبيحة والمذبح، لذا يقول القدّيس أغناطيوس: [حيث يكون المسيح تكون الكنيسة الجامعة (الكاثوليكيّة)[٤٢].] إنّها ليست مجرّد جماعة محبّة لبعضها البعض، ولا شاكرة، وإنّما هي قائمة "في المسيح".

هـ. كاثوليكيّة الكنيسة (جموعيّة الكنيسة!)

أول من دعي الكنيسة بالكاثوليكيّة هو القدّيس أغناطيوس، هذا لا يعني إنّها من وضعه، لكن سجّل ما كان سائدًا في عصره عن جامعيّة الكنيسة وكلمة "كاثوليكيّة" مركبة من مقطعين، هما "كاث" و"اولو" kay وolo، أي الكل معًا في وحدة، وهي كلمة شرقيّة من واقع الخبرة الشرقيّة، لا علاقة لها بالمفهوم الخاص بالكنيسة اللاتينيّة، استخدمت الكلمة في الليتورچيّات الشرقيّة، لا لتعني الوجود في بقعة معيّنة أو الوجود الجغرافي حتى في العالم إنّما الوجود الروحي وارتباطه حول المذبح الواحد. صفة الكاثوليكيّة تقوم على الاتّحاد مع المسيح الواحد الذي يجمع أبناء الله المتفرّقين إلى واحد (يو ١١: ٥٢).

[اجتمعوا في هيكل واحد لله، حول مذبح واحد، في يسوع المسيح الوحيد، الذي خرج من آبٍ واحد، وكان معه واحدًا، وإليه عاد وهو واحد[٤٣].]

إذ تتحقّق الوحدة في سرّ الأفخارستيّا، تكرّرت كثيرًا عبارات "جسد واحد"، "مذبح واحد"، "هيكل واحد"... الخ.

إذن كاثوليكيّة الكنيسة ليست هي مجموعة الكنائس المنتشرة في العالم، بل هي جسد المسيح الذي تلتئم فيه كل الشعوب، تتحد معه اتّحاده بالآب.

الوحدة الكنسيّة

يتوق القدّيس أغناطيوس إلى الوحدة، وكأنّه قد كرّس كل حياتهم وخدمته لهذا الهدف، هذه الوحدة إنّما تقوم كأيقونة حيّة للوحدة بين الآب والسيّد المسيح، وكعلاقة للحب.

أ. **وحدانيّة الله:** قلما يشدّد على ذلك، ذلك أنّه لم يواجه مشكلة تعدد الآلهة لدى الوثنيّين... مرّة واحدة قال: [واحد هو الله، أظهر نفسه بابنه يسوع المسيح[٤٤].]

[41] Trall. 7.

[42] Smyrn. 8.

[43] Magnes. 7:2.

[44] Magnes. 8.

الله الواحد هو الثالوث[٤٥]، الآب أبو يسوع المسيح[٤٦]، والمسيح إلهنا[٤٧]، والروح القدس.

ب. **وحدة الآب والمسيح:** ممّا يسترعي انتباه القارئ تكرار التعبير "الله الآب والمسيح[٤٨]" أو ما يعادلها.

الآب والسيّد المسيح هما رجاؤنا المشترك[٤٩]، مصدرا الحب والرحمة والنجاح[٥٠]، مصدرا سلطان الكاهن[٥١].

حياتنا هنا هي "في المسيح[٥٢]"، كما "في الله (الآب)[٥٣]"، وغاية حياتنا هو أن "تنال الله[٥٤]" أو "تنال المسيح[٥٥]".

المسيحيّون هم هياكل الله وهياكل المسيح، يسكن الله فيهم وهكذا المسيح[٥٦].

بمعنى آخر تعلن وحدة الآب مع الابن لا مجرّد عقيدة إيمانيّة وإنّما تمس حياتنا المسيحيّة في هذا العالم، وفي غايتنا بل وفي رجائنا في السماء[٥٧]، غير إنّنا لا نجد خلطًا في الرسائل بين الآب والابن بل تمايزًا واضحًا دون انفصال. الابن يخضع للآب حسب الجسد، وبتأنّسه يتألّم دون الآب، هذا التمايز أزلي لا يقوم على أساس التجسّد.

ج. **وحدة شخص المسيح:** وحدة اللاهوت والناسوت، آلامه هي آلام الله، بدمه المهراق على الصليب يحصل المسيحيّون على الحياة[٥٨]. ينسب آلام الناسوت إلى اللاهوت[٥٩]، يصف دم السيّد المسيح أنّه "دم الله[٦٠]".

[45] Trall. 2:1-2.

[46] Ephes. 2:1.

[47] Ephes. 9:1.

[48] Thilad. inscr. 1:1; 3:2; Polyc. insc.; Ephes. inscr. 21:2; Magnes. inscr.; Trall. 1:1;12:2; Smyrn. inscr.

[49] Ephes. 21:2.

[50] Philad. 1; Trall. 1.

[51] Philad. 1.

[52] Ephes. 3:1; 8:2; 10:3; 11:1, 2; 12:2; 20:2; 21:2.

[53] Ephes. 6:2; Magnes. 3:3; 14; Trall 4:1; 8:2; Plycarb. 1:1.

[54] Ephes. 12:2; Magnes. 14:21; Trall. 12:2; 13:3; Rom. 1: 1; 2:2; 4:1; 9:2; Smyrn. 12:1, Polyc. 12:1; Polyc. 2:3; 7:1.

[55] Rom. 5:3; 6:1.

[56] Philad. 7: 2; Eph. 9: 2; Magn. 12.

[57] Leberton. P. 359.

[58] Ephes. 20.

[59] Rom. 1.

د. [يوجد طبيب واحد، هو في الوقت نفسه جسم وروح (إنسان وإله)[٦١].]

هـ. **وحدة المسيحيّين والكنيسة:** منذ بداية الكنيسة قامت بين الكنائس رسائل متبادلة وزيارات ولقاءات على مستوى الأساقفة والكهنة واللاهوتيّين. كنيستا أفسس وسميرنا انتابهما القلق على كنيسة أنطاكية التي حرمها الاضطهاد راعيها، وانكبت كنيسة روما تعمل لإنقاذ الأسقف راعي كنيسة أنطاكية من الاستشهاد، كما لو كان أحد أعضائها... أما القدّيس فقد كشف للكل عن مفهوم الاستشهاد معلنًا شوقه الحار للتمتّع به. لقد طلب من شعب روما الصلاة من أجل كنيسة أنطاكية. عادة عندما يعود السلام إلى كنيسة مضطهدة تفرح معها سائر الكنائس وترسل إليها وفودًا للتهاني[٦٢].

هذا من جهة وحدة الكنائس فيما بينهما، وقد سبق لنا الحديث عن كاثوليكيّة الكنيسة أو جامعيتها كأعضاء في جسد المسيح الواحد الذبيح... يجتمع الكل حول مسيحٍ واحد ومذبحٍ واحد!

وتتحقّق الوحدة في الكنيسة المحلّية خلال الأسقف المنظور الذي يمثّل الأسقف غير المنظور[٦٣]، سلطانه ينحدر من الرسل، وهو صورة الله غير المنظور[٦٤].

رأينا أن القدّيس أغناطيوس قد كرّس حياته من أجل الوحدة، ففي نظره الأسقف هو حارس الوحدة بكونه راعٍ يهتم بحياة الرعيّة.

هيكل مقدّس

يرى القدّيس أغناطيوس كجماعة مؤمنين تتمتّع بالمقادس الإلهيّة، خلال ذبيحة المسيح الكفاريّة، خاصة عند تقديم سرّ الشكر "الأفخارستيّا"... وهو في هذا لا يفصل بين الكنيسة كجسد المسيح الواحد وكحياة "داخليّة" فيرى في المؤمن هيكلاً مقدّسا يحل الله فيه، كقول الرسول بولس: "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتريتم بثمن؛ فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو٦: ١٩-٢٠).

نحن هيكله نقتنيه فينا وهو يقتنينا بدمه الثمين.

[لنعمل ما ينبغي علينا عمله، معتبرين أنّه حالّ فينا، **ونحن هياكله،** وهو إلهنا الساكن فينا. وهذا سيظهر لنا بكل

[60] Ephes. 1:1.

[61] Ephes. 7.

[62] Philad. 10; Smyrn. 11; Polyc. 7.

[63] Magnes. 3.

[64] Ephes. 6; Magnes. 6; Tral. 3.

وضوح إن أحببناه باستقامة[٦٥].]

[اعتبرتم نفوسكم حجارة هيكل الآب أُعدت لبناء الله، ورُفعتم إلى فوق بأداة يسوع المسيح، أي بالصليب، وبحبل الروح القدس. إيمانكم يسحبكم إلى فوق، والمحبّة هي الطريق الذي يؤدي بكم إلى الله.

أنتم إذن رفاق الطريق، حاملون الله Theophoroi والهيكل Naophoroi والمسيح Christophori والقدساتَ Agiaphoroi[٦٦].]

حامل الله (الثيوفورس)

يلقب القدّيس أغناطيوس نفسه في كل افتتاحيّة من رسائله بالثيوفورس وعند محاكمته سأله تراجان الإمبراطور: "ماذا تقصد بحامل الله "ثيوفورس""؟ أجابه: "أن يكون السيّد المسيح في قلبه". ونراه في النصف السابق يدعو المؤمن "ثيوفورس" أي حامل الله، و"ثاؤفورس" أي حامل الهيكل و"خريستوفورس" أي حامل المسيح، و"أجيافورس" أي حامل القدسات.

غاية إيماننا بالسيّد المسيح أن نكتشف مركزنا الجديد، صرنا قريبين للغاية من إلهنا ومن قدساته... صرنا نحمله فينا كمقدّسات مكرّسة له، الأمر الذي يحوّل قلبنا إلى ملكوت مفرح وسط الآلام، له سماته السماويّة ونحن بعد سالكون على الأرض، نتمتّع بالشركة مع السمائيّين والقدّيسين. خلال هذه النظرة الجديدة ننعم بمفاهيم جديدة لعل اقتنا مع الله بل مع أنفسنا ومع الطغمات السمائيّة ومع جماعة المؤمنين بل مع كل البشريّة... يصير لنا فكر المسيح المتّسع المملوء حبًا نحو الكل!

الشركة مع المسيح

لا يقف الأمر عند حملنا للسيّد المسيح، إنّما ننال اتّحادا معه ووجودًا فيه؛ لذا يكرّر القدّيس أغناطيوس تعبير "في المسيح" أو "الوجود فيه"، يريدنا أن نوجد فيه.

[بكل نقاوة ورزانة أقيموا في المسيح يسوع، بالجسد والروح[٦٧].]

[أصلّ أن توجد فيهم **نعمة الاتّحاد** بجسد يسوع المسيح وروحه، الذي هو حياتنا الأبدي؛ وحدة الإيمان والحب، التي لا شيء يفضلها[٦٨].]

[الأمر الوحيد الضروري هو الوجود في المسيح يسوع للحياة الأبديّة[٦٩].]

65 Ephes. 15:3.

66 Ephes. 9:1, 2.

67 Ephes. 10:3.

68 Magnes. 1:2.

69 Ephes. 11:1.

الاقتداء بالمسيح

يقول J. Quasten[٧٠] أنّه ليس من كاتب في الحقبة المسيحيّة الأولى في بلاغة أغناطيوس عندما كتب عن "الاقتداء بالمسيح". إن أردنا أن نعيش حياة المسيح والله لزمنا قبول مبادئ الله والمسيح وسماتّها.

[لا يستطيع الجسديّون أن يأتوا بأعمال روحيّة، ولا الروحيّون عمل الجسديّين؛ ولا يمكن للإيمان أن يمارس عمل الكفر، ولا الكفر عمل الإيمان والأعمال التي يمارسونها حتى في الجسد هي روحيّة، لأنكم تعملون كل شيء في اتّحاد مع يسوع المسيح[٧١].]

[امتثلوا بيسوع المسيح كما يمتثل هو بالآب[٧٢].]

[دعوني أمتثل بآلام إلهي[٧٣].]

الأفخارستيّا

كثيرًا ما تحدّث القدّيس في رسائله عن الأفخارستيّا، لأن الدوسيّتين الذين ينكرون التجسّد يرفضون التناول من جسد الرب ودمه: [يمتنعون عن الأفخارستيّا والصلاة، لأنّه ينكرون أن الأفخارستيّا جسد مخلّصنا يسوع المسيح[٧٤].]

يمكننا تلخيص نظرته إلى الأفخارستيّا في النقاط التالية:

١. الأفخارستيّا بالنسبة للمؤمن هي:

أ. غذاء روحي يشبع النفس، ويهبها الخلود[٧٥].

ب. دواء يشفي المؤمن من أمراض الروح وضعفاتها ومن الموت[٧٦].

ج. تمتّع بالوحدة مع الله والكنيسة، حيث يجتمع المؤمنون حول الأسقف، وحول مذبح واحد، ليس لربّنا يسوع المسيح سوى جسد واحد وكأس واحدة توحّدنا بدمه[٧٧].

[70] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 70, 71.

[71] Ephes. 8:2.

[72] Philad. 7:2.

[73] Rom. 6:3.

[74] Smyrn. 7:1.

[75] Ephes. 20:2.

[76] Ephes. 20:2.

[77] Phiald. 4.

٢. يتطلّع القدّيس أغناطيوس إلى الأفخارستيّا كذبيحة thysia حقيقيّة، فكثيرًا ما يشير إلى المذبح والذبيحة والهيكل[٧٨].

يؤكّد بعض الدارسين أنّه لا يمكن أن يكون حديثه عن الأفخارستيّا كذبيحة مجرّد استعذلك لارتباطها بجانب آخر من أهم جوانب العقيدة المسيحيّة، وهي وحدة الكنيسة:

[صلاة واحدة، تضرع واحد، عقل واحد، رجاء واحد في المحبّة وبفرح لا عيب فيه، هذا هو يسوع المسيح... اجتمعوا في هيكل واحد لله حول مذبح واحد في يسوع المسيح الوحيد[٧٩].]

٣. طقس الأفخارستيّا هو حياة و"شركة" مع الله خلال الواقع العملي.

يقول الأب چون رومانيدس أن الأفخارستيّا – في رسائل أغناطيوس – ليس عملاً سحريًا، بل هو إيمان ومحبّة يتّحدان معًا بجسد المسيح ودمه، بحيث يمكن أن يقال ان الإيمان هو هذا الجسد، والمحبّة هي هذا الدم... مؤكّدًا أن الرمز هنا لا ينفي الحقيقة، إذ ننال جسد الرب ودمه المبذولين.

العماد

ذُكر العماد في رسائل القدّيس أغناطيوس أربع مرّات، في اثنتين منها يشير إلى عماد السيّد المسيح في الأردن، والأخريّتين إلى سرّ الكنيسة.

١. [وُلد واعتمد ليطهّر المياه بآلامه[٨٠].]

[عمَّده يوحنا حتى يتم كل برّ...[٨١].]

جاء النصّان الخاصّان بالعماد بين الحديث عن أهم أحداث حياة السيّد المسيح كالحبل به من العذراء والروح القدس، ونسبه لداود، وآلامه، وقيامته؛ ممّا جعل بعض الدارسين يتطلّعون إلى عماد السيّد المسيح كأحد بنود الإيمان الحيّة في التقليد الأنطاكي.

فكرة تطهير المياه بآلام المخلّص أو تكريسها بالمصلوب التي وردت هنا، كانت منتشرة بين آباء الكنيسة، نذكر على سبيل المثال:

✞ لهذه الغاية اعتمد المخلّص هذا الذي لا حاجة به إلى العماد، حتى يقدِّس الماء لأجل الذين سيولدون من جديد[٨٢].

[78] Magnes. 7:1; Tral. 8: 1; Rom. 7:1; Philad. 4:1; Smyrn: 7:1.

[79] Magnes. 7:1, 2.

[80] Ephes 18.

[81] Smyrn. 1.

[82] Les Eclgae, 7.

القدّيس إكليمنضس الإسكندري

- ✞ اعتمد الرب لا ليتطهّر بل ليطهّر المياه، حتى إذا اغتسلت المياه بجسده الذي لم يعرف الخطيّة، جاز لها أن تُستخدم في العماد[٨٣].

القدّيس أمبروسيوس

- ✞ اعتمد المسيح، أعني طهَّر الماء بعماده[٨٤].

العلاّمة ترتليان

نحن نعلم أن اليهود يرون الشيطان ثلاثة مراكز رئيسيّة: المياه والبريّة والهواء، فكان الأمر يحتاج إلى تطهير هذه الثلاثة؛ طهر المياه بعماده، وطهر البريّة بنصرته على التجارب التي أثارها إبليس ضدّه، وطهر الهواء بتعليقه على خشبة الصليب.

بعماده طهَّر المياه خلال دفنه كما في القبر ليهب خلال المعموديّة حياة الجديدة المُقامة.

٢. كتب القدّيس أغناطيوس إلى القدّيس بوليكاربوس: [فليكن لكم عمادكم درعًا، وإيمانكم خوذة، ومحبّتكم حربة، وصبركم سلاحًا][٨٥].

يُلاحظ أنّه يربط العماد بالإيمان مع السلوك الروحي. العماد ليس نهاية الطريق بل هو درع المؤمن الواقي عبر الطريق كلّه.

٣. كتب القدّيس إلى كنيسة سميرنا موضّحًا أنّه لا يمنح العماد بدون علم الأسقف[٨٦].

الاستشهاد

١. لا يتحقّق الموت مع السيّد المسيح والقيامة إلاَّ بقبول الألم حتى الاستشهاد. فالاستشهاد هو شرط التتلمذ الحق للمخلّص الإلهي، لذا دعيت الكنيسة "موضع الذبيحة[٨٧]"، أنّها تجتمع حول السيّد المسيح الذبيح على الدوام، خاصة في سرّ الأفخارستيّا حيث تقدّم ذات ذبيحة الصليب على المذبح. وبتناول جسده ودمه المبذولين يتهيّأ المؤمنون لقبول الاستشهاد بفرح.

هكذا يربط القدّيس أغناطيوس بين الاستشهاد والأفخارستيّا بكونهما وسائل سريّة لتحقيق الاتّحاد مع المسيّا

[83] Expositio Evangleii Secundum Lucan, 2:38.

[84] Adv. Judaeos, 8.

[85] Polyc 6.

[86] Samyrn 8.

[87] Ephes. 5:2; Trall. 7:2; Philad 4.

الذبيح.

[إنكم متمثلون بالله، وقد أكملتم عمل الإخوة حتى النهاية بدم الله. وما أن عرفتم بمجيئي من سوريا، موثقًا لأجل الاسم... راجيًا أن أحظى بمعونة صلاتكم، بمجابهة الوحوش في روما **لأتمكّن من أن أكون حقًا تلميذ المسيح**[٨٨].]

[هيِّجوا هذه الوحوش الضارية لتكون قبرًا لي، ولا تترك شيئًا من جسدي... **حينئذ أصير تلميذًا حقيقيًا ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم جسدي**... صلّوا إلى المسيح من أجلي حتى عندما **أعدّو بفضل الوحوش الضارية ضحيّة إلهي**[٨٩].]

٢. **يرى البعض أن القدّيس أغناطيوس قد تأثّر بالفكر الميستيكي** mysticism (الباطني أو السرّي) الذي للغنوصيّين[٩٠]، إذ يلتهب قلب القدّيس شوقًا نحو الموت أو فداء ذاته ليقتني الله، الله الآب يدعوه في المسيح يسوع وينتظر مجيئه إليه؛ فليمت أغناطيوس ليحيا في المسيح كتلميذ حقيقي يلتقي بمعلّمه وجهًا لوجه. أو بمعنى آخر السيّد المسيح الحال في أغناطيوس، والحاضر في حياتهم إنّما يقتاده عبر الموت إلى حضن الآب فينعم بالحياة الأبديّة.

لقد وُجدت الكنيسة الأولى في كلمات القدّيس أغناطيوس الناريّة بخصوص مفاهيم الاستشهاد والشوق إليه، في رسالته إلى أهل روميّة، فكانت تُقرأ مرّة ومرّات في أوقات الاستشهاد[٩١]، لتهيئة النفوس بالشوق نحو الاتّحاد مع المسيّا المتألّم وقبول دعوته للانطلاق نحو الآب... **[دعوني أمتثل بآلام إلهي!.]**

لقد قدّم لنا لاهوتًا حيًّا عمليًا بخصوص فهم الاستشهاد.

٣. مع ما أظهره القدّيس من شوقٍ عجيب بعدم الاستحقاق أن يكون شهيدًا للرب غير أن قلبه المنفتح على السماء كان منفتحًا على الكنيسة الكاثوليكيّة (الجامعة). لم ينشغل بالأحداث التي يمر بها في اللحظات الأخيرة، وإنّما اهتم وهو أسير أن يلتقي بالشعوب ويكتب للكنائس والأساقفة، مشتاقًا نحو وحدة الكنيسة وبنيانها وشركتها معًا في المسيح يسوع، وكأن المسيحي الحقيقي وهو يقدّم حياتهم ذبيحة حب لله ينشغل بخلاص اخوته وبنيانهم الروحي وتمتّعهم معه بالمجد. الاستشهاد شهادة حب لله والناس، وانفتاح قلب على السمائيّين والأرضيّين لحساب ملكوت الله!

الشهادة للسيّد المسيح[٩٢]

[88] Ephes 1:1, 2.

[89] Rom 1, 2.

[90] Lebreton, p. 357.

[91] St. Irenaeus: Adv Haer. 5: 28: 4; Acts of Perpetua and Felecitus 14; Origen: Der Oratione 20; In Cant. Prolog.

[٩٢] للمؤلف: القدّيسان الشهيدان أغناطيوس و بوليكاربوس، ص ٧٢.

يكتب القدّيس أغناطيوس عن شهادتنا للسيّد المسيح أمام الأمم، كأسقف مختبر عرف كيف يربح نفوسًا كثيرة للسيّد المسيح. لذلك لا ننتظر منه كلامًا منمقًا أو حديثًا شيقًا فحسب وإنّما خبرة عمليّة تمس حياتنا العمليّة في الشهادة لإنجيلنا ومخلّصنا.

١. **الصلاة من أجل الآخرين:** اختبر قوّة الصلاة وعملها في الخدمة والكرازة. لذا لم يكف عن أن يطلب الصلاة من أجل شعبه في رسائله للشعوب الأخرى، كما يطلب الصلاة من أجل النفوس البعيدة لكي تبلغ إلى الله بالتوبة.

[صلّوا بلا انقطاع من أجل الآخرين، فإنّه يُرجى فيهم التوبة ليبلغوا إلى الله[٩٣].]

٢. **القدوة الصالحة:** فالكرازة ليست شهادة فم فحسب، وإنّما هي شهادة حياة، وكشف عن عمل الثالوث القدّوس في سلوكنا اليومي.

[علّموهم على الأقل بأعمالكم، فيكونوا لكم تلاميذًا. قابلوا غضبهم بالهدوء، وكبرياءهم بالوداعة، وتجديفهم بالصلاة... كونوا مترفّقين أمام قسوتهم، ولا تطلبوا الانتقام[٩٤].]

[إنّه من الأفضل أن نصمت ونعمل عن أن نتكلم ولا نعمل. فالتعليم حسن، إذا كان المعلّم يعمل بما يعلّم به. ليس لنا سوى معلّم واحد، هو الذي قال وعمل كل ما قاله[٩٥]... .]

الإكليروس

جاهد القدّيس أغناطيوس ضدّ الهراطقة بكل حزم، محذرًا شعبه وشعوب الأسقفيّات المجاورة منهم بكونهم ذئابًا ترتدي ثياب الحملان، يتسللون إلى الكنيسة للخطف والهدم. وقد طالب الأب أغناطيوس من الشعب أن يلتف حول الإكليروس بروح الحب والطاعة لأجل وحدة الكنيسة كجسد المسيح وتمتّعها بالحياة فيه.

فيما يلي أهم المبادئ التي ذكرها بخصوص الإكليروس:

١. الدرجات الكهنوتيّة الثلاث مع الشعب يلتزمون **بالعمل كإرادة الآب، حسب فكر المسيح، بالروح القدس:**

[إنّها (الكنيسة) فرحي الأبدي، لاسيما إن ثابر أبناؤها على أن يكونوا واحدًا مع الأسقف والقساوسة والشمامسة الذين أُقيموا معه (مع الأسقف) حسب فكر يسوع المسيح الذي يثبّتهم **حسب مشيئته الخاصة وبروحه القدّوس**[٩٦].]

[93] Ephes. 10:1.

[94] Ephes. 10:1, 2.

[95] Ephes. 15:1.

[96] Philad. insc.

[أسقف واحد مع القساوسة والشمامسة رفاق في الخدمة، وهكذا تتمّمون في كل شيء مشيئة الله[٩٧].]

الكنيسة كجماعة ليتورچيّة متعبّدة لله حول المذبح لا يمكن أن تقوم بدون الإكليروس في درجاته الثلاث: [بدون هؤلاء لا توجد كنيسة[٩٨].]

تأكيده على الاتّحاد مع الإكليروس، خاصة الأسقف، كعلامة على الاتّحاد مع السيّد المسيح إنّما يعني أن اتّحاد المؤمن مع مخلّصه وإن تحقّق خلال علاقة شخصيّة لكن ليس بطريقة فرديّة بمعزل عن الكنيسة كجماعة المؤمنين... لنفس السبب كثيرًا ما كرر الحديث عن الأفخارستيّا وغيره من الأسرار الكنسيّة كطريق للتمتّع بالشركة مع الله في المسيح يسوع الذبيح.

٢. كل ما يتعلّق بالكنيسة ينبغي أن يتم بالاشتراك مع الأسقف والقسوس والشمامسة:

[لازموا الأسقف ملازِمة المسيح لأبيه،
واتبعوا لفيف القساوسة اتباعكم للرسل،
كرموا الشمامسة كاحترامكم لوصيّة الله.
لا يصنع أحد شيئًا يخص الكنيسة بدون الأسقف[٩٩].]

جاء هذا الفكر لمقاومة تصرفات الهراطقة الذين يقيمون **اجتماعات باسم السيّد المسيح**، غايتها الخفيّة مقاومة الكنيسة، خاصة وأنّه لم يؤمنوا بالأفخارستيّا كذبيحة وكجسد الرب واهب القيامة، لذا يقول:

[يكرم بعضهم الأسقف بالكلام فقط ولا يعتبرونه في أعمالهم كلّها. ويبدو لي أن مثل هؤلاء لا يتصرّفون بضمير صالح، إذ **لا يعقدون اجتماعات شرعيّة مطابقة لوصيّة الرب**[١٠٠].]

[لأنّه (المسيح) واحد مع الآب، هكذا أنتم لا تأتوا عملاً بمعزل عن الأسقف والقساوسة... بل اعملوا عملكم حسب الشركة، وهي صلاة واحدة. طلبة واحدة، فكر واحد، رجاء واحد في المحبّة وبفرح بلا عيب. هذا هو يسوع المسيح لا يفضله شيء. اجتمعوا في **هيكل واحد ومذبح واحد** في يسوع المسيح الوحيد[١٠١].]

٣. في الخضوع لهم **تحقيق للوحدة** معًا في المسيح الواحد، **وتمتّع بالحياة المقدّسة** في الرب.

[ينبغي عليكم... أن تطيعوا الأسقف ولفيف القساوسة، حتى **تتقدّسوا** في جميع الأمور...]

[إن كنت أنا نفسه في زمن قصير قد ارتبطت بأسقفكم برباط روحي لا جسدي، فكم أنتم **مباركون**، فأنتم

[97] Philad. 4.

[98] Tral. 3.

[99] Smyrn. 8.

[100] Magnes. 4.

[101] Magnes. 7:1, 2.

المتحدون معه مثل اتّحاد الكنيسة بالمسيح، ومثل اتّحاد المسيح بالآب، حتى **يتآلف الكل في وحدة**[١٠٢].]

[ثابروا على الاتّحاد بإلهنا يسوع المسيح وبالأسقف وبوصايا الرسل... من يصنع عملاً بدون الأسقف والقساوسة والشمامسة فضميره غير نقي[١٠٣].]

٤. الوحدة والخضوع للأسقف هما أيقونة للوحدة والخضوع لله أبي ربّنا يسوع أسقف الجميع... كأن الشعب إنّما يرى في الأسقف السيّد المسيح العامل فيه، لا شخص الأسقف في ذاته.

[لا تستهينوا بحداثة أسقفكم، بل أدُّوا له كل احترام من **أجل سلطان الله الآب**.

وإني أعرف أن قساوستكم القدّيسين لم يستخفّوا به بالرغم من حداثة سنه كما يبدو عليه، بل كأناس واعين في الله أظهروا له الخضوع، **ليس له**، بل لأبي يسوع المسيح أسقف الجميع[١٠٤].]

يوضح القدّيس أغناطيوس أن الوحدة مع الأسقف هي صورة حيّة عن الوحدة مع السيّد المسيح:

[كل من ينظر الأسقف صامتًا، عليه أن يوقّره، لأن رب البيت أرسله، ليدبّر بيّته؛ علينا أن نقبله كما نقبل من أرسله. ولذلك علينا أن نقبله كما نقبل من أرسله. ولذلك علينا أن نعتبر الأسقف كما نعتبر الرب نفسه[١٠٥].]

[عندما تطيعون أسقفكم طاعتكم ليسوع المسيح يصير هذا برهانًا على أنكم لا تعيشون حسب العالم، بل بحسب يسوع المسيح الذي مات لأجلكم[١٠٦].]

يرى أيضًا أن الأسقف مثال الآب:

[على الجميع أن يحترموا الأسقف اتّض احترامهم ليسوع المسيح، والأسقف مثال للآب... [١٠٧]]

٥. الخضوع ليس خنوعًا ولا ضعفًا ولا استخفافًا بالشعب، بل علامة الوحدة؛ مقدّما خضوع السيّد المسيح الواحد في أبيه والمساوي له في الجوهر مثالاً.

[اخضعوا للأسقف، وليخضع بعضكم للبعض الآخر، كما أن يسوع المسيح كان خاضعًا لأبيه[١٠٨].]

[102] Ephes. 2, 5.

[103] Trall. 7.

[104] Magnes. 3.

[105] Ephes. 6:1.

[106] Trall. 2.

[107] Tarll. 3.

[108] Magnes. 13.

هنا نلاحظ في كلمات القدّيس تكريمًا لمفهوم الخضوع، أنّه امتثال بالسيّد المسيح، بل ممارسة وشركة لطبيعة الحب والطاعة والخضوع التي للسيّد المسيح. هذا وإن الخضوع هو سمة المسيح، نلتزم بها ليس فقط من جهة الأسقف بل ويخضع البعض لبعض الآخر... هو سياق للتمتّع بروح الخضوع الذي تتسم به النفس داخليًا! ربّما أردف قوله: "**وليخضع بعضكم للبعض الآخر**"، ليعني أنّه كم يخضع الشعب للإكليروس يليق بالإكليروس أن يحملوا طبيعة الخضوع والتواضع، فإنّه من الخطورة أن يظن الكاهن في نفسه الآمر الناهي، يأمر فيُطاع. فالطاعة له إنّما هي من أجل السيّد المسيح العامل الذي الكل – إكليروسًا وشعبًا – يلتزمون أن يحملوا وداعته.

يظهر بوضوح أن تشديده على الخضوع للأسقف وطلب مشورته فيما يخص الكنيسة وعدم إتمام الأسرار بدونه مع الاتّحاد به لا يعني تقديم كرامة شخصيّة للأسقف من الآتي:

أ. يطالب الجميع باحترام الشمامسة احترامه ليسوع المسيح[١٠٩]. إن كان يقول: [لازموا الأسقف يلازمكم الله[١١٠]]، فإنّه في نفس الوقت يحسب كل احترام للشماس احترام للسيّد المسيح... وكأن ما يشغله في عل اقتنا بالأسقف أو الشماس أو بعضنا البعض هو تلاقينا مع ربّنا يسوع المسيح.

ب. يدعو الشمامسة شركاءه أو رفقاءه في الخدمة. إن كان للأسقف دور القيادة ففي الرب، يجمع كل العاملين في كنيسة الله كشركاء معه في الخدمة دون استخفاف بدورهم أو وزناته... إنّها تنوع في الخدمة، كقول الرسول بولس: "وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد" (١كو١٢: ٥).

ج. أوضح التزام الأسقف الذي يكرِّمه الشعب:

[حافظ على مركزك بكل عناية... وابذل جهدك في سبيل الوحدة التي لا شيء أفضل منها. ساعد الجميع كما يساعدك الله...

اسهر بروح لا يعرف الكسل[١١١].]

لقد سجّل لنا القدّيس أغناطيوس في رسالته إلى زميله الذي يصغره جدًا في السن بوليكاربوس أسقف سميرنا اختباراته الرائعة في ضرورة اهتمام الأسقف بشعبه بكونه أبًا يقظًا يهتم بكل إنسان على انفراد ليهبه ما يناله من قبل الرب... في أبوته لا يهتم بتلاميذه الصالحين فحسب بل وبالمشاغبين، ليضمِّد جراحاته بلزقة (Plaster) (ضمادة) الوداعة والحكمة... يهتم بالسادة كما بالعبيد، الذكور والإناث.

٦. يعلّمنا القدّيس إكليمنضس الروماني وأيضًا الديداكيّة[١١٢] أن الأسقفيّة ليست مجرّد سلطة تدبيريّة ولكنها أيضًا

[109] Trall. 3.

[110] Polyc. 6.

[111] Polyc 1.

كهنوت متعبّد، هكذا أوضح القدّيس أغناطيوس نفس المفهوم. ففي فكره تكون تطلّعة بين الأسقف والأفخارستيّا (وكل علم ليتورچي) غير منفصمة، إذ أن الوحدة مع الأسقف والوحدة مع الآخرين في الخبز الواحد في الهيكل هما حقيقة واحدة[١١٣].

[ولا تشتركوا إلاَّ في أفخارستيّا واحدة،

لأنّه ليس لربّنا سوى جسد واحد وكأس واحد توحّدنا بدمه، ومذبح واحد، وأسقف واحد مع القساوسة رفاقي في الخدمة، وهكذا تتمّمون في كل شيء مشيئة الله[١١٤].]

يرى القدّيس أغناطيوس أنّه لا يجوز أن تُقام الأسرار بدون الأسقف وعند الضرورة يُسمح للكاهن بإتمام الأفخارستيّا. والسبب في هذا أنّه كان لكل مركز ليتورچي أسقف مسئول عنه. وإذ تزايد عدد المؤمنين في المدن اقتضت الضرورة أن يقوم الكاهن بإتمام الأفخارستيّا والعماد... الخ، وصار الفارق بين الأسقف والكاهن قيام الأول بالشرطنة. إذ امتدت الكنيسة إلى القرى صار للقرى أساقفة أقل من أساقفة المدن، إذ ليس لهم حق الشرطنة (السيامة). ويرى بعض الدارسين أن أسقف القريّة لا يختلف كثيرًا عن القسوس.

[لا يفعلن أحد منكم شيئًا يخص الكنيسة دون إرادة الأسقف. الأفخارستيّا هي السرّ الذي يتمّمه الأسقف أو من ينتدبه. لا يجوز أن تُمنح المعموديّة ولا تُقام وليمة الأغابي بدون الأسقف[١١٥].]

يكشف ارتباط الأسقف بالأفخارستيّا عن مفهوم رئاسته ووحدة الشعب وخضوعهم له. إن كان الأسقف يمثّل السيّد المسيح فمسيحنا لا تقوم رئاسته على الأمر والنهي، وإنّما على حبه وبذله، ارتفع على الصليب كما على كرسي رئاسته، وبسط يديه ليحتضن العالم كلّه، وفتح جنبه لنجد كل نفس ملجأً لها وسط الأحشاء الإلهيّة الملتهبة في استحقاقات الدم الثمين.

مع كل ممارسة لسرّ الأفخارستيّا يليق بالأسقف أن يحمل روح مسيحه الذي يقدّم جسده ودمه ذبيحة حب للآب لحساب العالم... فيشتاق أن يُبذل من أجل الرعيّة... هذا هو مفهوم الرئاسة التي ندركها خلال سرّ الأفخارستيّا.

رسالة رومية ورئاسة أسقفها[١١٦]

أولاً: يقول **الأب فيليب السمرائي** الكاثوليكي: [يقدّم القدّيس أغناطيوس في رسائله إلى كنائس آسيا النصح والإرشاد

[112] Clem. 44; Didache 15.

[١١٣] راجع كتاب الأب چون رومانيدس...

[114] Philad 4.

[115] Samyrn. 8.

[١١٦] المؤلف: الشهيدان أغناطيوس و بوليكاربوس، ص ٣٥-٤١.

ويتحاشى أن "يأمرها أمرًا" بالرغم من كونه مقيدًا بالسلاسل من أجل المسيح ومسافرًا إلى روما ليُطرح للوحوش حبًا به. وهذا دليل على استقلال كل كنيسة استقلالاً داخليًا إذ لا تخضع مباشرة إلاَّ لأسقفها.

أما في رسالته إلى كنيسة روميّة، فإنّه يتحاشى أن لا يأمر هنا فحسب بل يتحاشى أن يسدي لها النصح والإرشاد. وقد ملأها من عاطفة الاحترام البليغ والاعتبار السامي له، وجل، ما طلبه منها مترجيًا أن لا تحوّل دون استشهاده.]

وبهذا القول يظن هذا الأب أنّه يثبّت رئاسة كنيسة روما على الكنيسة في العالم، لكنّه نسي:

١. أن هناك دالةً قويّة بين أغناطيوس وأساقفة البلاد الآسيويّة، ومعرفة تامة بكل شئونهم... لذلك وإن كان قد مدحهم كثيرًا كما مدح كنيسة روما لكنّه نصحهم وأرشدهم بحكم هذه الدالة.

٢. أن أغناطيوس، لكبر سنه وقوّة شخصيته وحكمته الإلهيّة، كان الأساقفة الآخرون وشعوبهم المتّضعة يلجأون إليه... دون التفكير في موضوع الرئاسة أو الخضوع له... لأن حب يسوع والاهتمام بكنيسته، كان يشغلهم حتى لم يبق لهم وقت للحديث عمن هو الأعظم بينهم.

٣. كثيرًا ما استخدم أغناطيوس صيغه الأمر في رسالته إلى بوليكاربوس أسقف سميرنا، فهل كان هذا الأسقف خاضعًا لأغناطيوس؟!

٤. أن هدف رسالته لروميّة مختلف تمامًا عن هدف رسائله الأخرى، ففي الأولى كان يوجّه كل اهتمامه نحو كسبهم بالمحبّة ألا يعيقوا اضطهاده... أما الرسائل الأخرى فهدفها حتى تلك الكنائس التي حوله للجهاد ونزع الانشقاقات... الخ.

٥. قد استخدم أسلوب التحذير القاسي الذي لا يليق أن يوجّهه إنسان إلى رئيسه... [رئيس هذا العالم (الشيطان) يفرح بإقصائي بعيدًا عن الله وإفساد اشتياقي له. ليتكم أيها القاطنون بروما ألاَّ تعاونوه... فلا تتحدّثوا عن يسوع المسيح بينما تكون اشتياقاتكم إلى العالم.]

٦. الموضوع الرئيسي الذي تعرّض له في أغلب رسائله هو "وحدة الكنيسة". وقد طالب الشعب بالخضوع للأسقف القائم مقام الله، والكهنة ممثّلي مجلس الرسل والشمامسة خدام يسوع المسيح، فأين هو موضع الخضوع لأسقف روما؟!

٧. لو كان لأسقف روما حق السيطرة على أساقفة الكنائس الأخرى، لما جاز لأغناطيوس أن يأمر الأساقفة الآخرين كما يظن الأب السمرائي لأنّه لم يكن أسقفًا لروما، بل كان الأجدر به أن يطلب من أسقف روما أن يهتم بهذه الكراسي ومشاكلها.

ثانيًا: يقول الأب السمرائي: [ويكفي أن نذكر فاتحتها حتى يبان احترام القدّيس أغناطيوس لها... إلى الكنيسة المترئّسة في بلاد الرومان... إلى الكنيسة التي تُرأس بالمحبّة.]

١. ويجيب الدكتور أسد رستم[١١٧]: والواقع أن هنالك غموضًا في هذين النصين أدى بطبيعة الحال إلى هذا

[١١٧] الدكتور أسد رستم: كنيسة مدينة اللّه أنطاكية العظمى، مجلد ١، ص ٥٤.

الاختلاف في الرأي. فما هي "أرض الرومان" بالضبط، وما هو مقدار اتّساعها؟ وإذا كانت الكنيسة تترأس في أرض الرومان فما هو نوع هذه الرئاسة؟ هل هي رئاسة سياسيّة أم ثقافيّة أم أدبيّة أو روحيّة؟ وما هو معنى "المحبّة" بالضبط؟ ولماذا خص أغناطيوس هذه الكلمة بأداة التعريف في النص اليوناني؟

ويقول الدكتور رستم في كتابه "نحن وروما والفاتيكان"[١١٨] وتميّزت بعض الكنائس في هذا الوقت بميزات معيّنة أفاضت عليها شيئًا من النفوذ لم يكن لغيرها.

فالسيّد نفسه أسس كنيسة أورشليم وجميع الرسل عملوا فيها ويعقوب أخو الرب تولّى أمرها وفيها عُقد أول المجامع. ولا تزال وحدها قبلة(ما تشكيلها؟؟) أنظار المؤمنين في أقطار العالم.

وكنيسة أنطاكية كانت كنيسة عاصمة ولاية الشرق وأكبر مدنه وأهمها... وكانت مركزًا ثقافيًا هامًا.

ومثل هذا يصح إلى حد بعيد عن كنيسة الإسكندريّة، فالإسكندريّة كانت لا تزال أكبر مدن الشرق كلّه وأوسعها متجرًا وأسبقها علمًا وثقافةً. وكانت جاليتها اليهوديّة أهم جاليات اليهود خارج فلسطين، ولها كلمتها بينهم. فسبقت كنيسة الإسكندريّة سائر كنائس العالم إلى التذرع بالعلم والفسلفة، والعكف على الأسفار المقدّسة، والدفاع عن العقيدة، فأصبحت هي المعلّمة الأولى.

وإذا كانت أنطاكية عاصمة ولاية الشرق، وأفسس عاصمة آسيا الساحليّة، والإسكندريّة عاصمة مصر والقيروان، فإن رومة كانت في هذه القرون الأولى عاصمة الإمبراطوريّة بأسرها، وإليها تشد الرحال وفيها تفصل المشاكل، وعنها تصدر الأحكام. فأمسى أسقفها؛ والحالة هذه له خطورته، إذ أن أي تصرف يصنعه إنّما يراه الحكام كما لو ارتكبه المسيحيّون في الدولة الرومانيّة.

هذا لا يعني أن لأسقف روما السيطرة على أساقفة العالم لكن مركزه في العاصمة قبل انقسام المملكة يجعل تصرّفاته لها خطورتها. مثال ذلك أي تصرّف يصدر من أسقف يقطن بين البوذيّين أو الملحدين... إنّما هذا التصرّف لا يُنسب إلى الأسقف، بل كما لو كان صادرًا عن كل المسيحيّين، لأنّهم لا يحتكّون بأسقف غيره.

هذا قبل انقسام المملكة الرومانيّة، أمّا وقد انقسمت المملكة إلى شرقيّة وغربيّة لم يعد لأسقف روما خطورته الأولى. وهنا لا أقصد بالخطورة السلطة أو السيطرة إنّما كشخص مسئول له مكانته الدينيّة ورتبته الكهنوتيّة بين السلطات المدنيّة.

ولكي نعرف كيف حاولت كنيسة روما أن تستغل (بعد ذلك) السلطان المدني في السيطرة على الكنيسة راجع كتاب "عصر المجامع".

٢. لو صحّ القول بأن لأسقف روما الرئاسة عليه لوجّه الحديث إليه لا إلى كنيسة روما. وكان الأجدر به أن يذكر في المقدّمة "إلى الأسقف الرئيس على كنيسة العالم"... لا "الكنيسة التي ترأس المكان السائد في بلاد الرومان".

[١١٨] الحديث التالي مقتطفات عن أقواله، ص ١٠-١٣.

٣. لو كان لأسقف روما الرئاسة على الكنيسة الجامعة في العالم، لطلب منه أن يعد أسقفًا لأنطاكية يخلفه. لكنّنا نجده يطلب من شعب روما أن يصلّي لأجل كنيسة أنطاكية، وهو نفس الطلب الذي التمسه في بقيّة رسائله، بل نجده طلب من بوليكاربوس الاهتمام بشئون كنيسة أنطاكية أكثر من طلبه لشعب روما في هذا الشأن.

الزيجة

لا يتحدّث كثيرًا عن الزيجة. طلب أن يكون الاتّحاد في الزيجة بموافقة الأسقف حتى يكون الزواج حسب الرب، يحمل رمز الحب بين السيّد المسيح وكنيسته العروس[١١٩].

البتوليّة

في نص فريد يجمع القدّيس أغناطيوس بين البتوليّة والتواضع، والعفّة هنا هي إكرام لجسد الرب، وهي ذبيحة مقدّمة من أجل الكنيسة: [البتوليّة ليست احتقارًا للزيجة... ولا نلمح هذا الاستعلاء، لأن تطلّعه بين الرجل والمرأة كعلاقة المسيح بالكنيسة[١٢٠].]

الصمت

يقدّم لنا السيّد المسيح مثلاً حيًّا للمعلّم الذي يعمل بكلامه كما بصمته، وكأنّه يليق في عبادتنا كما في كرازتنا أن نسلك في المسيح يسوع ربّنا، به ننطق بكلماتنا، وبه نعلن شعبنا بصمتنا.

[من امتلك الحق، يحدثه يسوع، ويستطيع أن يصغي حتى إلى صمته (صمت السيّد المسيح)، فيكتمل ويعمل بكلمته وصمته (صمت المؤمن المدرك لصمت السيّد المسيح)[١٢١].]

[119] Polyc. 6:1; 5:2.

[120] Polyc. 5:1.

[121] Ephes. 15:2.

القدّيس بوليكاربوس

أسقف سميرنا

St. Polycarp of Smyrna

من أهم الشخصيّات الكنسيّة في ولاية آسيا الصغرى في النصف الأول من القرن الثاني[١]، استحق لقب "معلّم آسيا، وأب المسيحيّين، ومحطّم الآلهة[٢]".

كما نرى في رسالته ووقائع استشهاده هو إنسان وقور، ارتعب الجند من هيبته ووداعته وبشاشته عندما أرادوا القبض عليه، لم يخف عذابات الموت، وكان قلبه متّسعا بالحب نحو الغير يصلي لأجلهم في لحظات استشهاده.

لا نعرف شيئًا عن نشأته، إنّما حوكم حوالي سنة ١٥٥م وكان عمره حوالي ٨٦ عامًا، لذا فقد وُلد حوالي سنة ٦٩م، وتعمد في صباه.

يروي عنه كلارك C. P. S. Clarke أن سيّدة تقيّة تدعى كالستو Callisto اشترته بناءً على رؤيا، وأودعته منزلها، وعمدنا نمى جعلته مديرًا لممتلكاتّها. سافرت لأمرٍ ما وسلمت مخازنها له، فالتف حوله الأيتام والأرامل والفقراء فكان يعطيّهم بسخاء. وإذ رجعت السيّدة أخبرها العبد زميله بما حدث، لكنا إذ فتحت مخازنها وجدتها مملوءة كما كانت. أمرت السيّدة بعقاب العبد الزميل لكن بوليكاربوس تشفع فيه وأخبرها بحقيقة الأمر فدهشت كالستو من عمل الله، وكتبت لبوليكاربوس وصيّتها أن يرث كل ما تملكه بعد وفاتّها، وأما هو فلم يشغله هذا الأمر.

يرى البعض أن بوكوليس Bucolus أسقف سميرنا سامه شماسًا، فشهد للمخلّص بالكلام كما بحياتهم، وكان يواجه الأمم واليهود والهراطقة، فسامه كاهنًا وهو صغير السن، وقد قال عنه الأسقف أنّه مستحق أن يكون مشيرًا ومشاركًا له في التعليم.

ويرى آخرون أنّه تتلمذ على يدي القدّيس يوحنا الحبيب، وقد تعرّف على عدد ممّن عيَّنهم الرب، وربّما قام القدّيس يوحنا نفسه بسيامته أسقفًا على سميرنا (أزمير).

بوليكاريوس أسقف سميرنا

قال عنه تلميذه **القدّيس إيريناؤس:** [وأما بوليكاربوس ليس فقط قد تعلَّم بواسطة الرسل، وتحدّث مع كثيرين ممّن شاهدوا المسيح، بل وأيضًا تعلَّم بواسطة الرسل في آسيا، وأُقيم أسقفًا في سميرنا، هذا الذي رأيته في صغري[٣].]

يقول **العلاّمة ترتليان** ان القدّيس يوحنا الحبيب هو الذي أقامه أسقفًا، وذلك قبل نفيه إلى جزيرة بطمس.

قيل أنّه ملاك كنيسة سميرنا الله أشار إليه في سفر الرؤيا (رؤ٢: ٨)، وهو الوحيد من بين الأساقفة السبعة الذي

[1] Eusebius; H. E. 5: 20; Irenaeus: Adv. Haer. 3: 3.

[٢] الأصول المسيحيّة الشرقيّة: رسائل رعوية (١)، ص ١٥٥، المناهل المسيحيّة ١٠، استشهاد بوليكاربوس ١٠.

[3] Adv. Haer. 3: 3: 4.

وشده بارًا، غنيًا في الإيمان، فقيرًا في ماديّاتهم، مقاومًا للمجدّفين، ينتظر دخوله في ضيق.

قال عنه القدّيس إيريناؤس: [أنّه إلى الآن لم يزل ثابتًا في مخيلتي نوع الاحتشام والرصانة الذي كان يتّصف به القدّيس بوليكاربوس مع احترام هيئته ووقار طلعته وقداسة سيرته، وتلك الإرشادات الإلهيّة التي كان يعلّم بها رعيّته. وبأبلغ من ذلك، كأني أسمع ألفاظه التي كان ينطق بها عن الأحاديث التي تمّت بينه وبين القدّيس يوحنا الإنجيلي وغيره من القدّيسين الذين شاهدوا يسوع المسيح على الأرض، وتردّدوا معه، وعن الحقائق التي تسلّمها وتعلمها منهم.]

سيم أسقفًا وهو في حوالي الثلاثين من عمره.

القدّيسان بوليكاربوس وأغناطيوس

ارتبط اسم القدّيس بوليكاربوس بالقدّيس أغناطيوس، فقد توقّف الأخير وهو في طريقه إلى روما للاستشهاد في سميرنا، استقبله أسقف سميرنا بتكريم لائق به لمعلّم عظيم ومعترف في طريقه إلى الاستشهاد، وقد لحقه بعد حوالي ٤٠ عامًا مقدّما حياتهم ذبيحة حب بالاستشهاد.

اهتم القدّيس بوليكاربوس برسائل القدّيس أغناطيوس فجمعها وأرفقها بخطابٍ من عنديّاتهم.

عندما بلغ القدّيس أغناطيوس تراوس بعث برسالة إلى القدّيس بوليكاربوس تكشف عن شخصيّة الأخير:

[أرحب بفرح بمشاعرك وأفكارك الثابتة في الله كصخرة لا تتزعزع، لذلك مجَّدتُ الرب بلا حدود لأنّه أهَّلني لرؤية وجّهك الذي بلا عيب، وأرجو أن أتمتّع به في الله[4].]

بالفعل واجه القدّيس الاستشهاد كصخرة لا تتزعزع!

بوليكاربوس والهراطقة

قاوم القدّيس بوليكاربوس الهراطقة، خاصة مرقيّون، ويشهد عنه **القدّيس إيرناؤس** أنّه ردَّ كثيرين ممّن انحرفوا وراء الهراطقة (أتباع فالنتينوس وأتباع مرقيّون) إلى الكنيسة الكاثوليكيّة (الجامعة)[5].

التقى القدّيس بوليكاربوس بمرقيّون، فسأله الأخير: "أتعرّفنا؟"، أجابه: "أعرفك، إنك بكر الشيطان".

ذهب مرقيّون إلى روما سنة ١٤٠م متخفيًا وبدأ ينشر بدعته، والتف حوله عدد من المسيحيّين، فطردته الكنيسة، وفي سنة ١٥٤م إذ كان القدّيس بوليكاربوس هناك ردّ كثيرين من أتباع مرقيّون[6]. ندم مرقيّون على ما فعله وارتضى الخضوع للكنيسة لكنّه مات قبل أن تتم عودته.

القدّيس بوليكاربوس الشهيد

[4] Plycarp 1:1.

[5] Eusb. H. E. 4:14.

[6] St. Irenaeus: Adv. Haer. 3: 4.

تقدّم لنا رسالة كنيسة سميرنا (عام ١٥٦م) إلى المسيحيّين في فيلوميليّون Philomelion بفريجيا العظمى تفصيلاً عن استشهاد القدّيس بوليكاربوس الذي تم بعد فترة قصيرة من عودته من روما. وتُعتبر هذه الرسالة أقدّم وثيقة عن استشهاد شخص وأول عمل من "أعمال الشهداء" acta martyrum وإن كانت لا تُصنف ضمن أعمال الشهداء، وإنّما ضمن الرسائل. يوقع على الوثيقة شخص يدعى مرقيّون، كتبها بعد استشهاد القدّيس بفترة وجيزة[٧]. تكشف لنا الوثيقة عن موقف المؤمن من الاستشهاد والشهداء.

أضيف إلى هذه الوثيقة ملاحظات كُتبت في وقت متأخر، تقدّم لنا انطباعًا رائعًا عن سموّ شخصيّة بوليكاربوس.

وقد جاءت رواية استشهاده في اختصارٍ هكذا[٨]:

إذ شرع مرقس أورليوس في اضطهاد المسيحيّين صب وإلى آسيا جامات غضبه عليهم، واحتمل مسيحيّو سميرنا الكثير. قرر الوثنيّون القبض على الأسقف، وتحت ضغط الشعب اضطر إلى الاختفاء... أخيرًا عرفوا الموضع، وجاء الجند يقبضون عليه.

طلب من الجند أن يمهلوه ساعة واحدة ليصلّي. وقد تعجبوا من هيبته ووداعته وبشاشته وعذوبة حديثه، حتى قال أحدهم: "لماذا هذا الاجتهاد البليغ في طلب موت هذا الشيخ الوقور؟"

حينما طلب من الوالي ستاثيوس كوادراتوس Statius Quadratus أن يحلف بحياة قيصر ويلعن المسيح فيطلقه أجابه: **[لقد مضت ستّة وثمانون عامًا أخدم فيها المسيح، وشرًا لم يفعل معي قط، بل اقتبل منه كل يوم نعمًا جديدة، فكيف أجدف على ملكي الذي يخلّصني؟.]**

وحينما هدّده بالحرق وطرحه للوحوش، قال: **[إني لا أخاف النار التي تحرق الجسد، بل تلك النار الدائمة التي تحرق النفس.** وأما ما توعدتني به من أنك تطرحني للوحوش المفترسة، فهذا أيضًا لا أبالي به، احضر الوحوش، واضرم النار، فها أنا مستعدّ للحريق والافتراس.]

وحينما حاول الجند تسميره على خشبة حتى لا يتحرك من شدّة عذابات النار، قال لهم: [اتركوني هكذا، فإن ذاك الذي وهبني قوّة لكي احتمل شدة حريق النار، هو نفسه سيجعلني ألبث فيها بهدوء دون حاجة إلى مساميركم.]

أوثقوا يديه وراء ظهره واضعين إياه على الحطب، كما لو كان ذبيحة على مذبح، أمّا هو فصلى للرب، شاكرًا إياه أنّه سمح له أن يموت شهيدًا، وأن يشركه في شرب كأس آلام الابن الوحيد.

أوردت هذه الوثيقة أول شهادة عن تقدير الكنيسة لرفات الشهداء، إذ جاء فيها:

[أخذنا بعد الله رفاته الباقيّة، الثمينة أكثر من الحجارة الكريمة، والأسمى من الذهب، وأودعناها في مكانٍ لائق. ليسمح

[7] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 77.

[٨] للمؤلف: الشهيدان أغناطيوس و بوليكاربوس، ص ٨٩ الخ.

الرب لنا – قدر المستطاع – أن نجتمع بالفرح والحبور لنحتفل باستشهاده – يوم ميلاده[٩].]

هكذا تطلّعت الكنيسة إلى الموت، خاصة الاستشهاد، كيوم ميلاد المؤمن، يستحق أن يُعيد له... ربّما لهذا السبب كان **القدّيس يوحنا الذهبي الفم** يقاوم فكرة الاحتفال بأعياد ميلاد الأشخاص متطلّعا إلى عيد ميلادنا الحقيقي هو يوم خروجنا غالبين ومنتصرين من هذا العالم لنلتقي مع مسيحنا وجها لوجّه.

تتحدّث الوثيقة التي نشير إليها هنا إلى **تكريم الشهداء:**

[نسجد له لأنّه ابن الله، ونحب الشهداء لأنّهم تلاميذ الرب يقتدون به، يستحقّون ذلك من أجل محبّتهم الفائقة لملكهم ومعلّمهم[١٠].]

لم يبدأ الاحتفال بالشهداء بواسطة أحبائهم وعائلاته كعلاقات شخصيّة تمس الشهيد بهم، وإنّما منذ البداية قامت الكنيسة ككل بالاحتفال بفرح وسرور كعمل كنسي مفرح يمجد نعمة الله العاملة في حياة الكنيسة. اعتمد بعض الدارسين على ما ورد في وقائع استشهاد بوليكاربوسط "لذكرى الشهداء الأولين[١١]"، بأن عيد الشهيد بوليكاربوس الذي بدأ عام ١٥٦م في سميرنا حسبه المؤمنون "عيد الكنيسة[١٢]" أو عيد الشهداء.

أما سيرة بوليكاربوس Vita Polycarbi التي تُنسب إلى الكاهن بيونيوس Pionios فإنّها من نتاج القرن الرابع/الخامس، وقد نُسبت خطأ إلى بيونيوس الشهيد الذي نال إكليله سنة ٢٥٠م في سميرنا بينما كان يحتفل بذكرى بوليكاربوس. وتنحصر خدمات هذا القدّيس الشهيد التاريخيّة في أنّه حفظ لنا نص الرسالة في استشهاد بوليكاربوس المشار إليها أعلاه لا سيرة بوليكاربوس[١٣].

يتطلّع القدّيس بوليكاربوس إلى الاستشهاد كهبة إلهيّة، إذ نراه يشكر الآب بفرح من أجل هذه العطيّة وغيرها، مثبّتا شكره بكلمة "آمين" التي استخدمت في الليتورچيّا المسيحيّة[١٤].

كاثوليكيّة الكنيسة

عُرف تعبير "كاثوليكيّة" أولاً في كتابات القدّيس أغناطيوس الأنطاكي، معلنًا: [حيث يوجد يسوع المسيح توجد الكنيسة

[9] 18: 2.

[10] 17: 3.

[11] H. Achelis: Die Martyrologien, p.. 17f. Texts in Lietzmann: Die drei aresten Martyrologien (Kl, Texte 2).

[12] Hanz Leitzmann: A History of the Early Church, 1974, vol. 2, p. 138.

[13] Eusbius: H. E. 4:15; E. Schwartz: De Pionio et Polycarbo Gottingen, 1905.

د. أسد رستم: آباء الكنيسة، ص ٤١.

[14] Martyr. Polyc. 14: 1-3.

Karl Baus: Handbook of church History vol. 1, From the Apostolic community to Constantine, 1965, p. 142.

الكاثوليكيّة.] وقد ورد هذا التعبير ثلاث مرّات في رسالة سميرنا التي وصفت استشهاد القدّيس بوليكاربوس، مرتان عُني بها "الجامعة" أمّا المرّة الثالثة قرب نهاية الرسالة فجاءت لتحمل معنيّين، جامعيّة الكنيسة وأرثوذكسيّة إيمانهما. لقد ميزت الرسالة بين جسد الكنيسة الجامعة تحت قيادة قادتها الأرثوذكس وبين الجماعات المنشقة تحت قيادة الهراطقة[١٥].

رجل صلاة وعبادة

تكشف الوثيقة الخاصة باستشهاده عن شخصيّة القدّيس بوليكاربوس كرجل صلاة، فعند القبض عليه طلب من الجند إمهاله وقتًا للصلاة، وقبيل استشهاده صار يصلّي... لقد أدرك أن الصلاة هي مصدر القوّة.

[15] Kenneth Scott Latourette: A History of Christianity, 1953, p. 130.

أعماله

أهم أعماله رسالة وجّهها إلى أهل فيلبّي، وأخبار محاورة جرت بينه وبين أنيكيتس Anicetos أسقف روما. فقد توجّه إلى روما سنة ١٥٤م، وجادل أسقفها أنيكيتس الحمصي في قضية عيد الفصح. فأصر هذا على الاحتفال بالعيد يوم الأحد وتشبث بوليكاربوس بالربع عشر من نيسان، مهما كان اليوم الذي يوافق هذا التاريخ[١] حسب التقليد الرسولي في آسيا، فبقي كل منهما على عادة بلاده، واشتركا في خدمة الأسرار الإلهيّة[٢]، فقد حافظ الاثنان على وحدة الكنيسة بالرغم من اختلافهما في تحديد موعد العيد.

الرسالة إلى أهل فيلبّي

هذه الرسالة لها علاقة وثيقة برسائل القدّيس أغناطيوس؛ فهي إن لم تكن كلّها فجزء منها كان معاصرًا لرسائل القدّيس أغناطيوس.

يخبرنا القدّيس إيريناؤس[٣] أن القدّيس بوليكاربوس بعث عدة رسائل إلى الكنائس المسيحيّة المجاورة وإلى بعض الأساقفة زملائه. لم يصلنا من هذه الرسائل سوى رسالته إلى أهل فيلبّي، وصلتنا بالكامل في ترجمة لاتينيّة أمّا المخطوطات اليونانيّة فلم تحو سوى الفصول ١–٩: ٢.

طلب أهل فيلبّي من القدّيس بوليكاربوس نسخة من رسائل القدّيس أغناطيوس، فأرسلها ومعها رسالة وجّهها إليهم، هذه الرسالة مدعّمة بحجج قويّة على صحتّها، شهد بذلك القدّيس إيريناؤس[٤]، وكثير من الآباء.

اتفق أغلب علماء العصر الحديث على صحة هذه الرسالة.

ويصعب أن يوجد ما يبرّر تزوير هذه الرسالة، وإن كان البعض يرى بأن الاصحاح الثالث عشر منها دخيل عليها.

طور P. N. Harrison النظريّة القائلة بأن الوثيقة المدعوة "رسالة بوليكاربوس" في حقيقتها تحوي رسالتين كتبهما إلى أهل فيلبّي في زمنين مختلفين نُسخا في مخطوطة واحدة امتزجا إلى رسالة واحدة. الأولى هي فصل ١٣ وربّما أيضًا فصل ١٤، كانت رسالة قصيرة كرسالة مرافقة لصور رسائل القدّيس أغناطيوس، أُرسلت في سبتمبر من السنة التي استشهد فيها القدّيس أغناطيوس، أمّا الرسالة الثانية وتحوي فصول ١–١٢ كتبها القدّيس بعد ٢٠ عامًا من

[1] F. E. Brightman: The Quartodecimen Question, Journ. Theol. Stud. 1923-1924, 254-270.

[2] Source Chrietienne, t. 10: 192; G. Bardy: L'Eglise Romaine sous le pontificat de S. Anicet, Rech, Sc, Rel. 1927, 496-501.

الدكتور أسد رستم: آباء الكنيسة – القرون الثلاثة الأولى، ص ٣٩.

[3] Eusebius, H. E. 5: 20: 8.

[4] Adv. Haer. 3: 3.

الرسالة الأولى أو أكثر[٥]، ما بين سنة ١٣٥، ١٣٧م.

مميزاتّها

رسالة القدّيس بوليكاربوس إلى أهل فيلبّي لها أهميّة كبرى، فهي تكشف لنا عن حالة الكنيسة البكر في أوربا، والتي كانت عزيزة على القدّيس بولس الرسول.

تمتاز بأنّها غزيرة في جهة الحكمة العمليّة، مقتبسًا الكثير عن نصوص الكتاب المقدّس.

إنّها تعكس لنا روح القدّيس يوحنا في وداعته كالحمل وملامح الهدوء. فقد كان محبًا كما كان يوحنا، وقد انعكس صوت "ابن الرعد" على بوليكاربوس في توبيخاته.

الجانب العقيدي

تكشف هذه الرسالة التي ترجع إلى القرن الثاني عن بنود الإيمان المسيحي قبل ظهور الهرطقات الخاصة بلاهوت السيّد المسيح... فالرسالة تعلن عن الإيمان الثالوثي: الآب والابن والروح القدس؛ وتجسّد الكلمة وصلبه وموته؛ والقيامة من الأموات؛ والدينونة.

تجسّد الكلمة وموته

تدافع الرسالة عن التعليم الخاص بالتجسّد وموت السيّد المسيح على الصليب للرد على المعلّمين الكذبة:

[كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنّه قد جاء في الجسد هو ضدّ المسيح؛ ومن لا يعترف بشهادة الصليب هو من الشيطان؛ ومن يحرف كلمات الرب لأجل شهواته قائلاً إن ليس قيامة ولا دينونة، فهو بكر إبليس[٦].]

الإيمان العملي

جاءت الرسالة عمليّة، فالإيمان يجب أن يكون بلا انحراف وفي نفس الوقت يلزم أن يترجم عمليًا في حياة الإكليروس والشعب:

١. من جهة الإكليروس تحدّث عن واجبات الشمامسة[٧] والقسوس[٨].
٢. من جهة الشعب، حثهم على الفضيلة[٩]، المثابرة في الجهاد[١٠]، وصنع الخير[١١].

[5] J. Quasten: Patrology, vol. 1, p. 79-80; P. N. Harrison: Polycarp's Two Epistels to the Philippans, Cambridge, 1936.

[6] 7: 1.

[7] Ch. 5.

[8] Ch. 6.

[9] Ch. 2.

الاقتداء بالسيّد المسيح والحياة معه

يتحدّث عن الإيمان الحيّ بالسيّد المسيح الواهب الثمر مع ال اقتداء به والطاعة لوصاياه:

[لنركّز أنظارنا دومًا على رجائنا وعربون برّنا، يسوع المسيح، الذي حمل خطايانا في جسده على الخشبة، والذي لم يوجد في فمه غش (١بط٢: ٢٤، ٢٢)، والذي لأجلنا احتمل كل شيء لكي نحيا فيه.

فلنتشبّه باحتماله... [١٢].]

[**اتبعوا مثال الرب**، ثابتين غير متزعزعين في الإيمان، محبّين الاخوة... [١٣]]

الاهتمام بخلاص الآخرين في وداعة وحب

إذ يتحدّث عن القس فالنز وزوجته اللذين بسبب الطمع انحرفا عن الإيمان، قائلاً: [إنني حزين جدًا يا اخوة من أجل فالنز ومن أجل زوجته أيضًا، يا ليت الرب يمنحهما توبة صادقّة! عالجوا هذا الأمر بالذات باعتدال، ولا تحسبوهما أعداء، بل حاولوا أعادتهما كعضوين مريضين تائهين، ومتى عادا يصبح جسدكم كاملاً، إذا فعلتم هذا فإنكم تبنون أنفسكم[١٤].]

هكذا يحسب البحث عن النفس المنحرفة ليس خيرًا نقدّمه للغير بل لأنفسنا، لأنّه ما دامت توجد نفس ضائعة فنحن غير كاملين. بعودة النفس المنحرفة يحل السلام على الكنيسة ويكمّل البنيان.

الجانب التنظيمي

لم يشر القدّيس بوليكاربوس إلى أسقف فيلبّي، إنّما تحدّث عن الطاعة الواجب تقديمها للقسوس والشمامسة، لعلّه لسببٍ أو آخر لم يكن بفيلبّي أسقف، وإنّما كان يدير أمورها مجمع القساوسة[١٥].

تصور الرسالة الكاهن المثالي في العبارات التالية:

[ينبغي أن يكون القسوس عطوفين ورحماء على الجميع، فيردون الذين ضلوا، ويزورون المرضى، ولا يهملون الأرملة واليتيم والفقير، بل دائمًا يكونون "معتنين بأمورٍ حسنة قدام الرب والناس" (راجع رو١٢: ١٧؛ ٢كو٨: ٢١)، ممتنعين عن كل غضب، ومحاباة الناس، أو إصدار حكمٍ ظالمٍ، هاربين من كل محبّة للمال، غير متعجلين في الحكم ضدّ

[10] Ch. 8.

[11] Ch. 10.

[12] Ch. 8: 1, 2.

[13] Ch. 10: 1.

[14] Ch. 11: 4.

[15] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 80.

أحد، غير قاسين في الحكم، عالمين إنّنا جميعًا مدينون بالخطيّة[١٦].]

الكنيسة والدولة

جدير بالملاحظة أن الكنيسة في بدء انطلاقها لم تدخل في التيار السياسي وبقيت هكذا بالنسبة لبعض الكنائس كالكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، لكنها تشعر بالمسئوليّة نحو رجال السياسة كقادة لهم دورهم في حياة البشر، وأيضًا في حياة الكنائس المحليّة، خاصة إن كان القادة يضطهدون الكنيسة ويقاومون الإيمان.

[صلّوا لأجل الملوك (والرؤساء) (١تي٢: ٢)، والسلاطين والأمراء، صلّوا من أجل كل الذين يضطهدونكم ويبغضونكم، ومن أجل أعداء الصليب، حتى تكون ثمرتكم واضحة للجميع، وتكونوا كاملين فيه (المسيح)... [١٧].]

[16] Ch. 6:1.

[17] Ch. 12.

رسالة برناباس

The Epistle of Bernabas

في الدراسات السابقة لكتابات الآباء الرسوليّين التقينا بآباء أساقفة عظماء هم القدّيسون إكليمنضس وأغناطيوس وبوليكاربوس؛ وفي شخصيّاتهم ظهرت الكنيسة المسيحيّة الأولى وتجلت أمامنا. أمّا الوثائق الأخرى الخاصة بالآباء الرسوليّين فلها طابع مختلف، فلا تقدّم لنا نفس المعرفة. رسالة برناباس عمل غير أكيد، وهرماس شخص مجهول، والديداكيّة عمل لا يُعرف واضعه... هكذا لا تظهر الكنيسة في أشخاص رجال عظماء، لكنّها تُعلن أيضًا من خلال كُتَّاب مجهولين أو ليسوا بذي قدر يُذكر تاريخيًا، فنتعرّف خلال الوثائق على حال الشعب وجهادهم وغاياتهم وعبادتهم[1].

رسالة برناباس هي مقال لاهوتي أو عظة، لها مظهر الرسالة، وإن كان ينقصها وجود تحيّة افتتاحيّة وخاتمة، ولا تحوي أمورًا شخصيّة. واضعها لم يذكر اسمه، إنّما هدف تعليم "المعرفة gnosis الكاملة والإيمان".

واضعها

لم تشر الرسالة إلى أن برناباس هو واضعها، وليس فيها من دليل على أنّها من وضع أحد الرسل، لكن يوجد تقليد قديم ينسبها إلى الرسول برنابا رفيق الرسول بولس وشريكه في الخدمة. ناسخ المخطوط الأصل السينائي Codex Sinaiticus الذي يرجع إلى القرن الرابع ربّما اعتبر الرسالة ضمن كتب العهد الجديد القانونيّة وأثبّت نصها في سفر الرؤيا. واقتبس القدّيس إكليمنضس الإسكندري[2] الكثير منها ونسبها إلى الرسول برنابا. كذلك العلاّمة أوريجينوس[3] اعتبرها من الكتاب المقدّس، أمّا يوسابيوس فصنفها من بين الكتب المختلفة في أمرها، ثم جاء القدّيس چيروم واعتبرها من الكتب الأبوكريفا، وإن كان الإثنان – يوسابيوس وچيروم – ينسبانها إلى برنابا رفيق بولس الرسول.

ترفض الأبحاث الحديثة نسبتها إلى الرسول برنابا لنظرتها القاسيّة نحو العهد القديم، ولأنّه واضح من الفصل السادس عشر أنّها كُتبت بعد خراب أورشليم. يذكر الكاتب نفسه: [من جهتي، لا أقدّم لكم النصائح كمعلّم بل كواحدٍ منكم[4].]

الزمان والمكان[5]

[1] Jules Lebreton: The History of the Prmitive Church, vol. 2, p. 366-367.

[2] Stromata 2: 6:20.

[3] Against Celsus 1:63.

[4] Ch. 1: 8; cf 4: 6, 9; 6: 5.

[5] Cf. F. L. Cross: The Early Christian Fathers, London 1960, p. 22; Quasten: Patrology, vol. 1, p. 80, 90.

أسد رستم: آباء الكنيسة، القرون الثلاثة الأولى، ١٩٨٣، ص ٤٦.

ربّنا يشير استخدامها للتفسير الرمزي على طريقة فيلون الإسكندري – ومدرسة الإسكندريّة المسيحيّة – إلى أن الكاتب إسكندري. وربما لهذا السبب احتلت الرسالة مركزا خاصًا بين اللاهوتيّين الإسكندريّين.

أما من جهة الزمان فقد جاءت الآراء متباينة:

١. يرى هرنك (هرناخ) Harnack في الإشارة إلى إعادة بناء الهيكل (فصل ١٦: ٣-٤) دليلاً على أن الرسالة كُتبت في أثناء بناء هيكل چوبتر Jupiter capitolinus في عاليا Aelia، في موضع الهيكل، في نهاية عهد أدريانوس Hadrian (١١٧-١٣٨م)، مقررًا إنّها كتبت حوالي عام ١٣٠ أو ١٣١م. غير أن النص يبين أن واضع الرسالة لا يعني بناءً ماديًا للهيكل بل يقصد بناء النفس الروحي لهيكل الله، وذلك بفكرٍ إنجيلي. بهذا تكون الرسالة كُتبت في أي وقت بعد سنة ٧٠م.

٢. يرى فرنسيس فونك Funk أن ما جاء في الفصل الرابع (٤: ٥) من هذه الرسالة نقلاً عن سفر دانيال (٧: ٢٤؛ ٧: ٧-٨) أن الملك الحادي عشر هو الإمبراطور نروه Nerva (٩٦-٩٨م)، لأنّه هو الملك الرابع الذي أخضع الملوك الثلاثة فاسبسيان وتيطس ودومتيانوس.

٣. يرى ليتزمان Litzmann أن الإشارة هي إلى خراب الهيكل الثاني في أثناء ثورة بن كوذبة Bar Cochba حوالي سنة ١٣٥م.

وجّه الكاتب رسالته هذه إلى رعيّة مسيحيّة مجهولة، سبق أن بشَّر فيها بالإنجيل، ويدعو هؤلاء المسيحيّين بالأولاد والبنات، أبناء الفرح، ابناء المحبّة، اخوة... الخ[٦]. ويرى أوريجينوس إنّها رسالة جامعه كُتبت للكنيسة المسيحيّة في العالم.

أقسامها

تضم الرسالة قسمين رئيسيّين، قسم نظري، والآخر عملي.

١. **القسم النظري (١-١٧): قسم عقيدي**، هدفه كما جاء في الفصل الأول (١: ٥) [أن تصير معرفتكم كاملة جنبًا إلى جنب مع إيمانكم.] وقد أراد الكاتب بهذا أن يكشف للقارئ عن أهميّة العهد القديم ومعنى إعلانه، مُظهرًا أن اليهود قد أساءوا فهم الشريعة لأنّه فسَّروها حرفيًا. بعد رفضه للتفسير الحرفي قدّم وجهة نظره: لمعنى الروحي الأصيل، أي الرمزي.

تفسير اليهود الحرفي للشريعة القديمة ليس من الله، إنّما هي خدعة سقط فيها اليهود بواسطة ملاكٍ شرّير (٩: ٤)، الذي قادهم إلى الضلال، وجعل من عبادتهم ما شابه العبادة الوثنيّة (١٦: ٢).

تكاد تعالج موضوع الرسالة إلى العبرانيّين، وإن كانت أقل منها عمقًا وأصالة[٧].

يرى البعض أن هذا القسم جدلي ضدّ حركة التهوّد، وهي من الحركات الكبرى والقويّة التي صاحبت نشأة

[٦] سلسلة آباء الكنيسة: ١- الآباء الرسوليّون تعريب الياس معوض مطران، حلب، ص ٧٣.

[٧] الأبنا يؤانس: الكنيسة المسيحيّة في عصر الرسل، ١٩٨٧، ص ٤٠٤.

الكنيسة المسيحيّة منذ العصر الرسولي، انبثقت عن يهود متنصّرين متعلّقين بالناموس الموسوي وفخورين به، لا ليتمّموه بالروح كما أوضح السيّد المسيح ورسله وإنّما أرادوا تطبيقه بكل شرائعه وطقوسه حرفيًا[٨].

قام بهذا العمل الجدلي يهودي متنصّر إسكندري – كما يرى كثير من الباحثين – لمواجهة هذا الخطر العظيم الذي يحدق بالكنيسة[٩]، إذ نجده يكتب هكذا:

[في هذه الأيام الشرّيرة التي يعمل فيها الشيطان بسلطاته[١٠].]

[اقترب الشكل العظيم الذي كُتب عنه كما يقول أنوخ[١١].]

٢. **القسم العملي** (١٨-٢١): يهتم بالجانب السلوكي الأخلاقي، على نمط يشبه ما جاء بالديداكيّة، تستخدم ما يسمى بالطريقين: طريق الفضيلة أو الرذيلة؛ النور أو الظلمة.

[٨] للتعرّف على حركة التهوّد، راجع المرجع السابق، ص ٨٨- ١٠٣.

[9] J. Leberton, p. 367.

[10] Ch. 2:1.

[11] Ch. 4:3.

الأفكار اللاهوتيّة

السيّد المسيح

مولود من الآب قبل الدهور، خاطبه الآب عندما قال: "لنخلق الإنسان على صورتنا ومثالنا".

استخدم برناباس مثل الشمس، وهو مثل شائع في اللاهوت الإسكندري لتوضيح التجسّد:

[لو لم يصر إنسانا كيف كان يمكن للبشر أن يعاينوه لكي يخلصوا، ناظرين أنّه بلا قدرة عندما يتفرّسون في الشمس ويحدقون إلى أشعّتها ببصرهم؟![1]]

جاء التجسّد بدافعين:

[الأول: جاء ابن الله في الجسد للسبب التالي: لكي يملأ قياس (كأس) إثم أولئك الذين اضطهدوا أنبياءه حتى الموت؛ لهذا السبب احتمل الألم.

الثاني: كان يريد أن يتألّم لأجلنا[2].]

الشريعة الموسويّة

لم يقصد الله حفظها حرفيًا إنّما لكي تُفسر رمزيًا، وأن ملاكًا شرّيرا قد ضلل اليهود بقبولهم التفسير الحرفي.

١. **من جهة الختان:** الله لا يريد ختان الجسد بل ختان القلب والآذان.

[يقول في موضع آخر، أنّه ختن قلوبنا... يقول الرب: "اختنوا قلوبكم" (راجع إر٤: ٤)...

هكذا ختن حتى آذاننا لكي نسمع صوته ونؤمن...

الختان ليس ختان الجسد، لقد تجاوزه، لأن ملاك الشر قد ضللهم. إليكم ما يقوله الرب إلهكم: "لا تزرعوا في الأشواك، اختتنوا للرب" (إر٤: ٣-٤). ماذا يقول أيضًا؟ "اختنوا غُرْلة قلوبكم ولا تصلبوا رقابكم" (تث١٠: ١٦). هوذا يقول الرب: "كل الأمم غُلف، وكل بيت إسرائيل غلف القلوب) (إر٩: ٢٦).

المصريّون أيضًا يستخدمون الختان.

تعلّموا أيها الابناء الأحبّاء واعرفوا ان إبراهيم الذي طبَّق الختان أول الجميع طبقه روحيًا، واضعًا المسيح نصب عينيه، وقد حصل على كل التعليم بأحرف ثلاثة. يقول الكتاب حول هذا الموضوع أن إبراهيم ختن رجال أهل بيّته وعددهم ثمانية عشر وثلاثمائة (تك١٧: ٢٣؛ ١٤: ١٤). لاحظ أن العدد ١٨ جاء أولاً ثم رقم ٣٠٠. العدد ١٠ يكتب بحرف "I" وعدد ٨ "H". فالعددان "IH" يعنيان يسوع (ايسوس) المسيح.

[1] Ch. 5:5.

[2] Ch. 5:11-13.

والحرف "I" هو شكل الصليب ويعني نعمة، فالرقم ٣٠٠ الذي يُعبر عنه بالحرف "T" مضافًا إليه الحرفان الأولان "IHT" يدل على (يسوع) المسيح مع الصليب[٣].

٢. **من جهة الصليب:** أوضحت الرسالة أن غاية الشريعة الوحيدة هو توجيه المؤمنين نحو التدبير المسيحي، الخلاص بصليب المسيح، كما تشير إلى "مجد يسوع".

ا. أشار إلى الصليب عند حديثه عن ختان إبراهيم، إذ ختن عبيده ال ٣١٨؛ وكما لاحظنا أن الرقم يشير إلى "صليب يسوع".

ب. أشار إلى مجيء المسيّا المتألّم خلال تيس عزازيل المذكور في سفر اللاويّين (١٦: ٧-١٠)، خاتمًا حديثه عنه بالقول على لسان السيّد المسيح: [من أراد أن يرى ملكوتي يجب عليه أن يتألّم ويتعذّب ليحصل عليّ[٤].]

ج. أشار موسى إلى الصليب ببسط يديه[٥]، وبإقامة الحيّة النحاسيّة[٦].

٣. **من جهة الهيكل:** انحصر ذهن اليهود في الهيكل الخارجي الحجري بأورشليم، ولم ينشغلوا بهيكل القلب الداخلي الروحي.

[إني أقول لكم أيضًا عن الهيكل، إن هؤلاء الضالين الأشقياء انحصر رجاؤهم في بناء الهيكل، وليس بالله صانعهم. لقد فعلوا كما يفعل الوثنيّون عندما حصروا الله في الهيكل كالصنم، لكنّه سوف يهدم الهيكل. تعلموا: "من قاس السموات بالشبر وكال بالكيل (تراب) الأرض؟ ألست أنا يقول الرب؟ السموات كرسي والأرض موطئ قدميّ. أين البيت الذي تبنون لي؟ وأين مكان راحتي؟" (راجع إش٤٠: ١٢؛ ٦٦: ١)... قبل أن يكون لنا الإيمان بالرب كان داخلنا حقيرًا فاسدًا كهيكل مبني بأيدٍ بشريّة. كان هذا الهيكل مليئًا بعبادة الأصنام. ومسكنًا للشيطان عندما كنا نعمل ما يخالف الرب. انتبهوا حتى يأتي البناء عظيمًا، لأنّه يُبنى باسم الرب... يُبنى بعد نوالنا غفران الخطايا ووضع رجاءنا في الرب وتجديدنا، فيُعاد بناؤنا، ويسكن الرب في داخلنا.

كيف يتم ذلك؟ كلمته – وهي غرض إيماننا ودعوة موعده وحكمة وصاياه وتعاليمه – تتنبّأ فينا، وتفتح لنا باب الهيكل، أي تفتح فمنا بالصلاة، نحن الذين كنا مستعدّين للموت، ويهبنا مغفرة الخطايا، ويدخل بنا إلى الهيكل غير الفاسد. من أراد أن يخلّص لا يتطلّع إلى الإنسان وإنّما إلى الساكن فيه... هِذا ما يعنيه الهيكل

[3] Ch. 9:1-9.

[4] Ch. 7:11.

[5] Ch. 12:3.

[6] Ch. 12:5-7.

الروحي الذي بناه الله[٧].]

٤. **من جهة الذبائح والتقدمات**

[قال لهم: لأني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة، بل إنّما أوصيتهم بهذا الأمر، قائلاً: "لا يفكرن أحد في السوء على قريبه في قلوبكم، ولا تحبوا يمين الزور" (إر٧: ٢٢، ٢٣؛ زك٨: ١٧)... أنّه يقول: "الذبيحة لله روح منسحق" (مز٥١: ١٧)؛ القلب المنسحق عطر للرب الذي جبله[٨].]

٥. **تحريم بعض الأطعمة**

إذ حرم عليهم بعض الأطعمة (لا١١؛ تث١٤: ٤) إنّما هدف الله إلاَّ ما هو أسمى من أمر الأكل:

[لم يكن عدم الأكل أمرًا إلهيًا، لأن موسى تكلم عن الأكل بالروح وبطريقة رمزيّة.

تكلم أولاً عن الخنزير، وقد عني بذلك ألاَّ يكون لك اتصال بمن كانت أخلاقهم كالخنزير، إي أولئك الذين ينسون الرب وهم في حياة التنعم يتقلبون، ولا يذكرونه إلاَّ عندما يشعرون بالاحتياج، وذلك كالخنازير التي لا تعرف أصحابها إلاَّ عندما يعضّها الجوع، فتصرخ لتحصل على الأكل.

"لا تأكل النسر والأنوق والعقاب والغراب" (لا١١: ١٣)، أي لا تكون لك علاقة بمن لا يعرفون كيف يكسبون عيشهم إلاَّ بالقنص الشرّير وافتراس لحوم الآخرين، فتراهم يسلكون مسلك البراءة وما هم بأبرياء. أنّه يتربصون بفريستهم لينقضوا عليها...

لا يكون لك علاقة بالكفرة (منكري الإيمان) الذين هم الآن أموات ويشبهون الأسماك الملوّنة التي لا تسبح كبقيّة الأسماك، بل تستقر في الأعماق منتظرة فريستها لتنقض عليها (لا١١: ٩-١١)... [٩].]

العماد

في الفصلين ٦، ١١ يعرض بطريقة غير مباشرة عمل المعموديّة في حياة المؤمن، حيث تقدّم له البنوّة لله، وتختم نفسه بصورة الله ومثاله.

[يجدننا بغفران خطايانا، ليغيرنا إلى طابع آخر، فتصير لنا النفس التي للأطفال وكأنّه يخلقنا ثانية. يتحدّث الكتاب المقدّس عنّا عندما يقدّم لنا حديث الآب مع الابن: "لنخلق الإنسان على صورتنا ومثالنا"[١٠].]

يوم الرب

[7] Ch. 16.

[8] Ch. 12.

[9] Ch. 10.

[10] Ch. 6:11-12.

الاحتفال باليوم الثامن من الأسبوع، أي الأحد، لأنّه يوم القيامة، وذلك بدلاً من سبت اليهود... فبالقيامة تطهّرت قلوبنا وتهيّأت ليوم الرب ببره.

[قيل: "قدّسوا يوم السبت للرب بأيدٍ نظيفة وقلوبٍ نقيّة" (راجع خر٢٠: ٨؛ مز٢٤: ٤)... نخطئ إن اعتقدنا إنّنا نستطيع أن نقدس اليوم الذي قدسه الرب دون أن نكون أنقياء القلوب. إنّنا لا نستطيع أن نقدس اليوم، ولا أن نرتاح فيه بكرامة إلاَّ إذا كنا جديرين بتبرير نفوسنا بوضع قدّمنا على طريق الوعد، بعد تدميرنا لكل إثم، وتقدّيسنا بيسوع، **عندئذ نستطيع أن نقدس السبت بتقدّيسنا أولاً**... لذلك نعيد اليوم الثامن بفرح؛ اليوم الذي قام فيه المسيح من الأموات وظهر وصعد إلى السموات[١١].]

الألفيّة Chilioi

واضع الرسالة من أتباع الألفيّة Chiliasm؛ اعتبر ستّة أيام الخلقة هي ستّة آلاف سنة، لأن ألف سنة كيومٍ واحد عند الرب (مز٩٠: ٤). وخلص إلى القول بأنّه في هذه الآلاف الستّة تكتمل كل الأشياء بعد أن يتحطّم هذا الزمن الشرّير وتُعطى الفرصة كاملة للخطاة للتوبة، عندئذ يأتي ابن الله ليدين الأشرار ويغير الشمس والقمر والنجوم ويرتاح في اليوم السابع[١٢].

[11] Ch. 15.

[12] Ch. 15:4-5

بابياس

أسقف هيرابوليس

Papias of Herapolis

تعرّفنا على بابياس (وُلد ما بين ٦٠، ٧٠م) وكتاباته وأفكاره غالبًا من خلال كتابات القدّيس إيريناؤس ويوسابيوس[١] القيصري. يرى الأول أن بابياس تلميذ القدّيس يوحنا الحبيب، ورفيق القدّيس بوليكاربوس أسقف أنطاكية. صار أسقفًا على هيرابوليس في فرنجيّة بآسيا الصغرى.

تفسير كلام الرب Logion Kyriakon Exegseis

يذكر القدّيس إيريناؤس المعاصر له أنّه وضع خمسة كتب[٢]، وقد مدح هذا العمل جدًا، إذ تطلّع إليه أنّه على اتصال بأزمنة الرسل[٣]. وقد وُجد هذا العمل حتى القرن الرابع عشر ما لم يكن بعد ذلك، لكنّه لم يُعثر بعد على نسخة[٤].

احتكامًا إلى ما ورد في رسالة الإنجيلي يوحنا: "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا... نخبركم به" في نهاية القرن الأول الميلادي، حدث صدى له لدى كثيرين من الذين عاشوا بعد ذلك، وشاهدوا بأعينهم، وسمعوا بآذانه، ليسجّلوا للكنيسة ما استطاعوا تسجيله[٥]؛ من بينهم بابياس تلميذ القدّيس يوحنا الحبيب الذي عمد إلى جمع التقليد الذي تلقاه من أفواه من وعي أحاديث الرسل والتلاميذ. فوضع كتابه هذا ذا الخمسة مقالات في "تفسير كلام الرب Exposition of Oracles، كتبه مؤخرًا في نهاية حياتهم ما بين عام ١٣٠، ١٤٠م[٦].

اهتمامه بالتقليد

يقول[٧] **Richarson**: [لقد قامت الكرازة المسيحيّة على العهد القديم والتقليد الحيّ ليسوع، هذا الذي تناقله فمًا من فم، ففي الكنيسة الأولى كان الشعور **بالشهادة** الشخصيّة قويًا للغاية. فبابياس مثلاً سجّل لنا تفضيله "الصوت الحيّ" عن الكتب.]

مع ما لهذا العمل من عيوب لكنّه يحمل قيمة خاصة من جهة اهتمامه بالتقليد بما يحويه من تعليم الرسل الشفوي. فقد لخّص بابياس عمله هذا في المقدّمة، قائلاً:

[1] Irenaeus: Adv. Haer. 5:33:4; Eusebius: H. E., 3:36:1, 2.

[2] Ibid.

[3] Jean Danielou: The Theology of Jewish Christianity, p. 46.

[4] F. F. Bruce: Tradition, Old and New, Michigan 1972, p. 108.

[٥] المؤلف: مقدمات في علم الباترولوچي، ١٩٧٤، ص ٩٥.

[6] J. B. Lightfoot: The Apostolic Fathers, Michigan, 1974, p. 262.

[7] Early Christian Fathers, p. 21, 22.

[لا أتردّد أن أضيف ما تعلّمته وما أتذكّره جيدًا من تفاسير تسلّمتها من الشيوخ، لأني واثق من صحته تمامًا. أنا لم أفرح، كمعظم الناس، بالذين قالوا أشياء كثيرة، بل بمن يعلّمون الحق؛ ولا أفرح بمن يردّدون وصايا الآخرين، بل بأولئك الذين أعادوا ما أعطاه الرب للإيمان واستقوا من الحق نفسه. وإذا جاءني أحد ممّن تبع القسوس نظرت في كلام الشيوخ ممّا قاله اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو أحد تلاميذ الرب، أو أرستون أو يوحنا الشيخ. فإنني ما ظننت أن ما يُستقى من الكتب يفيدني بقد ما ينقله الصوت الحيّ الباقي[٨].] هكذا يهتم بابياس بصوت التقليد الشفوي الحيّ الذي سُلّم خلال تلاميذ الرب بكونه صوتًا إنجيليًا يعلن عن الحق.

ويلاحظ في هذا النص الآتي:

١. استخدم كلمة شيوخ هنا بالمعنى العام كقول Lightfoot ليشير إلى آباء الكنيسة في الجيل السابق له.

٢. كرر اسم "يوحنا" مرّتين، الأولى مع بطرس ويعقوب ومتّى وبقيّة الرسل، والآخر خارج دائرة الرسل ذكره بعد ارستيون Aristion؛ الأول القدّيس يوحنا الإنجيلي والثاني شخصيّة مشهورة، وقد وُجدت في أفسس مقبرتان باسم يوحنا حتى أيام يوسابيوس القيصري.

لم يتوخَ بابياس الدقّة، خاصة في أمرين:

١. حسب القدّيس مرقس الإنجيلي مترجمًا للقدّيس بطرس، وقد فنَّد قداسة البابا شنودة الثالث في كتابه "القدّيس الإنجيلي ناظر الإله مرقس" هذا الرأي.

٢. انتقد يوسابيوس القيصري[٩] على ما تحدّث به من قيام مُلك ألفي زمني بعد القيامة من الأموات، بصورة خياليّة متوهّمًا أن السيّد المسيح يعود إلى الأرض وفي مملكته توجد ١٠٠٠٠ كرمة كل كرمة فيها ١٠٠٠٠ غصن، وكل غصن به ١٠٠٠٠ عنقود، وكل عنقود يحوي ١٠٠٠٠ حبة من العنب، وكل حبة عصيرها يملأ ٢٥ مكيالاً من الخمر! صورة خياليّة سقط فيها خلال دفاعه عن المسيحيّة ضدّ اليهود، متخيلاً أن ما ورد في العصر المسيّاني من سلام وبركات إنّما هي أمور حرفيّة زمنيّة تتحقّق في مجيئه الثاني... وقد أخذ بعض الآباء هذه الفكرة عنه لا كعقيدة مدروسة وإنّما خلال أحاديثهم العابرة؛ من بينهم القدّيس أغسطينوس الذي تدارك الأمر فيما بعد ودرسه في جديّة بالروح الإنجيلي الكنسي وحسب من يعتنق هذه العقيدة إنّما يُحسب منحرفًا عن الإيمان.

[8] Eusebius: 3:39:11-13; Irenaeus: Adv. Haer. 5:32.

[9] ??

كتاب الراعي

لهرماس

The Shepherd of Hermas

يُدرج كتاب الراعي لهرماس بين كتابات الآباء الرسوليّين، لكنّه في الحقيقة ينتمي إلى الرؤى الأبوكريفا. هو كتاب رؤى قدّمت لهرماس خلال رمزين سماويّين: الأول امرأة عجوز كشفت له الرؤى الأربعة الأولى والثاني ملاك التوبة ظهر في شكل راعٍ في الرؤية الخامسة قدّم له الوصايا والأمثال.

هرماس

جاء في القانون الموراتوري Muratorian Fragmenton the Canon الذي يعود إلى القرن الثاني أن هرماس صاحب كتاب الراعي هو أخو بيبوس الأول أسقف روما (١٤٠-١٥٠م)، وارتأى أوريجينوس[1] أن صاحب هذا الكتاب هو هرماس المذكور في رومية ١٦: ١٤.

ما يقوله صاحب كتاب "الراعي" عن نفسه يصعب فيه التمييز بين ما هو رمز وما هو حقيقي. يقول عن نفسه أنّه كان عبدًا. بيع في روما إلى سيّدة رومانيّة تسمى روده Rhoda؛ فأحس في بادئ الأمر بعاطفة الأخوة من نحوها، ثم تطلّع إلى جمالها فاشتهى أن تكون له امرأة (رؤيا١: ١). اطلقت سبيله، فاشتغل بالزراعة والتجارة فصار غنيًا. تزوّج من امرأة ثرثارة، وأغفل أمر عائلته، فانغمس أولاده في الشر (رؤيا١: ٣)، وافتقر بسببهم (رؤيا١: ٢؛ ٢: ٣؛ ٣: ٦).

يصوّر نفسه أحيانًا رجلاً فاضلاً عنيفًا بعيدًا عن كل الشهوات الشرّيرة، بسيطًا مجانبًا للشر (رؤيا١: ٢)، وأحيانًا أخرى، كاذبًا متكلّمًا بالرياء (رؤيا٣).

إذ حدث اضطهاد، تمسّك هو وزوجته بالإيمان، بينما أنكر أولاده الإيمان، وتحمس للتوبة، فوضع كتابه "الراعي" ليبحث عن التوبة، مظهرًا أن نقاوة الكنيسة في خطر بسبب استفحال الخطيّة، وأن النهاية قد اقتربت.

ضياع أولاده لم يحطمه بل أثار فيه الرغبة في الكرازة مشتاقًا أن يراهم تائبين ومعهم كل نفسٍ بشريّة، وقد فرح بتوبة أهل بيّته فعلاً (مثل٧: ٤)، كما أعلن له الملاك أنّه سيعيد إليه حاله الأول الذي كان عليه قبل دماره ودمار أولاده.

تاريخ كتابته

جاء في الرؤيا الثانية (٤: ٣) أن الكنيسة قد أمرته أن يُعد نسختين لما يراه، وأن يضع إحداهما تحت تصرّف إكليمنضس ليرسلها إلى المدن التي في الخارج.

هنا يوجد نوع من التناقض، إذ كيف يمكن أن يكون هرماس أخًا لبيوس أسقف روما الذي لم يجلس على كرسي روما

[1] Comm. in Rom. 10:31.

قبل سنة ١٤٠م بينما كان إكليمنضس واضع الرسالة إلى كورنثوس أسقفًا من سنة ٩٠ إلى ١٠٠م؟ يعالج البعض هذا التناقض بالقول أن هذا العمل بدأ في زمن إكليمنضس وانتهى في عصر بيوس[٢].

نظرت الكنيسة الأولى لكتاب الراعي[٣]

توجد شهادات من القرن الثاني، إذ يستشهد به القدّيس إيريناؤس[٤] والقدّيس إكليمنضس الإسكندري[٥] والعلاّمة أوريجينوس[٦]، وينظرون إليه كسفر قانوني. ووُجد في المخطوطة الإسكندرانيّة للكتاب المقدّس مع رسالة برناباس بعد الكتب المقدّسة (ربّما ككتاب كنسي هام).

يعترف العلاّمة أوريجينوس أنّه يوجد في عصره من يحط من قدر الكتاب. ويجعله يوسابيوس في عداد الكتب المضادة للكتاب المقدّس[٧]. وأما القدّيس أثناسيوس[٨] فمع اعتباره كتابًا نافعًا إلاَّ أنّه يجعله من الكتب غير القانونيّة.

أما بالنسبة للغرب فقد اعتبره العلاّمة ترتليان كتابًا يحبّذ الزناة[٩]. ويقول القدّيس چيروم[١٠] أن هذا الكتاب كان منسيًا في الغرب في القرن الرابع.

سماته

١. يمكننا القول بأن هرماس كان إنسانا تقيًا ومتمسّكًا بالإيمان، ثبت وسط الاضطهاد.

٢. لم يكن هرماس مدرّبًا في العقيدة، وإن كان حسن النيّة. نراه يخلط بين ابن الله والروح القدس (قابل المثل ٩: ١ بالمثل ٦: ٥).

٣. لم يكن الكاتب أديبًا، فقد جاءت لغته بسيطة وعاميّة؛ وبالنظر إلى طابعه النبوي نجد صعوبة إن لم نقل عدم إمكانيّة فهم بعض الأمور. كما يلاحظ أن هناك حشوًا وتكرارًا لبعض الحقائق. ولا شك أنّه لو تولّت هذا الكتاب يد كاتب بارع لجاء أدق تعبيرًا، ولخلا من التكرار والتطويل. هذا ما حمل بعض العلماء إلى **الشك في وحدة الكتاب**، فقالوا أنّه مؤلّف اشترك في وضعه أكثر من كاتب، استند كُتَّابه إلى أساس واحد

[2] J. Quasten: Patrology, vol. 1, p. 92, 93.

[٣] سلسلة آباء الكنيسة: ١- الآباء الرسوليّين، تعريب مطران حلب الياس معوض، ١٩٧٠م، ص ١٦٧-١٦٨.

[4] Eusebius: H. E. 5:8.

[5] Stromata 1:29.

[6] Comm. on Matt. 14:1.

[7] Eusebius: H. E. 3:25.

[8] Letter on the Acto of the Niciene Council, 18.

[9] De Pudicitia 10.

[10] De vir. il. 10.

وراحوا يبنون عليه[١١]، غير أن الكتاب بلغته، ونسق كتابته، ومجرى التفكير الذي فيه، والمقصد الذي يهدف إليه يُثبت خطأ ما يزعم به هؤلاء العلماء. فالكاتب يستقي من الكتاب المقدّس من غير أن يورد آية من آياته بحرفيّتها، ويستقي أيضًا من الكتب المنحولة ومن كتب المسيحيّين والوثنيّين على السواء، ومن اللاتينيّة والكتبة اللاتين. ويستشم ممّا في الكتاب من الكلمات والتعبيرات اللاتينيّة، أنّه كتب في بلاد تستعمل فيها اللغة اللاتينيّة بجانب اللغة اليونانيّة، ويجوز أن يكون قد كُتب في روما. وبالنظر إلى العبريّة التي فيه فقد يجوز أن يكون الكاتب من أصل عبراني[١٢].

٤. ليس من بين كل كتابات الآباء الرسوليّين ما يهتم بالجانب التعليمي instructive أكثر من كتاب الراعي، وليس من بينها ما هو أصعب منه في التفسير من جهة تاريخه ومحتوياتهم وسماته وتعاليمه... فجميعها أمور تحت البحث[١٣]. حقًا أنّه يكشف عن بساطة الحياة المسيحيّة وما تتّسم به من اشتراكيّة مع عمق في الروحانيّة، لكن كما قلنا أفكاره غير كاملة بل وغامضة، يثير مشكلة ويعطي رأيًا، لكنّه قبل أن يكمّله يأتي برأيٍ آخر. ما أحبّه آباء الكنيسة الأولى فيه ليس فكره اللاهوتي وإنّما تعليمه السلوكي الأخلاقي وفهمه للحياة المسيحيّة[١٤].

٥. كتاب الراعي غزير المادة جمّ الفائدة لمؤرّخ الكنيسة في النصف الأول من القرن الثاني. فإنّنا نلتقي فيه بجميع طبقات المسيحيّين، بالصالحين والأشرار. فهناك أساقفة وكهنة وشمامسة أتقياء أمناء، وهناك أيضًا كهنة مهملون طامعون وشمامسة أكلوا أموال الأرامل واليتامى. وفيه يبهر نور الشهداء الثابتين في الإيمان كما ينبو البصر عن الجاحدين المجدّفين. وفيه المسيحي المخلص، والمرائي، والغني الذي لا يكترث

[١١] ان شمبانيي من الآباء الأنطونيين، باريس سنة ١٨٦٣م يعتقد أن هرماس العهد الجديد كتب الرؤى الأربع الأولى، أما بقيّة الكتاب فمن صنع شقيق البابا بيوس. وهيلغنفلد في كتابه (Novum Testam, extra canonem rec, 2nd ed.) يعتقد بينه جرت ثلاث تحويرات للكتاب يعدّدها كالآتي:

(Hermas Pastoralis, H. Apacalypticus, H. Secundarius)

أما ف. سبيتا في كتابه (Zur Gesch. Understand Liter. Des Urchristemtums, vol. 2, Gottengen 1896, p. 241) فيعتقد بأن كتاب الراعي هو رؤيا يهوديّة حورها مسيحي في عهد الإمبراطور كلوديوس، وهناك أيضًا كتّاب آخرون لم يقبلوا بصحّة هذه الإفتراضات بل حاولوا أن يبرهنوا على وحدة هذا الكتاب نذكر منهم:

A. Link. P. Baumgartner. F. Funk (Die Einheit d. Hirten. in Kirchengesch. Abhandlungen u. Unters, 3, Paderborn, 1907, p. 230-261). C. Turner (The journal of theological studies, London, 21, 1920, p. 193-209), and others. E. Grosse. Brauckmann (de compositione Pastoris Hermae, Göttingen 1910).

ان هذا الأخير يعتقد أن هرماس كتب كتابه في البداية لأجل عائلته، لكنه بعد فترة وجيزة حوره وأضاف عليه بعض الأفكار لأجل الكنيسة، ويرجّح بأن هرماس لم يكتب كتابه في مناسبة واحدة بل كتبه في عدّة مناسبات.

[١٢] سلسلة آباء الكنيسة: ١– الآباء الرسوليّين، ص ١٦٨–١٦٩.

[13] Jules Lebreton: The History of the Primitive Church, London 1944, vol. 2, p. 369, 370.

[14] Ibid, 370.

بالفقراء، والمؤمن الحقيقي الذي يبذل بسخاء، وإهمال بعض المسيحيّين وطمعهم وتمسّكهم بحطام الدنيا. يعتبر هذا الكتاب أشبه بمراجعة كنيسة روما لنفسها أو فحصها ذاتيًا[١٥].

[15] J. Quasten: Patrology, vol. 1, p. 96-97

الدكتور أسد رستم: آباء الكنيسة – القرون الثلاثة الأولى، ١٩٨٣م، ص ٥٢.

الخطوط العريضة

لكتاب الراعي

أقسامه

يحوي كتاب الراعي ثلاث مجموعات: خمس رؤى،واثنتي عشر وصيّة وعشرة استعارات أو أمثال، غير أن واضع الكتاب يقدّم تقسيمًا آخر وهو:

١. القسم الأول يحوي الأربع رؤى الأولى التي أعلنتها الكنيسة له.

٢. القسم الثاني يبدأ بالرؤيا الخامسة حيث يقدّم الراعي الوصايا والأمثال، وهو القسم الأطول والأهم.

الرؤى الخمس

تظهر الكنيسة في أربع رؤى متعاقبة:

في **الرؤيا الأولى** تظهر كامرأة عجوز ضعيفة جالسة على كرسي، تحضّه على التوبة عن خطاياه وخطايا عائلته.

في **الرؤيا الثانية** تستعيد الكنيسة قوّتها.

في **الرؤيا الثالثة** تظهر صبيّة صغيرة جميلة؛ جاء فيها:

[إنك تسأل لماذا ظهرت المرأة في المرّة الأولى مسنة وجالسة على مقعد؟ لأنك كنت عجوزًا بروحك، لا قوّة فيها بسبب فتورك وتشكّكك. كما أن الشيوخ يفقدون الأمل في العودة إلى الشباب، وكل آمالهم تنحصر في انتظارهم الرقاد الأخير، كذلك أنتم المسترخون في الأمور الحياتيّة إنكم قد أسلمتم ذواتكم إلى اليأس بدلاً من أن تقلوا همومكم على المخلّص، وأثقلتم قلوبكم بالأحزان وشاخت من الأسى.

أريد أن أعرف لماذا كانت المرأة جالسة على المقعد؟

قال: لأن كل كسيح يضطر أن يجلس، لا يمكنه إلاَّ أن يجلس.

هذا هو معنى الرؤيا الأولى.

في **الرؤيا الثانية** رأت المرأة تنتصب على قدّميها بوجه أكثر فتوّة وإشراقًا، إلاَّ أن جسدها وشعرها كانا جسد وشعر امرأة مسنة. إن هذا يشبه المثل الآتي: إنسان شيخ أقعدته همومه وأحزانه واستولى عليه اليأس، وكان ينتظر يومه الأخير تخلّصًا من اليأس الذي استولى عليه، وفجأة سقطت عليه ثروة ما كان يحلم بها، وبسبب هذه الثروة نسي ضعفه، وسرت فيه الحياة من جديد، وتجدّدت قواه التي انهكتها الأشغال السابقة، فخرج من سريره فرحًا، ووقف على قدميه. كذلك أنت عندما تسمع إعلان المخلّص لك. فقد تراءف بك وتحنن عليك، وعادت إليك القوّة بعد أن طرحت الضعف جانبًا، وتركّزت في الإيمان...

في **الرؤيا الثالثة** ظهرت المرأة شابة فرحة وجميلة، كان شكلها رائعًا. كما أن إعلان الخبر ينسي الرجل الحزين أحزانه وأتعابه الماضية، ولا يفكر إلاَّ في البشارة الجديدة، فتعود إليه كل القوى التي تفعل الخير ويشعر بأن روحه قد عاد

إليها الشباب بالفرح الذي انتابه، كذلك أنت، قد شعرت بأن الشيبوبة قد عادت إلى نفسك لدى رؤيتك هذه الخيرات. إذا كنت قد رأيتها جالسة على مقعد فإنّها أرادت أن تبرهن على رسوخ مركزها وثباته[1]... .]

يلاحظ في هذا التفسير الآتي:

١. عدم الفصل بين الحياة الشخصيّة وحياة الجماعة، أو بين حياة العضو وحياة الكنيسة... عندما يسقط الإنسان تبدو الكنيسة وكأنّها امرأة مسنة لا تقوى على الوقوف؛ وحينما يقبل نعمة الله ووعوده يتجدّد شبابها. حياتنا متلاحمة معًا بكوننا جسد المسيح الواحد، ما نمارسه أو نفكر فيه إنّما هو لحساب الجماعة كلّها.

٢. تركّز الرؤى على الرجاء أو اليأس، فالخطيّة تحطّم نفس الإنسان وتدخل به إلى اليأس، فينهار رجاؤه وشبابه، مشتهيًا الموت؛ أمّا نعمة الله فتبعث الرجاء وتجدّد مثل النسر شبابه.

٣. المظهر الخارجي لا يكشف عن تمام الحقيقة، فالعجوز جالسة على مقعد والفتاة أيضًا، الأولى تجلس أنّها عاجزة عن الحركة أو القيام بعمل، والثانية تجلس كمن يحكم، ثابتة في حياتهما، صاحبة سلطان.

٤. التحوّل من حالة الشيخوخة إلى الشبوبيّة إنّما يعني أن المخلّص يخلق أو يعيد خلقتنا بالميلاد الجديد. فالحاجة لا إلى إصلاح جزئي بل إلى الحياة الجديدة... يقيمنا من جديد على صورته، وكما يقول الرسول بولس: "تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق حسب الله في البرّ وقداسة الحق" (أف٤: ٢٤).

٥. يرى البعض[2] أن التحوّل السريع من الشيخوخة إلى الشبوبيّة في حياة المؤمن إنّما يعني أن الشر ليس متأصلاً بعمق شديد كما نظن، وأن هذا الانطباع يتثبّت بالأكثر في بقيّة الكتاب. فالمسيحي بالتوبة – المعموديّة الثانية – يتجدّد ذهنه يوميًا فلا يشيخ، وإن كان قد شاخ يعود إلى الحياة الشابة من جديد!

في **الرؤيا الثالثة** تطل الكنيسة (السيّدة الشابة) على هرماس لتريه برجًا عاليًا في طور البناء، فتظهر أن الكنيسة تصير في القريب مُثلى، غير أن كل حجر لا يصلح للبناء يُرذل، هكذا كل خاطئ يُمنع من الشركة الحقّة في الكنيسة ما لم يتب، خاصة وأن الوقت مقصّر.

في **الرؤيا الرابعة** يظهر تنين قبيح مُرعب فوق رأسه أربعة ألوان: أسود وأحمر ناري وذهبي وأبيض يرمز إلى الأخطار والاضطهادات المحدقة، لكنّه لا يؤذي المؤمن الثابت في إيمانهم. ويظهر وراء التنين الكنيسة في هيئة عروس جميلة متوَّجة رمز السعادة والتطويب للمؤمنين وضمان قبولهم في الكنيسة الخالدة المقبلة.

[1] Vision 3:11-13.

استندت أحيانًا على ترجمتين عربيتين في نصوص هرماس:

- سلسلة آباء الكنيسة: ١. الآباء الرسوليّين، تعريب الياس معوض مطران، حلب ١٩٨٠م.
- أقدم النصوص المسيحيّة: سلسلة النصوص اللاهوتية: ١– اقليمندس الروماني، راعي هرماس، تعريب الأب چورچ نصور، الكسليك، ١٩٧٥م.

[2] Lebreton: The History of the Primitive Church, vol. 2, p. 372.

يقول: [بعد أن اجتزت التنين بثلاثين خطوة إذا بفتاة مزينة كأنّها خارجة من عرسٍ يوشحها البياض، وتنتعل حذاءً أبيض، وتغطي رأسها حتى الجبين، وتلبس فوقه تاجًا، وكان شعرها أبيض... فغمرتني رؤيتها فرحًا، فصافحتني... وقالت: "ألم تلتق بشيء في طريقك؟" قلت: "نعم. لقد التقيت بتنّين يمكنه أن يهدم مدينة، إلاَّ أنّني نجوت منه بقدرة الله ورحمته". فقالت: "إذا كنت قد نجوت، فلأنّك ألقيت همومك على الله، وفتحت له قلبك، وآمنت أن لا خلاص لأي إنسان إلاَّ بواسطة اسمه العظيم. لذلك أرسل الله ملاكه الموكّل إليه أمر الحيوانات، المُسمى ثاغري، ولجّم فمه حتى لا يقضي عليك، لقد نجوت بإيمانك من نكبة عظيمة، فلم تتزعزع أمام وحش هائل كهذا. اذهب وفسّر لمختاري الله أعماله المجيدة، وقل لهم ان هذا الوحش هو صورة للأحزان المستقبلة العظيمة. استعدّوا وتوبوا من أعماق قلوبكم... آمنوا بالمخلّص أيها المؤمنون المتأرجحون...".

سألتها عن الألوان الأربعة فوق رأس الحيوان، فأجابتني قائلة...

"الأسود هو العالم الذي تسكن فيه.

أما الناري الدموي فإن العالم سيهلك بالنار والدم.

أما الجزء المذهب فهو أنتم الذين تهربون من هذا العالم؛ فكما أن الذهب يُختبر بالنار ويصبح صالحًا للاستعمال، كذلك أنتم الذين تقطنون هذا العالم تُختبرون...

أما الجزء الأبيض فإنّه الدهر الآتي الذي يقطنه مختارو الله، لأن المختارين لحياة أبديّة يكونون طاهرين بلا دنس[٣].]

في **الرؤيا الخامسة** يظهر ملاك التوبة في ثوب راعٍ يدبر أمور التوبة، ويضمن نتائجها ويعلن عن الوصايا الواجب حفظها.

هنا نلاحظ أن ملاك التوبة لم يظهر لهرماس إلاَّ بعدما تمتّع برؤية الكنيسة الشابة الجميلة الغالبة للتنّين، المتوّجة بإكليل النصرة، المتوشّحة بالقداسة (البياض)، المنتعلة بحذاء أبيض، أي تسلك الطريق الملوكي بالنقاوة، المحتشمة (تغطي رأسها حتى الجبين)، الحكيمة (شعرها أبيض)... هذا المنظر بعث فيه فرحًا يسنده على قبول الوصيّة والجهاد من أجلها في الرب.

لا يستطع المؤمن أن يحب الوصيّة، ويتقبّلها بفرح، ما لم يكتشف الحياة الكنسيّة المجيدة الغالبة للشر، والحاملة قداسة مسيحها. وكأن الوصيّة ليست أوامر ونواهٍ، إنّما هي الطريق الملوكي الذي فيه ننعم بمسيحنا واهب الغلبة والحياة المقدّسة.

الوصايا الاثنى عشر

تسلّم هرماس من ملاك التوبة الذي يتّقدمه في شكل راعٍ الوصايا التي تتضمّن التعاليم المسيحيّة التي يجب تطبيقها عمليًا، وهي:

[3] Vision 4:2, 3.

١. **الإيمان بالله الخالق** وخشيته التي تبعث التعفّف.

٢. **البساطة** وعدم النميمة وعدم الانشقاق وحب العطاء.

٣. **الصدق أو الحق:** الله الساكن فينا هو الحق!

[احبب الحق، ولا ينطق فمك إلاَّ به، ليرى الناس جميعًا حقيقة الروح الذي أسكَنه الله فيك، وهكذا يتمجّد الرب الساكن فيك، لأن الله حق في كل أقواله، وليس فيه كذب قط[٤].]

٤. **طهارة المتزوجين**

[إذا اكتشف (الزوج) أن (زوجته) تزني، ورفضت أن تتوب، فإنّه يكون شريكًا معها في زناها وخطيّتها إن عاش معها[٥].]

[ليصرفها وليبق وحده، ولكن إن تزوج ثانية بعد ترك زوجته فهو يزني.

قلت: وإذا تابت المرأة بعد تركه لها، وأرادت أن تعود لزوجها، ألا يجب أن يقبلها؟

أجاب: بالتأكيد.

قلت: وإذا رفض قبولها؟

قال: أنّه يخطئ ويتحمّل مسئوليّة كبرى، لأنّه يجب دائمًا قبول التائب لمرّة واحدة لا أكثر، لذلك لا يجوز لرجل أن يتزوّج مرّة أخرى وكذلك المرأة[٦].]

[لا يجوز لمن غفر له أن يخطئ، بل وجب عليه أن يبقى في الطهارة[٧].]

[للإنسان توبة واحدة، أمّا إذا أخطأ ثانية وتاب فتوبته باطلة، ومن الصعب أن يجد الحياة[٨].]

ربّما عني هنا عدم الاستهتار خاصة في بعض الخطايا كالزنا والقتل وإنكار الإيمان... فإنّه بعد العماد إن سقط الإنسان فليتب، لكنّه لا يتهاون مستهترًا بطول أناة الله فيسقط ليتوب!

٥. **طول الأناة**

[إن كنت طويل الأناة فالروح القدس الذي يسكن فيك يبقى نقيًا ولن يزورك فكر شرّير قط.

إن كان قلبك طاهرًا، فالروح الذي فيك يبتهج ويتهلّل، إذ يعمل في سعة بيتك الذي تحكمه البساطة بصفاء،

[4] Commandment 3:1.

[5] Ibid 4:1, 5.

[6] Ibid 4:1:6-8.

[7] Ibid 4:3:2.

[8] Ibid 4:3:6.

أمّا إذا دخله الغضب، فينزعج الروح القدس المملوء رقّة بتلوّث المكان الذي يعيش فيه ويحاول مغادرته... طول الأناة يفوق العسل حلاوة... [٩].]

٦. **السلوك في طريق العدل لا الظلم**

[يصحب الإنسان ملاكان، ملاك العدل وملاك الشر... عندما تشعر بالتذمّر والمرارة فاعلم أن الشيطان يسكن فيك... فابتعد عنه ولا تصدّقه، لأن أعماله تضر عبيد الله[١٠].]

٧. **خف الله لا الشيطان**

[اخش الرب واحفظ وصاياه التي تقوّيك في كل أمورك، فلا يكون مثيل لأعمالك... لا تخش الشيطان إذا خشيت الرب، فإن خشيتك لله تعطيك سلطانًا على الشيطان[١١].]

٨. **اصنع الخير وكف عن الشر**

[إن فعلت الصلاح تحيا في الله، ويحيا أيضًا الذين يفعلون الخير مثلك[١٢].]

٩. **الكف عن الشك**

[إذا تسلّل الشك إلى قلبك لن تنال شيئًا... أما الذين يطلبون واثقين فإنّه ينالون ما يريدون، لأن صلاته تخلو من التردّد والشك[١٣].]

١٠. **الكآبة**

[اطرد عنك الحزن (الكآبة)، فإنّه شقيق الشك والغضب[١٤].]

[الروح القدس القاطن فيك لا يحتمل الكآبة ولا الانزعاج[١٥].]

[الكآبة إذا امتزجت بالصلاة يمنعها من الصعود نقيّة[١٦].]

[9] Ibid 5:1:2-6.

[10] Ibid 6:2:1. 5, 6.

[11] Ibid 7:1, 2.

[12] Ibid 8:12.

[13] Ibid 9:5, 6.

[14] Ibid 10:1:1.

[15] Ibid 10:2:6.

[16] Ibid 10:3:3.

١١.الأنبياء الكذبة: التواضع يميّز النبي الصادق من النبي الكذاب[١٧].

١٢.ترك الشهوات الشرّيرة

[قبل كل شيء إياك واشتهاء امرأة غريبة والترف والتنعّم بالباطل والسكر وكل شهوة أو لذّة صبيانيّة. الشهوة الشرّيرة إذا رأتك مسلحًا بخوف الله تُولي هاربة، ولا تجسر قط أن تظهر أمامك إذا رأتك مستعدّا لمقاومتها، حينئذ يتوّج رأسك بإكليل الظفر. اقترب من الرغبة الصالحة... وكرّس نفسك لها، وضع نفسك تحت تصرفها، وهكذا تستطيع أن تسيطر على الشهوة الشرّيرة، وتتحكّم بها بإرادتك[١٨].]

[يجيد الشيطان الصراع، لكنّه لا يغلب إذا صمدتم في وجهه، بل ينحدر ويهرب خجلاً. الأشخاص الفارغون هم الذين يخافون الشيطان كقوّة[١٩].]

[لا تخافوا مطلقًا تهديدات الشيطان، فإنّه مشلول كأعصاب ميّت[٢٠].]

الأمثال

جاءت الخمسة أمثال الأولى من نوع الوصايا.

المثل الأول: التغرّب

[إنكم تعلمون يا عبيد الله أنكم تقطنون أرضًا غريبة، وأن بلدكم بعيد جدًا وليس ههنا... فلماذا تقتنون الأراضي الشاسعة والقصور والأبنية والمساكن ما دمتم تعرّفون أن المدينة التي ستستوطنونها ليست هنا؟!

من يهيئ نفسه لهذه الحياة يصعب عليه أن يعود إلى مدينته الحقيقيّة[٢١].]

المثل الثاني: الكرمة وشجرة الدردار (محبّة الفقراء).

الكرمة تشبه الغني والدردار يشبه الفقير؛ الكرمة إن تركت على الأرض لا تحمل ثمرًا كثيرًا، لكنها إذا تسلّقت شجرة الدردار تعطي ثمرًا كثيرًا؛ هكذا يجب أن يتلازم الغني مع الفقير. الغني يستنزف ثروته اهتمامه من خدمة الله، لكن انشغاله بالفقير يحقّق له ثمرًا متزايدًا لدى الرب.

المثل الثالث: الأشجار العارية في الشتاء

المثل الرابع: تمييز الأشجار في الصيف

[17] Ibid 11:8.

[18] Ibid 12:2:1-5.

[19] Ibid 12:5:2.

[20] Ibid 12:6:2.

[21] Simil. 1:1, 2.

[الأشجار التي تراها هم سكان هذا العالم... لأن الصدّيقين والخطاة لا يتميّزون في هذا العالم بل جميعهم يتشابهون. هذا العالم بالنسبة للصدّيقين هو بمثابة الشتاء، ولا يتميّزون عن الخطاة الذين يسكنون معهم. ففي الشتاء تفتقد الأشجار أوراقها وتصبح متشابهة تمامًا، ويصعب التمييز بين الأشجار الميّتة والأشجار الحيّة[٢٢].]

[كما أن ثمار الأشجار تظهر في الصيف، وتعرف كل شجرة من ثمارها، كذلك سيُعرف الصدّيقون المتقّلون بأوراق تعطي ظلاً من ثمارهم. أمّا الوثنيّون والخطاة الذين ترمز لهم الأشجار اليابسة، فسيظهرون في الدهر الآتي على حالتهم. يابسين عقيمين، ويُلقى بهم في النار كالخشب اليابس، لأن أعمالهم كانت شرّيرة[٢٣].]

المثل الخامس: مفهوم الصوم الحقيقي

[اسمع. فإن الله لا يريد صومًا باطلاً كهذا الصوم؛ إن صمت هكذا فأنت لا تعمل شيئًا للبرّ.

صُم للرب هكذا:

لا تصنع الشر،

واخدم بقلب نقي،

واحفظ وصايا الله،

وسر حسب أوامره،

ولا تترك للشهوة الشرّيرة منفذًا في قلبك،

وثق بالله،

فإن فعلت هذا، وخشيت الله، تكون قد صمت صومًا عظيمًا مقبولاً لدى الله[٢٤].]

يركّز الراعي في وصيّته على الحياة الداخليّة، مقدّما مثلاً لذلك: إنسان سلَّم حقله لعبده الأمين ولم يوصه إلاَّ بتسييجه، وإذ سيّج العبد الحقل رأى الحقل مملوءًا أشواكًا فقام بتنقيته والاهتمام بفلاحته. عاد صاحب الكرم وفرح بما صنعه عبده، وكرَّمه أمام ابنه الحبيب وكل مستشاريه وأصدقائه، قائلاً لهم ان هذا العبد صنع بكامل حريته أكثر ممّا أمره به، لذلك يجعله وارثًا مع ابنه الحبيب، وبعد أيام صنع سيّده عشاءً وأرسل الكثير من الأطعمة للعبد الأمين، فاحتفظ بقدر حاجته ووزّع الباقي على رفقائه العبيد... سمع السيّد فصمّم بالأكثر أن يجعله وارثًا.

تحدّث أيضًا عن الطهارة: [احفظ جسدك طاهرًا بلا دنس حتى ينال شهادة الروح القدس الساكن فيه[٢٥].]

[22] Ibid 3:2:3.

[23] Ibid 4:3:4.

[24] Ibid 5:1:4, 5.

[25] Ibid 5:7:1.

الأربعة أمثال التالية (٦-٩) تعالج بشيء من التفصيل موضوع التوبة، بينما في المثال الأخير (١٠) يعود فيظهر البرج مرّة أخرى، ويعلّم ملاك التوبة هرماس أن ينقّي عائلته من كل شر، وأن ينصح كل أحد بالتوبة.

المثل السادس: حوار بين ملاك الشهوة والخداع وملاك العقاب في ثوبي راعيّين

أخذه ملاك التوبة إلى الحقل ليرى راعيّي الأغنام:

الراعي الأول: هو ملاك الشهوة والخداع في شكل شابٍ يرتدي لباسًا أصفر، وجّهه يشع فرحًا لأن قطيعًا كبيرًا يقفز متهلّلاً من مكان إلى آخر ليحيا في الشهوة، هؤلاء هم الذين انفصلّوا عن الله نهائيًا، وتركوا حياتهم في أيدي شهوات العالم، وأهانوا اسم الله دون توبة، ونصيبهم هو الموت. ويوجد في قطيعه أيضًا خراف في نفس المكان تلهوا ولا تتهلّل؛ هؤلاء هم الغارقون في الشهوة لكنّهم لا يهينون الله، وقد بقي فيهم رجاء التوبة. هم فساد لكنّهم بالتوبة يخلّصون من الموت الأبدي.

الراعي الثاني: هو ملاك العقاب، طويل القامة، وحشي الهيئة، يلبس عباءة بيضاء من جلد الماعز، وعلى كتفيه جرابًا، وفي يدي عصى ثقيلة معقّدة وسوط كبير. يستلم ملاك العقاب من الراعي الشاب الخراف الغارقة دون أن تتهلّل، ويضعها في مكان منحدر مملوء بالأشواك والعلّيق، وكان الراعي يضربها بقسوة، الأمر الذي أثار شفقة هرماس جدًا عليها.

قال له ملاك التوبة: [عندما تحلّ بهم المحن الكثيرة **تصير لهم آلامهم مدرسه لثقافتهم،** فيتّقدون في الإيمان، ويصرفون بقيّة أيامهم يخدمون الله بقلبٍ نقي، وإذا ما تابوا يتذكّرون الأعمال الرديئة التي ارتكبوها، ويعرفون إنّها هي التي سبّبت لهم ما أصابهم وما نالوه من عقابٍ عادلٍ من الله، وينجحون في كل مشاريعهم التي يقدمون عليها دون أن يمسّهم ضرر[٢٦].]

المثل السابع: هرماس يتألّم بسبب خطايا عائلته

مرمرت عائلته ملاك العقاب أو الملاك الديّان... وإذ تابت من كل قلبها طلب هرماس من الملاك أن يعفيه من الضيق، وإن كان ملاك التوبة طلب منه أن يحمل صليبه باختياره.

يقول ملاك التوبة: [يجب على التائب أن يفرض الألم على نفسه، وأن يكون متواضعًا في أعماله، وأن يحتمل آلامًا متعدّدة، فإن احتمل بصبرٍ ما يصيبه من آلام، يتراءف خالق الكون به، ويشفيه من كل شروره، لأنّه يعرف مكنونات القلوب، ويتطلّع إليه، ويفحص نقاوته[٢٧].] (مثل٧: ٤-٥).

المثل الثامن: شجرة الصفصاف وعمل النعمة

أراه الراعي شجرة صفصاف كانت تظلل سهولاً وجبالاً، وقد اجتمع تحتها كل الذين دعوا باسم المسيح. وكان ملاك الرب العظيم بقامته الفارعة يقف تحت الشجرة وفي يدي منجل، وكان يقطع به أغصانًا، ويوزّعها على الجمع المحتشد

[26] Ibid 6:3:6.

[27] Ibid 7:4, 5.

تحت ظلالها. وكانت الأغصان صغيرة لا تتجاوز طول الشبر. وبعد أن استلم الجميع أغصانه وضع ملاك الرب المنجل جانبًا، وظهر الشجرة كأنّها لم تمس.

شجرة الصفصاف – كما قال ملاك التوبة – هي الناموس أو ابن الله، ربّما قصد بها **كلمة الله** أو الوصيّة المكتوبة، أو كلمة الله المتجسّد، فإن كل مؤمن بالكلمة المتجسّد يكون كمن تمتّع بغصن، ويلتزم أن يبقى أمينًا في إيمانهم بالحياة الإنجيليّة الحيّة.

وملاك الرب العظيم هو رئيس الملائكة ميخائيل، الموكل إليه حفظ إيمان الكنيسة.

جاء وقت استلام الأغصان وفحصها بدقّة، فماذا وجد؟

١. أُعطي لمن كانت أغصانه يانعة ومثمرة أكاليل كأنّها مصنوعة من أغصان النخيل على رؤوسهم وأُدخلوا في البرج، هؤلاء هم الذين صارعوا الشيطان وغلبوه، وتحمّلوا الموت من أجل الوصيّة فتمتّعوا بإكليل النصرة.

٢. الذين قدّموا أغصانه يانعة دون ثمر أرسلهم إلى البرج بعد ختمهم بخاتم، وهناك صاروا يلبسون ثيابًا بيضاء كالثلج، هؤلاء هم الذين طبقوا الناموس وتحمّلوا اضطهادات ولم ينكروا اسم المسيح.

٣. سلّم الملاك العظيم لملاك التوبة بقيّة الجموع ثم غادر المكان، وصار ملاك التوبة يفحص أغصانه فوجدها هكذا:

ب. البعض يابسة دون أن ينخرها السوس.

ب. البعض نصف يابسة (المتردّدون الذين هم ليسوا أحياء ولا أموات).

ج. البعض نصف يابسة ومشقّقة (المتردّدون النمامون).

د.البعض نصف خضراء مشقّقة (مؤمنون لكنّهم يطلبون المجد الباطل).

هـ. البعض نصف خضراء ونصف يابسة (المنغمسون في الزمنيّات).

و. البعض خضراء بثلثيها والثلث الباقي يابس (الذين أنكروا الإيمان أحيانًا وأعلنوه أحيانًا).

ز. البعض يابسة بثلثيها والثلث الباقي أخضر (الذين بعد قبولهم الإيمان عادوا إلى طريق الأمم).

ح. البعض خضراء كلّها إلاَّ القليل من أطرافها (المؤمنون الذين سقطوا عن ضعف).

ط. البعض يابسة كلّها إلاَّ قليل من طرفها أخضر (المؤمنون الذين يصنعون الإثم لكنّهم يفتخرون باسم الله ويستقبلون خدام الله بفرح).

أخذ ملاك التوبة من الناس الأغصان وزرعها في الأرض مترجّيًا أن تعود إليها الحياة بالتوبة، وصار يسقيها، لأن الخالق يريد الحياة لكل من تسلّم غصنًا من هذه الأغصان.

جاءت الجماعات مصطفّة حسب ترتيب تسليمهم الأغصان، وعاد يفحص الأغصان، البعض عادت إليها الخضرة،

والأخرى أكلها السوس؛ البعض صار بها براعم ثمر والأخرى بقيت عقيمة...

سأل هرماس: لماذا لم يتب الجميع؟ فأجابه ملاك التوبة: [يعطي الله روح التوبة للقلوب التي تنتقي وتتطهّر، أمّا الخبيثة فتكون توبتها مرائيّة، ولن يعطيّها روح التوبة، لئلا تهين اسمه[٢٨].]

المثل التاسع: الكنيسة كبرج عجيب

قاد ملاك التوبة هرماس إلى جبل أركاديا، وهو جبل لولبي، وأجلسه فوق القمة، وأراه سهلاً عظيمًا تحيطه دائرة من اثنى عشر جبلاً، ولكل جبل شكل خاص به. **هذه الجبال تمثّل اثنى عشر سبطًا يقطنون كل العالم**، كرز لهم الرسل بابن الله، أي تشير إلى الكنائس المحليّة المنتشرة في العالم، لها ثقافاتها الخاصة وطقوسها الخاصة، لذا ظهرت الجبال مختلفة الشكل، التي ربّما تشير إلى المؤمنين الذين بينهم من هم أمناء ومنهم من هم غير أمناء.

١. جبل أسود (المؤمنون الذين جدَّفوا على الرب وخانوا خدامه).

٢. جبل عارٍ لا عشب فيه (المراءون ومعلّموا الفساد).

٣. جبل مليء بالأشواك والعُلّيق (الأغنياء المرتبكون بهموم العالم).

٤. جبل نصفه مملوء عشبًا؛ وكانت رؤوس الأعشاب خضراء، والقسم القريب من الجذور يابسًا، وكانت الحرارة تُيبّس بعض الأعشاب (المرتدون الذين يشهدون للرب بأفواههم أمّا قلوبهم فبعيدة عنه).

٥. جبل معشب ووعر (المؤمنون العصاة المعجبين بأنفسهم كمعلّمين).

٦. جبل مليء بالحفر الصغيرة والكبيرة، فيها عشب ذابل (الحاقدون).

٧. جبل مليء بالأعشاب النضرة، ترعى فيها الحيوانات فيزداد نضارة وبهاءً (البسطاء الراضين عن خدام الله المملؤون رحمة وحبًا).

٨. جبل مليء بالينابيع تشرب منها مخلوقات الله (الرسل والمعلّمون).

٩. جبل بدون ماء، فيه زحافات ميّتة (الشمامسة السالبين ما لله).

١٠. جبل فيه أشجار كبيرة تستظل تحتها قطعان الغنم (الأساقفة الأمناء).

١١. جبل مُغطى بغابة كثيفة من الأشجار المثمرة شهيّة (المتألّمون لأجل الله).

١٢. جبل أبيض يبعث في النفس بهجة وعذوبة (المؤمنون البسطاء كأطفالٍ أبرياء).

هذه صورة الشعب المسيحي بين الأمم، منهم من هم مثل جبل أسود ومنها ما هو أبيض؛ منها ما يحمل ثمار الروح الشهيّة ومنها ما هو عقيم؛ منها ما بها ينابيع نعمة الله المُروية للنفوس، ومنها ما يقتله الجفاف الروحي... الخ.

أراه أيضًا **صخرة بيضاء** كانت تقوم مرتفعة في وسط السهل، وكانت الصخرة أعلى من الجبال ومربّعة، تستطيع أن

[28] Ibid 8:6:2.

تسع العالم؛ كانت الصخرة قديمة وبابها محفور في أحد جوانبها، وقد ظهر له الباب محفورًا حفرًا حديثًا. كانت الصخرة أكثر لمعانًا من الشمس حتى أن أشعتها أثارت إعجابه. الصخرة القديمة هي ابن الله الأزلي، صخر الدهور الذي يسع العالم كلّه ككنيسة مقدّسة يحملها بذراعيه، أمّا الباب الجديد فيشير إلى تجسّده، به ندخل إليه وننعم بخلاصه ونحيا في ملكوته.

كان حول الباب **اثنتا عشر عذراء:** أربعة منهنّ، وهنّ أجملهنّ، كن يقمن عند الزوايا، أمّا الباقيات فكنّ يقفن بين كل زاويتين، اثنتين اثنتين، وكنّ يلبسن لباسًا من الكتّان، ويأتزرن مآزر جميلة، وكانت أكتافهنّ عارية كأنّها أُعدّت لحمل شيء ما، وكن يقفن مستعدّات فرحات.

العذارى الواقفات عند الزاويّة هن: الإيمان والعفّة والقوّة وطول الأناة؛ أمّا الواقفات بينهن فهن: البساطة والبراءة والنقاوة والصفاء والحقيقة والفطنة والتصافي والمحبّة. من حمل هذه الأسماء مع اسم ابن الله يمكنه أن يدخل ملكوت السموات.

كان المشهد مثيرًا ورائعًا، ومحيرًا، فقد رأى العذارى الناعمات اللواتي يقفن بنعومتهنّ وقفة رجوليّة كأنّهن يتهيّأن ليحملن السماء كلّها (٩ :٢: ٥) هكذا تتمتّع نفس المؤمن الحقيقي برقّة شديدة ولطف زائد، فتكون كمجموعة من العذارى الجميلات الرقيقات، لكنها تحمل قوّة وتسلك بحزم وفي نضع كمن يحمل السماء عينها! إنّها تحمل صورة ابن الله وسماته الوديع كل الوداعة ليجتذب الخطاة بحبّه اللانهائي، حازًا ضدّ الشر، يقتل إبليس ويهدم سلطاته.

رأى أيضًا **ستّة رجال** مقبلين بقامتهم الطويلة ومشيتهم الرصينة وهيئتهم المتشابهة، وقد استدعوا عددًا من الناس طوال القامة مشرقي الطلعة أقوياء، وأمرهم الستّة أن يبنوا فوق الصخرة وفوق الباب برجًا. هؤلاء الرجال هم الملائكة المحيطون بابن الله، ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن اليسار، يحثّون المؤمنين للعمل الكنسي، لبناء كنيسة الله على الإيمان بالمسيح الصخرة والباب.

كانت العذارى يطلبن من الرجال أن يسرعوا لبناء البرج، **وكن يمددن أيديهن لمن يردن أن يتسلّمن شيئًا.**

بناء على أمر الرجال الستّة اقتلع الرجال **عشرة حجارة مربّعة برّاقة غير منحوتة،** استلمتها العذارى، وحملن إيّاها إلى الرجال الذين أوكل إليهم ببناء البرج. هذه الحجارة استخرجت من أعماق البحر، وتعاونت العذارى معًا على حملهن حجرًا حجرًا. هذه الحجارة هي الجيل الأول من المؤمنين الذين كانوا يُحملون من البحر كمن يُنتزعون من الطبيعة الميّتة، ويدخلون بالإيمان بابن الله مع سلوكهم الحياة المقدّسة الجديدة (العذارى) إلى بناء ملكوت الله الروحي أي إلى الكنيسة.

كان بناء البرج يتم فوق الصخرة وفوق الباب، وقد تغطت الحجارة كلّها بتلاحمها معًا فوق الصخرة التي صارت أساسًا للبرج... وبعد الحجارة العشرة استخرج من الأعماق خمسة وعشرون حجرًا دخلت في البناء كما حدث مع العشرة حجارة؛ ثم خمسه وثلاثون ثم أربعون، وهكذا **أصبح أساس البرج مؤلفًا من أربعه صفوف.** توقف استخراج الحجارة من الأعماق، وتوقّف البناؤون قليلاً عن البناء، ثم أمر الرجال الستّة جموع الفعلة بجلب الحجارة للبناء من الجبال. فانطلقوا يحملون حجارة مختلفة الألوان، وكانوا ينحتونها ويسلّمونها للعذارى اللواتي كن ينقلنها من الباب ويسلّمنها

لبناء البرج. وعندما كانت هذه الحجارة توضع في مكانها من البناء تفقد ألوانها وتصبح كلّها بيضاء. إنّها تمثّل الكنيسة التي تصبح قلبًا واحدًا نقيًا وبهيًا في المسيح يسوع.

الحجارة التي لم تتسلّمها العذارى لم تدخل من الباب ولم تكن ملائمة للبناء، بلا بهاء، ولم يتغيّر لونها إلى الأبيض الناصع.

توقّف العمل قليلاً وبقيت العذارى حارسات البرج حتى يأتي صاحب البرج، فقبلته العذارى وديرن(مش من غير ي وتشكّل) معه حول البرج. **صار يفحص البرج بدقّة متحسّسًا كل حجر، وكان يضرب بعضها بعصا في يده،** فكان بعضها يسوَّد والبعض يتفتّت أو يتشقّق أو يُبتر، وظهر البعض ليس باللون الأبيض ولا أسود، وظهر حجارة إنّها خشنة لا تصلح للبناء والبعض ملطّخًا... هذه حجارة لا تصلح للبناء، نُزعت عن البرج واستُبدلت بغيرها، أتوا بها لا من الجبال بل من سهلٍ مجاور. حفروا السهل فعثروا على حجارة لامعة مكعّبة وبعضها مستدير. هؤلاء هم الأغنياء الذين عاشوا حياة سهلة لكنّهم لم يتركوا الإيمان ولم يخرج من فمهم كلمة بطّالة، إذ **نُزع عنهم حب الغنى صاروا حجارة حيّة لامعة في بيت الرب...**

بعض الحجارة الكرويّة احتاجت إلى نحتها لتوضع في البناء. وهكذا نرى **صاحب البرج يشتاق أن يستخدم كل حجر في البناء،** لكن الحجارة التى لا تستجيب تُرذل، ويُلقى بها بعيدًا عن البرج...

جاء ملاك التوبة بعد يومين لتنظيف المكان خارج البرج، فكان يلقي كل حجر لا يدخل في البناء بعدما يبذل كل الجهد لتسليم كل حجر للعذارى الست حتى المفتت والمشقّق لعلّه يصلح في البناء.

المثل العاشر: ينبّه ملاك العقاب هرماس وعائلته بالتوبة، معلنًا أن العذارى فرحات بوجودهنّ عنده، وأنّه ينصحهنّ ألاَّ يتركن بيت هرماس فقبلت العذارى النصيحة فرحات.

أفكاره

التوبة

جاء في الوصيّة الرابعة حوار بين هرماس وملاك التوبة عن موضوع التوبة وغفران الخطايا بعد نوال المعموديّة.

[قلت: أيمكنني يا سيّدي أن أسألك سؤالاً آخر؟

قال: تكلّم.

قلت: سمعت بعض المعلّمين يقولون أنّه ليس هناك توبة غير التي نلناها عند المعموديّة حيث نلنا غفران الخطايا السابقة.

فقال لي: ما سمعته صحيح. وهذا هو الواقع، فالذي نال مغفرة الخطايا لا يجب عليه أن يخطئ، بل أن يبقى في النقاوة. ولكن ما دمت ترغب في أن تتحقّق في من شيء، اسمع ما أقوله لك. لا تفسح المجال للذين آمنوا الآن وسيؤمنون... إني أقول لك أن الإنسان يخطئ خطيّة عظيم إذا وقع في التجربة بعد تلك الدعوة العظيمة الشريفة؛

للإنسان توبة واحدة؛ ولكنّه إذ يخطئ المرّة بعد الأخرى، فالتوبة غير مفيدة... [1].]

ا. يلاحظ هنا أن ملاك التوبة يفتح باب التوبة أمام الساقطين بعد العماد في خطيّة عظيمة، ربّما عني بها جحود الإيمان وقت الضيق والاضطهاد حيث ثارت في الكنيسة مناقشات كثيرة حول إمكانيّة قبول توبتهم؛ لكنّه يضع أمام التائبين فرصة نهائيّة، **فلا تُستغل طول أناة الله ومراحمه للسقوط المتكرّر**.

هنا لا يتحدّث ملاك التوبة عن السقوط في الضعفات التي يئن منها الجميع، إنّما عن خطايا معيّنة تمس إيمان الإنسان أو قدسيّة حياتهم بأكملها...

[2]

ب. تحمل التوبة سمة "الجامعيّة" فلا يُستبعد خاطئ ما منها، لا يستبعد الإنسان الدنس أو الجاحد، وإنّما يستبعد فقط من يصرّ على عدم التوبة.

ج. يلاحظ هنا أن **التوبة تترجم إلى عمل**، أو إلى حياة إيمانيّة عاملة. التائب حجر حيّ تتلقّفه الاثنتا عشر عذراء اللواتي هن: الإيمان والعفّة والقوّة وطول الأناة والبساطة والحب... الخ[3]. أمّا غايتها فهو التمتّع بالعضويّة الكنسيّة الروحيّة، البناء الأبدي القائم على السيّد المسيح الصخرة المتّسعة لكل البشر، والباب المفتوح لكل تائب[4].

د. **التوبة حياة شخصيّة** خفيّة وليست مجرّد ممارسات ظاهرة، هذه الحياة **لا تختبر خارج الحياة الجماعيّة الكنسيّة**... فالمؤمن يبقى حجرًا لا قيمة له، ولا يتغيّر لونه إلى البياض والبهاء ما لم تدخل به العذارى إلى البرج ليصير مع اخوته بناءً مترابطًا وبهيًا.

في المثال ٩ يبرز أنّه لا مكان للمؤمن في البرج أي في الكنيسة بدون توبة، وأيضًا لا خلاص إلاّ بدخول البرج. كأنّه بالتوبة نتمتّع بالحياة الكنسيّة الحقّة، وبالحياة الكنسيّة نخلص من الخطيّة وننعم بحياة القداسة المجيدة.

الإيمان الثالوثي

لم يذكر هرماس قط اسم "يسوع المسيح" بل دائمًا يدعوه ابن الله أو السيّد، كما خلط في المثل التاسع بين الروح القدس وابن الله، إذ يقول له ملاك التوبة: [أريد أن أريك كل ما أظهره لك الروح القدس الذي خاطبك باسم

[1] Commandment 4:3.

[2] Quasten: Patrology, vol. 2, p. 98.

[3] See Command. 9.

[4] Ibid.

الكنيسة، هذا الروح هو ابن الله[٥].]

وفي مثل ٥: ٦: ٥–٧ جعل الروح القدس الخالق متجسّدا...

هكذا حدث لبس في نظرته للثالوث، ما لم يكن الخطأ في النساخة منذ عصر مبكر.

الكنيسة

١. إن كتاب "الراعي" هو دعوة حارة للتوبة، فهو في الحقيقة دعوة للدخول إلى العضويّة الكنسيّة حيث جماعة التائبين المتمتّعين بنعمة الله وعمله الخلاصي. رأينا في المثل التاسع على وجه الخصوص، كيف نزع ابن الله، صاحب البرج، من كنيسته الحجارة غير اللائقة، ولم يقبل عودتها لتكون جزءًا لا يتجزّأ من البناء بطريق آخر غير التوبة العمليّة والمستندة على ابن الله، الصخرة المتّسعة لكل البشر.

٢. الكنيسة – عند هرماس – هي أول المخلوقات، لم يُخلق العالم إلاَّ لأجلنا[٦].

٣. لا يتجاهل هرماس ضعفات الكنيسة، بل يتحدّث عنها بإسهاب في الرؤيا الثالثة، ومع وجود هذه الضعفات كان مملوءًا رجاءً في الله الذي يبني الكنيسة كبرج بسرعة[٧].

٤. تحدّث بطريقة غير مباشرة عن النظام الكهنوتي، فقد مدح محبّة الأساقفة الروحيّين، وفي صراحة وبّخ الكهنة (القسوس) والشمامسة على أخطائهم.

٥. بغض النظر عما للإكليروس من فضائل أو ضعفات فإنّه يتطلّع إلى الكنيسة نفسها كأم للمسيحيّين.

إنّها كأم تنصح أبناءها قائلة: [اسمعوا يا أولادي؛ لقد ربيتكم ببساطة عظيمة وبراءة وقداسة... [٨]]

٦. يتحدّث عن وحدة الكنيسة فيما بينها ووحدتها مع مسيحها، إذ رآها برجًا كما لو كانت حجرًا واحدًا منفردًا[٩]، كما رآها والصخرة القائمة عليها كتلة واحدة[١٠].

المعموديّة

١. لا يتمتّع أحد بالعضويّة الكنسيّة ما لم يتقبّل المعموديّة:

[سألتها: لماذا يُبنى هذا البرج فوق الماء يا سيّدتي؟

[5] Ibid. 9:1:1.

[6] Vision 2:4:1.

[7] Ibid 3:8, 9.

[8] Ibid. 3:9:1.

[9] Command. 9:9:7.

[10] Lebreton, p. 376-377.

فقالت: لقد قلت لك من قبل... إن حياتنا خلصت وتخلص بالماء. للبرج أساس، وأساسه كلمة اسم الله العظيم الممجّد، قائم بقوّة السيّد غير المنظورة[١١].]

٢. تسمى المعموديّة ختمًا

[الذين لا يحملون اسم ابن الله هم أموات، إلاَّ أنّه عندما ينالون الختم يخلعون الموت ويلبسون الحياة. الختم هو ماء المعموديّة، ينزلون في الماء أمواتًا ويخرجون منه أحياء. لقد أُعلن هذا الختم لهم أيضًا فاستخدموه ليدخلوا ملكوت السموات[١٢].]

ويُلاحظ أن العماد هو نزول إلى الماء كما إلى القبر وخروج منه كما بقيامة السيّد المسيح، يتم بالتغطيس لشركة في دفن المسيح وتمتّع بقيامته، كقول الرسول بولس: "فدفنّا معه بالمعموديّة للموت؛ حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة" (رو ٦: ٤).

٣. يرى هرماس أن الرسل والمعلّمين نزلوا إلى الجحيم ليعمّدوا الذين رقدوا في الفضيلة والإيمان بابن الله قبل مجيء السيّد المسيح، ويصيروا معهم حجارة ميّتة في البرج الأبدي... هكذا يرى العماد ضروريًا حتى لرجال العهد القديم الذين ماتوا على رجاء الخلاص... هذه النظرة مبالغ فيها، لكنّها تكشف عن مدى أهميّة المعموديّة في العصر الرسولي للتمتّع بالخلاص.

الأخلاق

١. يقول كواستن Qusaten أنّه جدير بالملاحظة وأمر هام أن هرماس يميّز بين الوصيّة والمشورة؛ الوصيّة تأمر بما يجب الالتزام بها، أمّا المشورة فتعني أن الإنسان يتمّم ما بعد المشورة بمحض إرادته.

[سأظهر لك وصاياه، فإن فعلت ما هو أكثر تنال مجًد أعظم وحظًا أوفر عند الله[١٣].]

من الأعمال التي بها نمارس ما هو أكثر من الوصايا: الصوم والبتوليّة والاستشهاد.

كأن المسيحيّة لا تقف عند حدود معيّنة، أو لا تعرّف للوصيّة حدًا، إذ يشتاق المؤمن أن يُبذل كل يوم في أصوامه، وأن يسمو بمشاعره فيقدّم نفسه بتولاً لا تنشغل إلاَّ بعريسها السماوي؛ ويشتهي أن يموت من أجل من مات عنه.

٢. لكل إنسان ملاكان، ملاك البرّ يحث الإنسان على الحياة الفاضلة من تقوى وطهارة وقداسة... الخ، وملاك الشر يثير فيه الشر. كل من الملاكين يريدان السكنى في القلب؛ الأول أنيس ومتواضع ووديع والثاني

[11] Vision 3:3:5.

[12] Command. 9:16:3, 4.

[13] Ibid 6:2:1-4.

عنيف وبغوض وأحمق[١٤].

٣. يتطلّع هرماس إلى الغنى كعائق في الحياة الروحيّة، بل أحيانًا يقود إلى إنكار السيّد[١٥].

الزواج

في رأيه لا يجوز لأحد الزوجين أن يتزوّج بسبب زنى الطرف الآخر، لكنّه يمكنه أن ينفصل عنه، وإن تاب الطرف الآخر فليقبل توبته[١٦].

يجوز الزواج بعد وفاة الطرف الآخر، وإن بقي الشخص بدون زواج ينال شرفًا عظيمًا ومجدًا أمام السيّد[١٧].

مخطوطات وطبعات "الراعي"

يقول مطران حلب إلياس معوّض [لم يكن الراعي لعام ١٨٥٦م معروفًا إلاّ في ترجمة لاتينيّة يرجّح أنّها من القرن الثاني، وقد طبعت هذه أولاً في باريس عام ١٥١٣م، وفي عام ١٨٥٧م طبعت عن مخطوطة من القرن الرابع عشر ترجمة لاتينيّة ثانية تستند على الأرجح إلى الترجمة الأولى، ويغلب الظن إنّها من القرن الرابع أو الخامس.

أما المخطوطة اليونانيّة "للراعي" فإن أول من وجدها هو قسطنطين سيمونيدس المزوّر وذلك عام ١٨٥٥م، في دير القدّيس غريغوريوس في جبل آثوس. وهذه المخطوطة المنسوخة بخط كثيف هي من القرن الرابع عشر؛ تتألّف من عشر ورقات، والورقة الأخيرة منها مفقودة. انتزع سيمونيدس من ورقات المخطوطة، الخامسة والسادسة والتاسعة، ونقل الورقات الباقيّة باعتناء، ولم يسمّ الدير الذي وجدت فيه. ثم باع الورقات الثلاث الأصليّة مع الورقات المفقودة إلى مكتبة ليبزيغ، وهكذا عرفت التسعة أعشار من المخطوطة اليونانيّة "الراعي"، وقد نشره Anger and Dindorf، في ليبزيغ سنة ١٨٥٦م. ثم أخذ سيمونيدس يطلع على العالم، شيئًا فشيئًا، بمخطوطات جديدة "للراعي" حتى أوصلها إلى عشر مخطوطات، أقدمها ادّعى بأنّه اكتشفها في جبل سيناء عام ١٨٥٢م ويعود تاريخها إلى القرن الأول، وهي بالنتيجة أقدم كل المخطوطات في العالم. ولما كان سيمونيدس قد وعد بإحضار مخطوطة هرماس كما هي، جاءت دائرة الشرطة في برلين، بإشارة من الكساندر ليكورغو أستاذ الجامعه آنذاك، ورئيس أساقفة سيروس، وتينوس فيما بعد، فضبطت غرفته والمواد التي كان يهيئها لتقديم هذه المخطوطة، الأمر الذي اضطره إلى مغادرة المانيا والشخوص إلى انجلترا حيث تابع عمله كخداع. وفي عام ١٨٥٩م نشر في لندن بحثًا بعنوان "القليل من الكثير عن الأب الرسولي هرماس"، ونشر في آخر البحث صورة من مخطوطتين قديمتين من عمله، مستندًا إلى الترجمة اللاتينيّة. على أن Hulgenfeld الذي طبع لهرماس أخذ عن سيمونيدس النهاية المزيفة لكن هارنك بيَّن زيفها. وفي عام ١٨٨٠م صادف أن كان أسبيريدون لأمبروس في دير القدّيس غريغوريوس في جبل آثوس فدرس مخطوطة

[14] Ibid.

[15] Command. 8:8; 1;9:1; 9:20:1; Vision 3:6:5-7.

[16] Command. 4:1:8.

[17] Ibid. 4:4:1-2.

هرماس، ونقل بواسطة مرافقة الورقات الست الباقيّة ونشرها في عام ١٨٨٨م في كمبردج[١٨]، وقدّمت هذه الطبعة ببحث طويل عن كيفيّة وجود المخطوطة، وهكذا اتّضح أن كل ما جاء به سيمونيدس كان منحولاً[١٩].

لعلّ أقدم نسخ أصيلة لكتاب "الراعي" بقايا برديتان بجامعة ميتشيجان Michigan، وهما يعودان إلى أواخر القرن الثالث، يضمان شيئًا من المثلين الثاني والخامس ومن الوصيّة الثانية[٢٠].

كما عثر على الربع من "الراعي" وحتى الوصيّة الرابعة في المخطوطة السينائيّة للكتاب المقدّس Siniaticus التي عثر عليها Codex Tishendorf سنة ١٨٥٩م، وطُبعت في ليبزيغ عام ١٨٦٣م، وهي ضمن ملحقات العهد الجديد.

وجدت في مصر مقاطع من كتاب الراعي على رق الغزال وعلى ورق البردي.

توجد ترجمة قبطيّة وحبشية وفارسيّة للراعي.

[18] A collection of the Athos codex of the shepherd of Hermas together with an introduction by Sp. P. Lampros. Traslated and edited by J. Armitage Robinson, Cambridge 1888.

[١٩] سلسلة آباء الكنيسة: ١- الآباء الرسوليّين، ص ١٧١-١٧٣.

[20] F. L. Cross, p. 27.

الرسالة

إلى ديوجينيتس

The Epistle to Diognetus

يعتبر البعض الرسالة إلى ديوجين أو ديوجنس أو ديوجنيتوس، أو ديوغنيتس ضمن الكتابات الرسوليّة، ويصنّفها البعض ضمن كتابات المناضلين أو المدافعين Apologists، وهي رسالة نفسيّة نجهل كاتبها وتاريخ كتابتها ومكان الكتابة، يكتنفها الغموض. قام بتعريبها چورچ صابر في سلسلة "الأصول المسيحيّة الشرقيّة"، وقد اعتمد في تقديمه لها على ما جاء في سلسلة Source Chétiennes، عام ١٩٥١م لـ H. L. Marou (مجلّد ٣٣)، كثيرًا ما اعتمدت عليها في الرجوع إلى بعض الترجمات الأخرى، خاصة التي باللغة الإنجليزيّة[١].

أهمّيّتها واكتشافها[٢]

غموض كثيف يكتنف هذه الرسالة النفسيّة التي نجهل مؤلفها، وتاريخ كتابتها، والتربة التي نبتت فيها. طُبع هذا المؤلف الوجيز ونُقّح وشرح ما يربو على سبعين مرّة في غضون قرون ثلاثة.

هذه الشهرة النادرة التي قلَّ ما حظي بها كتاب من كتب الأقدمين، تتنافى والصمت المطبق الذي اكتنف الرسالة في تاريخ الآداب المسيحيّة الأولى. فمؤرّخو العلّوم الكنسيّة المشاهير نظير أوسابيوس، وإيرونيموس، وجنّاديوس، وفوتيوس، يجهلونها تمامًا، ولا يأتون على ذكرها مرّة واحدة في جملة ما كتبوا وألّفوا. جلَّ ما نعرف عنها هو إنّها اكتشفت في النصف الأول من القرن الخامس عشر (١٤٣٦)، في حانوت من حوانيت القسطنطينيّة، على يد إكليريكي لاتيني يدعى توما أرزّو، جاء عاصمة الشرق ليدرّس فيها لغة الفلسفة والعلم والحضارة. ثم انتقلت منه إلى راهب دومينيكاني حملها إلى مدينة بازل. وهكذا انسابت من يد إلى أخرى حتى استقرّت، آخر المطاف، في مكتبة ستراسبورج Strasbourg، سنة ١٨٥٩م. وبعد عشر سنوات احترقت هذه المكتبة، واتلفت معها مخطوطات قيِّمة عام ١٨٧٠م، في الحرب الفرانكو باروسيّة Franco-Prussian War، أو الحرب الفرانكو المانيّة Franco-German War. هذا المخطوط من القرن ١٤/١٣، كان قبلاً محفوظًا في دير Alsatian ببلدة Maursmuenster ضمن كتابات القدّيس يوستين الشهيد.

ويشاء حسن الطالع أن يكون أحد علماء ستراسبورج قد سبق ونسخ، بدقّة وأمانة، هذه المخطوطة، سنة ١٨٤٢م، لكي

[١] راجع الترجمة الإنجليزيّة للرسالة في كتاب:

Penguin Classics, Maxwell Staniforth Early Christian Writings, 1986, p. 173-184.

وفقرات منها في الكتب التالية:

H. Musurillo: The Fathers of the Primitive Church, 1966, p. 147-149.

Piere Fraco Batrice: Introduction to the Fathers of the Church, 1987, p. 73-76,

Anne Fremanthe: A Treasury of Early Chirisianity, 1960, p. 46-50.

[٢] الأصول المسيحيّة الشرقيّة: رسائل رعوية ١؛ تعريب وتقديم چورچ صابر، ص ١٩٩ الخ.

تنشر في طبعة عامة لمؤلفّات يوستينوس الشهيد. وقد ظهرت الرسالة في الجزء الثاني منها، عام ١٨٤٣م.

ثم أن عالمًا يدعى روّس كان قد كُلّف، سنة ١٨٦١م، أن يقابل هذه الطبعة بمخطوطة ستراسبورج وينقّحها بدقّة وأمانة، بغية إصدار طبعة جديدة للمجموعة المذكورة. ففعل وأعطى خلاصة بحثه ودراساته، مرفوقة بملاحظات باليوغرافيّة قيِّمة، أُدرجت في هذه الطبعة المنقحة، بأصدق صورة لمخطوطة ستراسبورج التي ذهبت فريسة النار[٣].

شخصيّة مؤلفها

١. جاءت الرسالة تحمل الكثير ممّا ورد في كتابات المناضل أرستيديس Aristides، لكن يبدو أنّه لم يعتمد عليه مباشرة. ومن الجانب الآخر استخدم الكاتب أعمال القدّيس إيريناؤس. علاوة على هذا فإن فصل ٧: ١–٥ يذكرنا بما جاء في القدّيس هيبوليتس[٤]، والفصلان ١١–١٢ هما ملخصا عمل هيبوليتس Philosophoumena. لهذا رأى N. Bonwetsch و R. H. Connoily أن واضع الرسالة هو القدّيس هيبوليتس الروماني[٥].

٢. يعتقد P. Andriessen أن كوادراتوس Quadratus هو واضع الرسالة، وإنّها ليست إلاَّ ذلك الدفاع المفقود له. ومع أن العبارة التي اقتطفها المؤرّخ يوسابيوس[٦] في دفاع عن كوادراتوس غير موجودة في الرسالة إلى ديوغنيتس لكن توجد ثغرة بين العبارتين ٦، ٧ في الفصل السابع للرسالة ويمكن للعبارة التي وردت في يوسابيوس أن تسد هذه الثغرة... المعلومات التي وصلت إلينا عن كوادراتيوس من يوسابيوس وچيروم وفوتيوس وما ورد في Bede عن الاستشهاد ورسالة القدّيس يعقوب المزوّرة والموجّهة إليه جاءت كلّها تتفق مع الرسالة إلى ديوغنيتس[٧].

٣. تدل الرسالة على علاقة قويّة بين كُتابها والقدّيس إكليمنضس الإسكندري، أو أن الكاتب المجهول "يدور في فلك إكليمنضس" على حد تعبير كافكن[٨] على أن بعض الدارسين يروا أن ما هو مشترك بينهما إنّما هو قاسم مشترك في التقليد المسيحي القديم، خاصة في مجموعة المحاماة عن الإيمان، وأن الاثنين لم يعتمد أحدهما على الآخر، إنّما ارتويا من ينبوعٍ واحد مشترك هو التقليد الكنسي.

من هو ديوغنيتس؟

[3] Source Chrêtienne, t. 33, p. 5-8.

[4] Philosoopoumena 10:33.

[5] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 248.

[6] H. E. 4:3:2.

[7] Quasten, vol. 1, p. 248-9.

[8] Zeitschrift für kirchengeschgeschichte, t. XLIII, 1924, p. 350.

من الصعب التعرّف على شخصيّة ديوغنيتس، وتعيّين مركزها الاجتماعي وذلك لكثرة الذين حملوا هذا الاسم في القرون الأولى، إنّما يظهر من الرسالة أنّه شريف قد طلب من صديقه المسيحي أن يخبره عن مفاهيم ديانته وطقوسها.

يرى H. Lietzmann أنّه ربّما يكون معلّم مرقس أوريليوس؛ ويرى هنري مارو H. I. Marou أنّه موظف دولة شغل منصبًا كبيرًا في الإمبراطوريّة الرومانيّة؛ ويرى P. Andriessen أنّه الإمبراطور أدريان Hadrian، أمّا ديوجنيتوس (تعني حامل السماء) هو أحد ألقابه الشرفيّة[9].

جاء في المقدّمة: [أنا عالم يا سيّدي ديوغنيتس، باهتمامك العظيم الذي تظهره لتتعرّف على المعلومات الدقيقة عن الدين المسيحي، لتطلّع على حقيقة الإله الذي يؤمن بي المسيحيّون، والعبادة التي يقدّمونها له؛ وعما يدفعهم إلى احتقار (محبّة) العالم، والاستهانة بالموت.

بأنك تسأل: لِمَ لا يقيم المسيحيّون وزنًا لآلهة يعترف بها اليونانيّون، ولا يعيرون انتباهًا لسفسطات يتشبّث بها اليهود؟ وما هو سرّ الحب العظيم الذي يربطهم بعضهم ببعض؟

كما تود أن تعرف أخيرًا، لِمَ هذا الشعب الجديد – قل : هذا النمط الجديد من الحياة – جاء إلى حياتنا حديثًا فقط عوض ظهوره في أزمنة مبكرة؟]

سماتها

١. تتجلى الرسالة باللطف ورقة العاطفة[١٠]، فهي درة ثمينة[١١] في مجموعة المحاماة عن الإيمان، وشهادة صادقّة للسرّ المسيحي. تتسم بالدقّة في التفكير مع وضوح في التعبير[١٢]، صاغها الكاتب في شكل أسئلة طرحها عليهّ صدّيقه الشريف ديوغنيتس مقدّما إجابة عن هذه التساؤلات.

٢. في حديثة عن سمو المسيحيّة عن الوثنيّة أبرز جانبين:

ا. كيف يمكن للإنسان أن يتعبّد لصنم صنعته يد بشريّة من مادة قابلة للتلف والفناء كما يتعرّض الصنم نفسه للسرقة؟

ب. تمج النفس الذبائح الدمويّة

٣. أبرز سمو المسيحيّة وكمالها عن اليهوديّة بارتفاعها فوق الحرفيات القاتلة من تطهيرات، واهتمام بختان الجسد، كما لا يحمل المسيحيّون كبرياء اليهود واعتدادهم بذاته.

[9] Maxwell Stanifiorth, p. 171.

[10] H. Puech: Hisoire de la literature grecque chrêtienne, t. 2, p. 217.

[11] I. M. Sailer, der Briefan Diognetus, eine Perle de Christlischen Alterthums, Munich, 1900, Apologie, 15-4

[١٢] چورچ صابر، ص ٢٠٧.

٤. كشف عن سمو الحياة المسيحيّة وسلوك المسيحيّين في أيامه، في النقاط التالية:

ا. يُترجم سمو إيمانهم خلال السلوك العملي اليومي.

ب. الإيمان المسيحي **هبة إلهيّة** يسمو فوق العقل لكنّه لا يناقضه، قدّمه الله الكلمة نفسه.

العقيدة التي يدين بها المسيحيّون، ويحيطونها بجليل من العناية، ما كانت قط يومًا من استنباط إنسان، فإن إيمانهم لا يمت بصلة إلى أسرار البشر. أنّه بالحقيقة هبة القدير بالذات، خالق الكل، غير المنظور، عطيّة السماء، فهو الذي جعل الحق بين الناس، أعني كلمته القدّوس غير المدرك، الذي وطَّد الله في قلوب المؤمنين به.]

[إن رب الكون... قد ظهر للبشر في ملء مجيئه... كشف لنا عن قصده في شخص ابنه الحبيب، وأعلن ما أعده لنا منذ البدء.]

[الله لم يبغضنا، ولم ينبذنا، ولم يحقد علينا، بل اتّسم بطول الأناة زمنًا، وحمل أعباءنا، تحنّن علينا، وأخذ على عاتقه وقر خطايانا، وأسلم وحيده فداء عنّا. أجل! لقد أُسلم القدّوس للمجرمين، والبار للأثمة، والصدّيق للمنافقين، والأزلي للمائتين. بمَ كان يمكن أن تُستر آثامنا إن لم يكن ببرّه هو؟ بمن نتبرّر نحن الأثمة إن لم يكن ببرّ ابنه الوحيد؟.]
[لقد ظهر الكلمة وأعلن نفسه للبشر. وإذ لم يفهمه من لم يؤمنوا به، كشف عن سرّه لتلاميذه الذين عرفهم، فآمن به تلاميذه، ونالوا من معرفة أسرار الآب. لهذا جاء كي يعلن ذاته. ولما استهانت به خاصته، حمل الرسل بشارته إلى الأمم فآمنت به.
في البدء كان، وظهر كأنّه جديد، وهو القديم.
ميلاده يتجدّد أبدًا في قلوب قدّيسيه.
أنّه الأبدي ونحن اليوم نعرفه كأنّه جديد!]

ج. المسيحيّون ليسوا، كما يتخيل ديوغنيتس، شعبًا متقوقعًا حول ذاته، يقيم من ذاته دولة لها لغتها الخاصة وعاداتها المستقلّة، إنّما **الإيمان المسيحي هو انفتاح على البشريّة، على خلاف اليهود.**

[لا وطن، ولا لغة، ولا عادات، تميّز المسيحيّين عن سائر البشر. فهم لا يقطنون مدنًا خاصة بهم، ولا ينفردون بلهجة معيّنة...] (٥)

د. طبيعة الكنيسة سماويّة، لكنها تؤمن بالواقع العملي بكونها تعيش على الأرض.
[يقيم كل منهم في وطنه، إنّما كغريب مُضاف...
أنّه في الجسد، ولكنّهم لا يعيشون حسب الجسد.
يصرفون العمر على الأرض، إلاَّ أنّه من مواطني السماء.]

هـ. العالم يضاد الكنيسة لكنّه لا يقدر أن يؤذيها، وتبقى الكنيسة تحب العالم وتخدمه بإخلاص، قد

يسلبها العالم الأمور الزمنيّة لتفتقر، وبفقرها تغني الكثيرين.

[الجميع يضطهدونهم، ويتنكّرون لهم، ويحكمون عليهم، أمّا هم فبموتهم يربحون الحياة.

إنّهم فقراء، وبفقرهم يغنون الكثيرين.

يفتقرون إلى كل شيء، وكل شيء فائض لديهم.]

و. علاقة الكنيسة بالعالم **كعلاقة الروح بالجسد**، مصدر حياتهم، إنّها خميرة المجتمع البشري، والنور الذي يهديه سواء السبيل.

[يقيم المسيحيّون في العالم كما تقيم الروح في الجسد.

الروح منتشرة في أعضاء الجسد انتشار المسيحيّين في مدن العالم.

الروح تقيم في الجسد، إلاّ أنّها ليست من الجسد المنظور...

الجسد يكره الروح ويقاومها، وإن لم ينله منها أذى، سوى أنّها تحول دون انغماسه في حمأة اللذات. والعالم يكره المسيحيّين، لا لأنّهم أساءوا إليه، بل بكونهم يتصدّون لما فيه من شهوات منحرفة فاسدة. تحب الروح الجسد الذي يبغضها، كما يحب المسيحيّون مبغضيهم.

الروح سجينة الجسد، ولولاها لما كان للجسد من حياة، والمسيحيّون موثقون في سجن العالم، ولولاهم لا قيام ولا حياة للعالم] (٦).

ز. يخضع المسيحيّون للشرائع؛ هم مواطنون صالحون، يعملون بنشاط في خدمة بلدهم.

يمتثلون للشرائع القائمة، إلاّ أن نمط حياتهم يسمو كمالاً على الشرائع...

لا يعملون إلاّ الصلاح، ويُعاقبون كالسفلاء(هل من كلمة غير الشتيمة؟؟)، وفي عقابهم يتهلّلون كأنّهم يولدون للحياة.]

ح. تعيش الكنيسة حياة الشركة في كل شيء ما عدا الحياة الزوجيّة، إذ يقول **العلاّمة ترتليان**: [كل شيء مشترك بيننا عدا زوجاتنا[١٣].] وجاء في الرسالة إلى ديوغنيتس: [لأي مسيحي الحريّة أن يشارك طعام قريبه، لكنّه لن يشاركه مضجعه] (٥).

٥. يدعو الكاتب صديقه ديوغنيتس للإيمان.

[الآن، إن رغبت أيضًا أن يكون لك مثل هذا الإيمان، فلتكن لك معرفة الآب كأول درس لك...

تصور أية غبطة سيتدفّق بها قلبك لمعرفته! ولكم تندفع في حب من أحبّك أولاً.

بحبك له تتمثّل بجوده...

إنك ستشجب خداع العالم وضلاله.

يوم تعي حقيقة الحياة المسيحيّة، تزدري بما يسمّونه موت الجسد، لترهب الموت الحقيقي المُعد لمن

[13] Apolology 39:11.

سيُطرحون نهائيًا إلى النار الأبديّة جزاء أعمالهم السيئة. وإنك ستنحني إجلالاً وتعظيمًا أمام من قاسوا عذاب النار هنا لأجل البرّ، وتغبطهم إذ ما كنت على علم بحقيقة النار الأخرى] (١٠).

[لتتحد المعرفة بقلبك، ولتتقبّل حياتك في داخلها الكلمة. وإذا ما نمت هذه الشجرة (شجرة المعرفة) فيك، وجمعت ثمارها، فإنك لا تنفك تجني ما يُرتجى نواله من الله، وما لا تقوى الحيّة على الوصول إليه، ولا الخداع أن يتسلّل إليه. أمّا حواء فإنّها لم تبقَ بعد ضحيّة الإغواء، بل ستظل عذراء، ويُعلن الخلاص] (١٠).

أقسام الرسالة

١. غيرة ديوغنيتس وأسئلته ١.
٢. سموّ المسيحيّة على الوثنيّة واليهوديّة ٢-٤.
٣. سمو الحياة المسيحيّة ٥-٦.
٤. أصل المسيحيّة الإلهي ٧-٨.
٥. ظهورها مؤخّرًا لإظهار عجز الإنسان بذاته ٩.
٦. دعوة ديوغنيتس لقبول الإيمان ١٠.
٧. الفصلان ١١-١٢ – يرى البعض إنّهما دخيلان يخصّان عملاً آخر، ربّما يكون من عمل القدّيس بنتينوس عميد مدرسة الإسكندريّة[١٤]، أو من عمل هيبوليتس الروماني[١٥]، أو ميليتس أسقف ساردس[١٦] Melito of Sardis.

[14] H. B. Swete: Patrsitic Study, 1904, p. 46 n.

[15] Maxwell Staniforth, p. 172.

[16] Edgar Goodspeed: A History of Early Christian Literature, 1966, p. 105.

كوادراتس

Quadratus

يبدو أنّه آسيوي، وقد دعاه البعض Quadratus the Asiatic وأنّه تلميذ للرسل[١].

كوادراتس هو أقدّم المدافعين apologists عن المسيحيّة، ونحن ندين ليوسابيوس القيصري في كل ما نعرفه عنه، إذ يقول:

[وبعد أن حكم تراجان تسع عشرة سنة ونصف، خلفه في الحكم يوليوس ادريان Aelius Hadrian. وقد وجّه إليه كوادراتس حديثًا متضمنًا دفاعًا عن ديننا، لأن بعض الأشرار حاولوا إزعاج المسيحيّين. ولا يزال هذا المؤلف بين أيدي الكثيرين من الاخوة، ولدينا نسخة منه. وهو برهان قوي على ذكائه وأرثوذكسيّته الرسوليّة.

أنّه يظهر التاريخ المبكر الذي عاش فيه، وذلك بكلماته التالية:

"على أن أعمال مخلّصنا كانت دائمًا ماثلة أمامنا، أنّها كانت يقينيّة، فإن الذين شُفوا والذين أقيموا من الأموات لم يُروا فقط وقت شفائهم أو قيامتهم، بل كانوا حاضرين دومًا، ليس فقط حين كان المخلّص على الأرض، بل وأيضًا بعد ذهابه (صعوده)، لأنّه ظلوا عائشين مدة طويلة، وقد عاش بعضهم حتى زماننا نحن"[٢].]

ما جاء في كتاب يوسابيوس هو كل ما وصل إلينا من دفاع كوادراتس. فقد ثبت خطأ نظريّة Harris بينه توجد مقتطفات من هذا الدفاع في الاكلمنضيّات المزوّرة وأعمال القدّيسة كاترين السينائيّة وتاريخ يوحنا مالالاس Malalas ورواية برلعام وجوزاف Romance of Barloram and Joasaph[٣].

قدّم كوادراتس دفاعه للإمبراطور خلال إقامته في آسيا الصغرى في عام ١٢٤/١٢٣م أو في عام ١٢٩م[٤]، وربّما في أثينا عندما زارها الإمبراطور عام ١٢٥م أو مؤخرًا عام ١٢٩م[٥].

من الصعب اعتباره تلميذًا للرسل. هذا ولم يكن القدّيس چيروم[٦] على صواب حين ظنه كوادراتس أسقف أثينا الذي عاش في أيام مرقس أوريليوس.

فكره اللاهوتي

[1] Patrick J. Hamell: Handbook of Patrology, 1968, p. 36; H. Musurillo: The Fathers of the Primimitive Church, 1966, p. 117.

[٢] راجع ترجمة القس مرقس داود، ١٩٦٠م، ص ١٦١.

[3] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 191.

[4] Ibid.

[5] Edgar J. Goodspeed: A History of Early Christian Literature, 1966, p. 96.

[6] Vir. Illust. 9; Ep. 70:4.

من خلال الفقرة الصغيرة التي وصلت إلينا عن طريق يوسابيوس يرى البعض أن كوادراتس كان يقارن بين عمل السيّد المسيح وأعمال الآلهة الوثنيّة، فعمل السيّد المسيح حقيقي وباقٍ أمّا عمل الشيّاطين فهو مؤقت ومملوء خداعًا. هذه الفكرة وُجدت لدى اللاهوتيّين الفلاسفة المعاصرين لكوادراتس[٧].

[7] E. G. Goodspeed, p. 96-97.

الديداكيّة

أو

تعليم الرب للأمم بواسطة الاثنى عشر رسولاً[١]

جاءت كلمة "ديداكيّة" أو "الذيذاخي" Didache عن الحروف اليونانيّة الأولى لعنوان عمل يسمى "تعليم الرب للأمم بواسطة الاثنى عشر رسولاً". يُعتبر أهم وثيقة بعد كتابات الرسل، تكشف لنا عن الحياة الكنسيّة الأولى من كل الجوانب: السلوكي والليتورچي والتنظيمي. كما يقول Quasten: [بين أيدينا ملخّص لتوجيهات تعطينا صورة رائعة للحياة المسيحيّة في القرن الثاني. في الحقيقة نجد هنا أقدم نظام كنسي، نموذجًا قيِّمًا لكل التجمّعات القديمة الخاصة بالنظم والقوانين الرسوليّة؛ هذا النموذج هو بداية القانون الكنسي شرقًا وغربًا[٢].]

ويرى F. L. Cross أن هذا الدليل السلوكي التعليمي والنظام الكنسي هو أهم اكتشاف في حقل أدب الآباء في المائة سنة الأخيرة[٣].

وقد خدمت الديداكيّة الكثير من الأعمال الليتورچيّة والكتابات الخاصة بالقوانين الرسوليّة الدسقوليّة السريانيّة Didascalia والتقليد الرسولي لهيبوليتس Apostolic Tradition والقوانين الرسوليّة Apostolic Consititutions.

كان لها أهميّة خاصة في العصور الأولى حتى حاول البعض ضمها إلى أسفار العهد الجديد، فانبرى الكتَّاب الأوّلون يوضحون عدم قانونيتها، مثل البابا أثناسيوس الإسكندري[٤] والمؤرّخان يوسابيوس[٥] وروفينوس[٦].

وقد استخدم إكليمنضس الإسكندري[٧] وإيريناؤس عبارتين يشتم منها معرفتهما بالديداكيّة، وأيضًا واضع كتاب[٨] De Alatoribus المنسوب لكبريانوس.

على أي الأحوال لم يتعرّف الدارسون الغربيون على الديداكيّة حتى اكتشفها الميتروبوليت فيلوثيؤس برينيوس

[١] راجع كتابنا: قانون أم للرسل – الديداكية، عام ١٩٧٥م.

[2] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 30

[3] F. L. Cross: The Early Christian Fathers, London 1960, p. 8.

[4] Ep. Fest. 39.

[5] Eusebius: H. E. 3:25:4.

[6] Com. in Symb. 38.

[7] Stromata 1: 20, 100.

[8] Ch. 4.

Philotheos Bryynnius مطران نيقوميديا[9] عام ١٨٧٥م ضمن المخطوط القسطنطيني لعام ١٠٥٦م (حاليًا في أورشليم)، وقام بنشرّها عام ١٨٨٣م، فأثار ذلك ضجة في الأوساط العلميّة، خاصة في ألمانيا وانجلترا وأمريكا[١٠] لم يحدث مثلها في أي اكتشاف أدبي سابق.

محتوياتها

ليست الديداكيّة عملاً واحدًا قام أحد الكتاب بتأليفه، إنّما هو تجميع حاول جامعه أن يربط أجزاءه معًا فلم يستطع، فقدّم لنا ثلاثة أعمال مع خاتمة، أو قل ثلاثة أقسام بخلاف الفصل الختامي:

القسم الأول: يمثّل الحياة العمليّة السلوكيّة	فصل ١ – ٦.
القسم الثاني: يمثّل الحياة الليتورچيّة والسرائريّة	فصل ٧ – ١٠، ١٤.
القسم الثالث: يمثّل الترتيبات الكنسيّة	فصل ١١ – ١٥.
الخاتمة: عن بَرُوسيّا الرب أو مجيئه الأخير Parousia	فصل ١٦.

القسم الأول: الحياة العمليّة السلوكيّة

كنا نتوقّع من العنوان "تعليم الرب للأمم بواسطة الاثنى عشر رسولاً" أن تتحدّث الديداكيّة عن العقيدة المسيحيّة والمفاهيم اللاهوتيّة. لكن إذ يخبرنا القدّيس أثناسيوس الرسولي إنّها كانت تستخدم في تعليم الموعوظين قبل عمادهم، كان غايتها تذكير طالبي العماد – بعدما قبلوا الإيمان – أن يعلنوا إيمانهم بأعمالهم، كأنّها تضع لهم دستور الحياة الجديدة التي في المسيح يسوع: حقًا ان المسيحيّة ليست مجموعة أخلاقيات، لكنها إيمان عملي مُعاش، شهادة حيّة لعمل المسيح في حياة المؤمن عمليًا.

استخدمت الديداكيّة نظام "الطريقتين Two ways" يختار الإنسان طريق الحياة أو الموت. هذا الأسلوب استخدمه اليونان في المجامع الهيلينيّة، واستعارته الكنيسة ليتناسب مع طالبي الإيمان الذين من أصل هيليني، لكن بروح مسيحيّة، مستقاة من "الموعظة على الجبل"، وقد استخدمه اليهود أيضًا[١١].

القسم الثاني: الحياة الليتورچيّة

كشفت لنا الديداكيّة عن بعض الطقوس والمفاهيم الكنسيّة للعبادة المسيحيّة:

أ. **المعموديّة:** تتحدّث عن العماد بالتغطيس في ماءٍ جارٍ، أي في الأنهار... هذه العادة كانت قائمة في عصر الرسل وما بعدهم مباشرة.

[9] The MS. Was transferred to the library of the Greek Patriachate at Jerusalem, where it is now (Codes 54).

[١٠] المطران الياس معوض: الآباء الرسوليّون، ص ٥٦.

[11] F. L. Cross, p. 9.

وإذا لم يوجد ماء جارٍ يتم العماد بالتغطيس في ماءٍ آخر، وعند الضرورة يمكن سكب الماء على المعمَّد ثلاث دفعات باسم الثالوث القدّوس.

ومن الاستعدادات اللازمة للسرّ أن يصوم طالب العماد وخادم السرّ ومن الغير ما استطاع – يومين أو يومًا قبل العماد. ولا تزال هذه العادة ساريّة في الكنيسة القبطيّة، إذ يصوم خادم السرّ والإشبين والمعمَّد اليوم الذي يتم فيه العماد.

ب. **الصوم والصلاة:** لكي لا نشترك مع اليهود في أصوامهم – يومي الاثنين والخميس – نصوم يومي الأربعاء والجمعة، على أنّه يليق بنا ألاَّ نصوم أو نصلي برياء.

تأمر الديداكيّة المؤمنين أن يصلّوا الصلاة الربانيّة ثلاث مرّات يوميًا.

ج. **الأفخارستيّا:** سبق معالجة هذا الموضوع بشيء من التوسع في كتاب "المسيح في سرّ الأفخارستيّا[١٢]". ووصلنا إلى أن الفصلين ٩-١٠ يصوّران ليتورچيّا الأفخارستيّا للمعمَّدين حديثًا، والفصل ١٥ يتحدّث عن خدمة الأفخارستيّا العاديّة التي تقام يوم الأحد[١٣].

د. **الاعتراف:** يمارس قبل الاجتماع في الكنيسة (فصل ٤، ١٤)، كما يُلتزم به قبل التمتّع بشركة الأسرار المقدّسة (الأفخارستيّا).

هـ. **الكنسيّات:** الكنيسة في مفهوم واضع الديداكيّة "جامعة"، تضم العالم كلّه، من كل شعب وجنس، ليس فقط الذين آمنوا بل والذين يؤمنون يومًا ما... وهو يطلب الصلاة لكي يجمعها الرب من الرياح الأربع.

أما من جهة الرئاسة الكهنوتيّة فلا يشتم منها افتراض أسقفيّة واحدة رئاسيّة في العالم...

كما ركّز على وحدة الكنيسة وقدسيّتها، رابطًا بين وحدتها ووحدة الخبز الأفخاريستي.

القسم الثالث: الترتيبات والتنظيم الكنسي

تحدّث بشيء من الإطالة عن الإدارة الكنسيّة: الرسل والأنبياء والمعلّمون والأساقفة والشمامسة.

أثار هذا القسم السابق الكثير من الجدل بين الممارستين:

١. يرى Conolly, Vokes أن ما ورد بالديداكيّة من ترتيبات كنسيّة هي من أصل ماني، إذ يعتمد على وجود أنبياء. غير أن هذا الرأي يصعب قبوله إذ لم يرد في الديداكيّة شيء عن ماني وأتباعه، ولا حملت العنف النُسكي الذي تميّزت به هذه البدعة، ولا عارضت الزواج الثاني والتوبة الثانية.

٢. يرى Armitage Robinsony أن الديداكيّة هي تجميع عن صورة الكنيسة الأولى مقتبس عن مصادر رسوليّة. وهذا الرأي أيضًا عليه اعتراضات منها أنّه لو كان هدف الجامع هكذا لما غفل الحديث عن

[١٢] للمؤلف: المسيح في سرّ الأفخارستيا، ١٩٧٣م، ص ٥٦٤ – ٥٧٤.

[13] Vokes: The Riddle of the didache S. P. C. K. 1938.

الأسقفيّة والبتوليّة وظهور الاتجاه الغنوسي أو ما يضاده...

٣. الرأي الراجح نادى به Streeter, Creed, Klauser, Kleist أن الكاتب مجرّد جامع، عكس الترتيبات الكنسيّة والتعاليم الليتورچيّة في الفترة التالية لعصر الرسل. ربّما قام بهذا العمل كاتب بالإسكندريّة حيث جمع بين مخطوطين قديمين وصلا بين يديه، أحدهما عن "الطريقين" مصري الفكر والآخر مجموعة من أحكام الحياة الكنسيّة في نهاية القرن الأول، وقد غيَّر فيهما، ثم وضع الخاتمة (فصل ١٦) من عنديّاتهم، وهي لا تمت بصلة مع بقيّة الديداكيّة.

الخاتمة: بَرُّوسيّا الرب

حملت الديداكيّة ككل الاتجاه الإسخاتولوچي (الأخروي) بصورة واضحة، كغيرها من الكتابات التالية لعصر الرسل... إذ كان الكل يتوقّع سرعة مجيء الرب الأخير.

تظهر هذه السمة في الصلّوات الأفخارستيّة الواردة بالديداكيّة، كما خصص الفصل الأخير الختامي بأكمله عن بَرُّوسيّا الرب مع إشارة إلى علامات المنتهى، والتزامنا قبالته.

كاتب الرسالة وتاريخ كتابتها

رفض الدارسون ما افترضه Deuchesne أن العنوان يوحي بأن كاتبها أحد الرسل. فإن العنوان في جوهره لا يشير إلى ذلك، إنّما يقصد واضع الديداكيّة أن يقدّم بصورة واضحة مختصرًا لتعليم السيّد المسيح للأمم كما علمها الرسل.

وإلى اليوم لم يستطع الدارسون التعرّف على كاتبها، بل اختلفوا في تاريخ كتابتها. فمال الدارسون الإنجليز والأمريكان إلى تحديد كتابتها ما بين عامي ٨٠، ١٢٠م، وظن Bilgenfeld إنّها كتبت ما بين عامي ١٦٠، ١٩٠م، بينما حدّد Brynnius, Harnack تاريخها ما بين عامي ١٢٠، ١٦٠م.

على أي الأحوال رفض الدارسون ما مال إليه القدامى من نسبتها ما بين عامي ٧٠، ٩٠م، ومال الأغلبيّة إلى نسبتها بالشكل الحالي إلى المنتصف الأول من القرن الثاني أو بعد ذلك بقليل[١٤]، دون أن ينكروا وجود بعض فقرات ترجع إلى سنة ٥٠ – ٧٠م.

لا يمكن أن ترجع إلى عصر الرسل للأسباب التالية:

١. لا تحمل أي تلميح عن اليهوديّة – المشكلة الرئيسيّة في عصر الرسل. وإن كانت الفصول الستّة الأولى يهوديّة في طبيعتها، لكنها تحمل فكرًا إنجيليًا تقوم على تعليم السيّد المسيح[١٥].

٢. تجميع مثل هذه القوانين الرسوليّة تعني شيئًا من الاستقرار الكنسي، أي بعد كرازة الرسل.

[14] Richardson: Early Christian Fathers, p 161.

[15] Edgar J. Goodspeed: A History of Early Christian Literature, 1966, p. 12

٣. خلال التفاصيل الواردة بالديداكيّة يظهر أن عصر الرسل انتهى.

٤. اعتمد كثيرًا على إنجيل متى فلا يكون قد جمعها قبل عام ٩٠م.

غير أن الديداكيّة تحمل شهادة داخليّة أنّها جمعت في عصر مقارب جدًا للرسل، نذكر منها:

١. التعميد في ماءٍ جارٍ، وذلك في عهد الرسل والقرن الثاني، كما أن الليتورچيّا الواردة في الفصول ٧ – ١٠ تشير إلى بساطة العبادة التي كانت في القرن الثاني...

٢. بساطة اللغة الزائدة، التي اتّسمت بها كتابات ما بعد الرسل مباشرة. كما أن لغتها تكشف عن التحوّل ما بين كتابات العهد الجديد والكتابات الكنسيّة.

٣. لا نجد بها آثارًا لنص قانون إيمان أو تقنين للعهد الجديد، ولا يزال الأنبياء يقدّسون الأفخارستيّا... الأمور التي تكشف أنّها قبل نهاية القرن الثاني.

٤. جاء وضعها في المخطوط ما بين الرسائل الإكلمنضيّة ورسائل أغناطيوس، ربّما أراد الناسخ أن يشير إلى تاريخها ما بين إكليمنضس الروماني وقبل أغناطيوس، خاصة وأن النظام الكنسي الوارد بها يكشف أنّه سابق لما ورد في رسائل أغناطيوس.

يرى البعض أن الكاتب يهودي منتصر إذ يتحدّث عن بكور المحصولات وعن الأصوام اليهوديّة في يومي الاثنين والخميس، كما يحض على تلاوة الصلاة ثلاث مرّات يوميًا، وأنّه يعرف العهد القديم.

مكان الكتابة

رأى البعض أنّها سوريّة الأصل، وذلك بسبب عل اقتها بالقوانين الرسوليّة Apostolic Constitutions السريانيّة الأصل.

نسبها البعض لفلسطين بسبب غياب تعاليم الرسول بولس.

ونسبها آخرون إلى بلاد اليونان وآسيا الصغرى.

إلاَّ أن كثيرين[١٦] رأوا أنّها مصريّة وذلك للأسباب:

١. تشابهها مع رسالة برناباس (١٠٠ – ١٣٠)، التي استخدمت أسلوب "الطريقين" في الرسالة (فصول ١٨ – ٣٠).

٢. وورد أسلوب "الطريقين" في كتابات مصريّة أخرى مثل "النظام الكنسي الرسولي Apostolic Ch. Order" الذي عرف بالنظام الكنسي المصري[١٧] كما وردت في سيرة الأبنا شنودة (القرن الخامس).

[16] Brynnius, Zahau, Harnack.

[١٧] للمؤلف: المسيح في سرّ الأفخارستيا، طبعة ١٩٧٤م، ص ٥٧٧.

٣. من المحتمل – وليس من المؤكد – أن إكليمنضس الإسكندري عرف الديداكيّة[١٨].

٤. أخذ الأسقف المصري سرابيون (القرن الرابع) مقتطفات منها في صلواته الأفخارستيّة.

٥. كلمات التمجيد الواردة في الصلاة الربانيّة وفي صلاة الأفخارستيّا تقتصر على الكلمتين "القوّة" و"المجد" دون كلمة "الملك". وهذا التمجيد كان شائعًا في مصر أكثر من سواها.

الديداكيّة والكتابات الآبائيّة الأولى

١. رأينا ارتباط الديداكيّة برسالة برنابا في تعليم "الطريقين"، وقد جاءت الآراء المتضاربة: هل أخذت الديداكيّة عن برنابا أم العكس؟ غير أن الرأي السائد أن الاثنين أخذا هذا التعليم من مصدر مستقل شكَّله المسيحيّون بما يليق بالفكر المسيحي، كل واحد حسبما يرى[١٩].

٢. حاول البعض ربط الديداكيّة بكتاب "الراعي" لهرماس، دون أن يصلّوا إلى نتيجة محدّدة، غير أن بعض العبارات جاءت متشابهة في النصّين، لكن لا يوجد إلاَّ عبارتين جاءتا حرفيّتين.

٣. حملت القوانين الرسوليّة Apostolic Constitutions (٧:١–٣٢) أكثر من نصف ما ورد في الديداكيّة. غالبًا بذات الترتيب مع تشابه قوي في العبارات. أمّا العبارات التي لم ترد فعلى أغلب الأحوال كانت قد فقدت ارتباطها بالقرن الرابع[٢٠].

النصوص التقليديّة[٢١]

١. جاء النص باليونانيّة كاملاً في المخطوط الذي اكتشفه Brynnuis كما وردت أجزاء منه باليونانيّة في:

ا. حُفظ شيء من الفصلين الأول والثاني على جزء من برديّة وُجدت في البهنسا Oxyrhynehos بمصر مع هتامات؟؟ عديدة أخرى من السنة ١٨٩٧م وهي تعود إلى القرن الرابع[٢٢]

ب. الفصول الست الأولى جاءت ضمن رسالة برناباس.

ج. الكتاب الثامن من القوانين الرسوليّة .Apos. Cons السوري في القرن الرابع شمل أغلب النص اليوناني للديداكيّة.

٢. النصّان اللاتينيان، أحدهما في مخطوط Melk من القرن التاسع/العاشر، يحوي أجزاء منها، ومخطوط

[18] F. R. M. Hitchcock's article in the Journal of Theological Studies, 1923, 397f.

[19] See Richarson, p. 162.

[20] ANF vol 7, p 373.

[21] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 37-38.

[22] R. H. Connolly: New Fragments of the Didache, Journ. Theol. Stud., 1924, 151-153.

ميونخ (Cod. Monac. Lat. 6264) من القرن الحادي عشر.

٣. وُجد نص قبطي لبعض أجزاء منها. ترجمة القرن الخامس، على بردي بالمتحف البريطاني (٩٢٧)، ورد بالمخطوط صلوات على زيت المسحة، غالبًا ما كان يستخدم في سرّي العماد والمسحة (الميرون).

٤. توجد مخطوطات بها متقطفات لترجمات سريانيّة وعربيّة وأثيوبيّة وچورچية[٢٣].

[٢٣] لغة سكان چورچيا في القفقاس

نص الديداكيّة

١. الطريقان "الدستور الأخلاقي[١]"

تعليم الرب للأمم بواسطة الاثنى عشر رسولاً[٢]

(١)

١. يوجد طريقان: أحدهما للحياة والآخر للموت[٣]

لكن الفرق بين الطريقين عظيم.

٢. طريق الحياة هو هكذا:

أولاً، اَحبِب الله الذي خلقك[٤].

ثانياً، حبّ قريبك كنفسك[٥].

مالا تريد أن يفعله الناس بك لا تفعله أنت بالآخرين[٦]

٣. إليك ما تحمله هذه الأقوال من تعليم:

باركوا لاعنيكم، صلّوا من أجل أعدائكم،

وصوموا من أجل مضطهديكم[٧].

لأنّه أي فضل لكم إن أحببتم الذين يحبّونكم؟

أليس الوثنيّون يفعلون ذلك؟!

أما أنتم فأحبّوا مبغضيكم، فلا يكون لكم عدو[٨].

[١] العناوين والتبويب من وضع المعرب

[٢] غالبًا هذا العنوان هو الأصلي، وقد عرف له عنوان آخر مختصر "تعليم الرسل الإثني عشر".

[٣] في رسالة برناباس طريق للنور والآخر للظلمة.

[٤] تث ٦: ٥.

[٥] لا١٩: ١٨؛ مت ٢٢:٣٧، ٣٩.

[٦] طو٤: ١٥؛ مت٧: ١٢؛ لو٦: ٣١.

[٧] مت٥: ٤٤. الفقرة الأخيرة وردت في القوانين الرسوليّة، لا يعرف مصدرها.

[٨] مت٥: ٤٥ – ٤٧؛ لو٦: ٢٧ – ٣١.

٤. ابتعدوا عن الشهوات الجسديّة[٩] الزمنيّة (العالميّة).

"من لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضًا[١٠]".

وكن كاملاً[١١].

من سخّرك ميلاً فامش معه اثنين[١٢].

من أخذ ثوبك فاعطِه رداءك أيضًا[١٣].

من أخذ مالك فلا تطالبه به، لأنك لا تستطيع[١٤].

٥. كل من سألك فاعطِه بغير مقابل[١٥].

فإن الآب يريد أن يشترك الكل في نَعمْنا.

طوبى للذي يعطي حسب الوصيّة، إذ هو بلا لوم.

ويل لمن يأخذ بغير احتياج.

إن أخذ أحد عن عوز يحسب بلا لوم.

أما إن أخذ عن غير عوز فسيُعطي حسابًا عن السبب والهدف

اللذين من أجلهما أخذ.

أنّه يُلقى في السجن، ويُسأل عن مسلكه،

ولا يخرج من هناك حتى يوفي الفلس الأخير[١٦].

٦. لكن قيل أيضًا في هذا الصدد:

ليبتلّ إحسانك بعرق يديك[١٧]

[٩] ١بط٢: ١١.

[١٠] مت٥: ٣٩؛ لو٦: ٢٩.

[١١] مت٥: ٤٨.

[١٢] مت٥: ٤١.

[١٣] مت٥: ٤٠؛ لو٦: ٢٩.

[١٤] كإنسان مسيحي لا يقدر أن يطلب برد ما أُعطى.

[١٥] لو٦: ٣٠.

[١٦] مت٥: ٢٦.

حتى تعرف لمن تعطي.

(٢)

١. الوصيّة الثانية للتعليم:

٢. لا تقتل، لا تزن،

لا تفسد صبيان، لا تبغ، لا تسرق[١٨]،

لا تمارس السحر ولا تذهب لعرافة،

لا تقتل طفلاً بالإجهاض ولا تقتل طفلاً حديث الميلاد.

لا تشته مال قريبك[١٩].

٣. لا تحلف[٢٠]، ولا تشهد بالزور[٢١].

لا تنطق بكلمة افتراء ولا تحمل حقدًا.

٤. لا تكن متقلب الرأي ولا منافقًا،

فإن النفاق شراك الموت[٢٢].

٥. لا يكن كلامك كاذبًا ولا تنطقه باطلاً.

بل دعِّمه بالعمل.

٦. لا تكن جشعًا ولا طمّاعًا ولا مرائيًا.

لا تكن شرّيرا ولا متكبِّرًا.

لا تفكر سوءًا بقريبك.

٧. لا تبغض أحدًا، لكن انذر البعض وصلِّ لأجل البعض،

[١٧] المصدر غير معروف. ربما كتبه عن التعبيرات المتداولة في ذلك الوقت ألاَّ تقدم المحبّة أو العطاء بغير تمييز.

[١٨] خر٣٠: ١٣–١٥؛ تث٥: ١٧–١٩؛ مت١٩: ٨.

[١٩] خر٢٠: ١٧.

[٢٠] مت٥: ٣٤.

[٢١] مت١٩: ١٨؛ خر٢٠: ١٦.

[٢٢] رسالة برنابا ١٩.

أحبب الآخرين أكثر من نفسك.

(٣)

١. يا بني، اهرب من كل شر، ومن كل ما على شاكلته.
٢. لا تمل إلى الغضب، فإن الغضب يقود إلى القتل.
ولا تكن حسودًا ولا مخاصمًا ولا حاد الطبع.
فإن هذه كلّها تلد الجرائم.
٣. يا بني لا تكن شهوانيًا، فإن الاشتهاء يقود إلى الزنا.
ولا تكن ناطقًا بكلامٍ بذيء، ولا عينيك شرّيرة،
فإن هذا كلّه يلد زنا.
٤. يا بنيّ لا تتفاءل، فإن هذا يقود إلى عبادة الأصنام.
احترس من الرق، ومن حسابات المنجّمين،
ومن الشعوذات التطهيريّة.
ارفض حتى رؤية هذه الممارسات،
فإن هذه كلّها تلد عبادة أصنام.
٥. يا بنيّ لا تكن كاذبًا، فالكذب يقود إلى السرقة.
لا تكن محبًا للمال أو المجد الباطل،
فإن هذا كلّه يلد السرقات.
٦. يا بنيّ لا تتذمّر، فإن هذا يقود إلى التجديف.
لا تكن وقحًا ولا سيئ النيّة،
فإن هذه تلد التجديف.
٧. لكن كن وديعًا، فإن الودعاء يرثون الأرض[٢٣].
٨. كن طويل الأناة، رحيمًا، بلا مكر،
هادئًا، صالحًا، ترهب التعليم الذي تتلقاه[٢٤].

[٢٣] مز٣٧: ١١؛ مت٥: ٥.

٩. لا تتفاخر[٢٥]، ولا تستلم للزهو،

لا تلتصق نفسك بالمتكبّرين بل عاشر الصدّيقين والمتواضعين.

١٠. تقبّل الأحداث التي تحل بك كأنّها خير،

عالمًا أنّه ليس شيء يحدث بدون إذن الله[٢٦].

(٤)

١. يا بني تذكّر ليلاً ونهارًا ذاك الذي يحدثك بكلام الله[٢٧].

اكرمه كما تكرم الرب[٢٨].

لأنّه حيث يكرز بالتعليم الربّاني يكون الرب موجودًا.

٢. اسع يومًا فيوم نحو القدّيسين لتجد في كلامهم تعزية.

٣. لا تثر انقسامات، بل وطّد السلام بين المتخاصمين.

احكم بالعدل لا تنظر الوجوه في انتهارك المعاصي[٢٩].

٤. لا تتردّد في قرارك بين هذا وذاك.

٥. لا تبسط يديك للأخذ وتطبقهما عند العطاء[٣٠].

٦. إن كنت تملك شيئًا من تعب يديك فقدّم عنقًا عن خطاياك (بالعطاء).

٧. لا تتردّد في العطاء،

وإذا أعطيت فلا تتذمّر،

فستعرف من هو المجازي خيرًا.

[٢٤] إش٦٦: ٢، ٥.

[٢٥] لو١٨: ١٤.

[٢٦] مت١: ٣٩.

[٢٧] عب١٣: ٧.

[٢٨] مت١٠: ٤٠.

[٢٩] تث١: ١٦-١٧؛ أم٣١: ٩.

[٣٠] حكمة سيراخ ٤: ٣١.

٨. لا تصرف محتاجًا،

اقتسم كل شيء مع أخيك.[٣١]

ولا تقل أن لك مالاً خاصًا بك.

فإن كنتم تقتسمون الخيرات الخالدة فكم بالحري الفانيات؟[٣٢]

٩. لا ترفع يدك عن ابنك أو ابنتك،

بل علمهما مخافة الله منذ نعومة أظافرهما.

١٠. لا تنتهر (بمرارة) عبدك أو أمتك.

اللذين يترجان الله إلهك.

لئلا يفقدا مخافة الله، الذي هو فوق الكل[٣٣]، وليس عنده

محاباة الوجوه، بل يدعو من هيّأهم الروح.

١١. وأنتم أيها العبيد أطيعوا سادتكم في تواضع ومخافة كما لله[٣٤]

١٢. ابغضوا كل رياء وكل ما لا يرضي الرب.

١٣. لا تترك وصايا الرب، بل احفظها كما تسلّمتها بغير زيادة أو نقص[٣٥].

١٤. اعترف بمعاصيك في الجماعة،

ولا تقترب الصلاة بضمير شرّير.

هذا هو طريق الحياة.

(٥)

١. أما طريق الموت فهكذا:

أولاً، أنّه شرّير، مملوء لعنة:

قتل، زنا، شهوات، فجور، سرقة، عبادة أصنام، أعمال سحر،

[٣١] أع٤: ٣٨.

[٣٢] رو١٥: ٢٧.

[٣٣] أف٦: ٩.

[٣٤] أف٦: ٥؛ كو٣: ٢٢

[٣٥] تث١٣: ٣١.

عرافة، اغتصاب، شهادة زور،

رياء، نفاق، خداع، كبرياء،

إساءة، قُحّة؟؟؟، طمع، كلام باطل، حسد،

عجرفة، ترف، افتخار.

٢. مضطهدوا الخير، مبغضوا الحق، محبوا الكذب،

لا يعرفون مكافأة البرّ،

غير ملتصقين بالصلاح[٣٦] ولا بالحكم العادل،

يسهرون لا على صنع الخير بل فعل الشر،

بعيدون عن الوداعة والصبر،

محبّون للأباطيل، مطاردون المكافأة،

لا يرحمون الفقير، ولا يعملون من أجل الحزين،

لا يعرفون خالقهم،

قاتلوا أطفال، ومفسدوا خليقة الله،

يتحوّلون عن المحتاج، ويظلمون الحزانى،

يدافعون عن الغني ويحكمون بالظلم على الفقير،

أنّهم خطاة تمامًا.

أيها الابناء، تحرّروا من هذه كلّها.

(٥)

١. احذر أن يضلّك أحد عن هذا الطريق للتعليم،

أنّه يعلّمك خارجًا عن الله.

٢. إذا استطعت أن تحمل كل نير الرب تصبح كاملاً[٣٧].

أما إذا لم تستطع فافعل قدر ط اقتك.

[٣٦] رو١٢: ٩

[٣٧] مت١١: ٢٩-٣٠؛ ١٩: ٢١.

٣. أما عن الطعام، فاحتمل قدر استطاعتك،

وامتنع عما قدّم للأوثان تمامًا، فإنّها عبادة لآلهة ميّتة[٣٨].

٢ – الحياة الليتورچيّة والسرائريّة

العماد

(٧)

١. أما عن العماد، فعمِّدوا هكذا:

بعدما تعلّمون كل ما تقدّم،

عمِّدوا باسم الآب والابن والروح القدس[٣٩] بماء جارٍ (حيّ).

٢. فإذا لم يكن هناك ماء جارٍ فعمِّد بماء آخر.

إذا لم تستطع أن تعمد بماء بارد فعمِّد بماء دافيء.

٣. إذا كنت لا تملك كليهما فاسكب الماء[٤٠] فوق الرأس ثلاثًا،

باسم الآب والابن والروح القدس.

٤. قبل العماد، فليصم المعمَّد والمعمِّد ومن من الغير يستطيع.

أوصي من يريد أن يعتمد أن يصوم يومًا أو يومين قبل العماد.

الصوم والصلاة

(٨)

١. لا تصوموا مع المرائين[٤١]،

فإنّه يصومون اليوم الثاني واليوم الخامس من الأسبوع،

أما أنتم فصوموا الرابع (الأربعاء) والاستعداد (الجمعة)[٤٢].

[٣٨] أع١٥: ٢٩؛ ١كو١٠: ٢٥-٢٨

[٣٩] مت٣٨: ١٩.

[٤٠] هنا سكب الماء على الرأس جائز عند ندرة وجود الماء، سمحت به الكنيسة فيما بعد في حالة المرض الشديد، حيث يعجز المريض عن النزول إلى المعموديّة، يسميه البعض Clinical Baptism

[٤١] مت٦: ١٦.

[٤٢] ذكرت "القوانين الرسوليّة" سبب اصوم يومي الأربعاء والجمعة، انهما يوما الخيانة والدفن.

٢. لا تصلّوا كالمرائين[٤٣]،

بل كما أمر الرب في إنجيله، صلّوا هكذا:

"أبانا الذي في السموات،

ليتّقدس اسمك،

ليأت ملكوتك،

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض،

خبزنا اليومي (الضروري) أعطنا اليوم،

واترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمن لنا عليهم،

ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجّنا من الشرّير.

لأن لك القوّة والمجد إلى الأبد[٤٤]".

٣. صلّوا هكذا ثلاث مرّات في اليوم[٤٥].

الأفخارستيّا

(٩)

١. بخصوص الأفخارستيّا، يقدّم الشكر هكذا:

٢. أولاً: بخصوص الكأس:

نشكرك (يوخاريستيت)، يا أبانا.

من أجل الكرمة المقدّسة التي لداود خادمك،

لقد أعلنتها لنا بيسوع ابنك (خادمك)[٤٦].

كان اليهود يصومون الاثنين والخميس.

يوم الاستعداد هو الجمعه، حيث كان اليهود يستعدّون للسبت (الراحة) (مت٢٧: ٦٣).

[٤٣] مت٦: ٥.

[٤٤] مت٦: ٥، ٩–١٣.

[٤٥] دا ٦: ١٠.

المجد لك إلى أبد الدهور.

٣. ثم بخصوص الخبز (كلازما)[٤٧] المكسور.

نشكرك يا أبانا،

من أجل الحياة والمعرفة.

اللتين أعلنتهما لنا بيسوع ابنك،

المجد لك إلى أبد الدهور.

٤. كما أن هذا الخبز المكسور،

كان مرّة مبعثرًا على التلال.

وقد جمع ليصير (خبزًا) واحدًا،

كذلك اجمع كنيستك، من أقاصي الأرض، في ملكوتك!

لك المجد والسلطان بيسوع المسيح أبد الدهور.

٥. لا يأكل أحد أو يشرب من أفخارستيك (ذبيحة شكرك)،

إلاَّ الذين عمّدوا باسم الرب.

ففي هذا يقول الرب "لا تعطوا القدس للكلاب[٤٨]".

(١٠)

١. بعدما تشبعون[٤٩]، اشكروا هكذا:

٢. نشكرك أيها الآب القدّوس،

من أجل اسمك القدّوس،

الذي أسكنته في قلوبنا،

ومن أجل ما أعلنته لنا، من معرفة وإيمان وخلود.

[٤٦] الأصل اليوناني (بايس) يتذبذب بين المعنيين "ابن" و "خادم" وقد فضل البعض "خادم" متأملين في التسابيح الواردة في إشعياء النبي عن "خادم أو عبد الرب المتألم" – المسيح في سرّ الأفخارستيا، ص ٥٧١.

[٤٧] أي خبز مختمر.

[٤٨] مت٧: ٦.

[٤٩] أو تكتفون.

بيسوع ابنك،

المجد لك إلى أبد الدهور.

٣. أنت، أيها السيّد القدير،

خلقت الكون للإشادة بذكر اسمه،

وأعطى البشر الغذاء والشراب والتلذّذ حتى يشكروه.

ولكنك كافأتنا نحن بغذاء وشراب روحيّين،

وبالحياة الأبديّة.

بيسوع ابنك.

٤. نشكرك فوق كل شيء، لأنك قدير،

المجد لك إلى أبد الدهور. آمين.

٥. أذكر يا رب كنيستك،

خلّصها من كل شر واجعلها كاملة في حبك،

اجمعها من الرياح الأربع،

هذه الكنيسة التي تقدّسها في ملكوتك الذي أعددته لها.

لك السلطان والمجد إلى أبد الدهور. آمين.

٦. تعال أيها الرب[٥٠].

وليعبر هذا العالم. آمين.

أوصنا لإله داود!

من كان مقدّسًا فليقترب،

ومن لم يكن هكذا فليتب!

ماران آثا[٥١]. آمين.

٧. اتركوا الأنبياء يشكرون كما يريدون[٥٢]

[٥٠] النص القبطي: "لتأت النعمة"

[٥١] تعبير آرامي يعني "تعال أيها الرب".

٨. (بخصوص العطور، أشكروا هكذا:

أيها الآب، نشكرك على العطر الذي عرفناه به بواسطة يسوع ابنك،

لك المجد إلى الأبد. آمين[٥٣]).

٣ – الترتيبات والتنظيمات الكنسيّة

المعلّمون والرسل والأنبياء [٥٤]

(١١)

١. من جاء وعلّمكم بكل ما سبق اقبلوه،

٢. أما إذا عاد المعلّم يعلّمكم تعليمًا مغايرًا بقصد الهدم فلا تسمعوا له[٥٥]

أما إذا (علم) هكذا: أن يزيد البرّ وتزيد معرفة الرب،

فاقبلوه كما للرب.

٣. أما عن الرسل والأنبياء،

فتصرفوا بحسب تعليم الإنجيل، هكذا:

٤. اقبلوا كل رسول يأتيكم كالرب[٥٦].

٥. غير أنّه يجب إلاَّ يمكث أكثر من يوم،

وعند الضرورة يبقى يومًا آخرًا،

إذا بقي ثلاثة أيام فهو نبي كاذب.

٦. عند انصرافه لا يقبل إلاَّ ما يكفيه من خبز إلى أن يجد له مأوى،

أما إن طلب مالا فهو نبي كاذب.

٧. لا تجرِّبوا ولا تنتقدوا نبيًا يتكلّم بالروح،

[٥٢] راجع "المسيح في سرّ الأفخارستيا" ص ٥٤٩ عن مدى حرية الأسقف في تشكيل ليتورچية الأفخارستيا، في نطاق الخطوط الرئيسيّة التقليديّة.

[٥٣] عن النسخة القبطيّة.

[٥٤] ربّما يقصد بالأنبياء هنا جماعة الوعّاظ أو الكارزين، برتبة الأسقفيّة.

[٥٥] ٢يو ١٠.

[٥٦] مت١٠: ٤٠.

لأن كل خطيّة تغفر إلاَّ هذه الخطيّة[٥٧].

٨. لكن ليس كل من يتكلّم بالروح نبيًا،

بل الذي يسلك طرق الرب.

من سلوكهم يعرف النبي الكاذب من النبي الحقيقي.

٩. كل نبي يأمر بإقامة مائدة في الروح[٥٨]، إن لم يأكل منها فهو نبي كاذب.

١٠. كل نبي يتكلّم بالحق، إن لم يمارس ما يعلّم فهو نبي كاذب.

١١. كل نبي مجرَّب بحق،

يعمل سرّ الكنيسة في العالم.

ومع ذلك لا يعلّم الآخرين أن يفعلوا ما يصنعه هو،

لا يدان منكم بل دينونة من الله.

فإنّه هكذا تصرّف الأنبياء القدماء.

١٢. لكن من يقول بالروح: اعطني مالاً أو شيئًا آخر،

فلا تسمعوا له.

أما إذا طلب من أجل الآخرين المحتاجين فلا تدينوه.

(١٣)

١. كل من يأتيكم باسم الرب اقبلوه[٥٩]

بعد ذلك اختبروه واعرفوه،

لتميّزوا اليمين من اليسار.

٢. فإن كان الآتي عابر سبيل أعينوه قدر استطاعتكم،

ولا يبقى عندكم أكثر من يومين أو ثلاثة عند الضرورة.

٣. إذا أراد أن يمكث عندكم كصاحب مهنة فليعمل ليأكل[٦٠].

[٥٧] ربّما قصد التجديف على الروح القدس (مت١٢: ٣١).

[٥٨] ربما قصد ولائم محبّة، أو لعله يقصد أن ينادي بتعليم روحي ولا ينفّذه.

[٥٩] مت٢١: ٩؛ مز١١٧: ٢٦.

٤. أما إذا لم يكن صاحب حرفة،

فوجّهوه أنتم لكيلا يعيش بينكم كمسيحي عاطلاً.

٥. إذا لم يرد أن يعمل فهو متاجر بالمسيح[٦١]، احترزوا من أمثاله.

(١٣)

١. كل نبي حقيقي يريد البقاء معكم "يستحق طعامه[٦٢]".

٢. كذلك المعلّم الحقيقي يستحق كالعامل طعامه.

٣. خذ باكورة نتاج معصرتك وبيدرك ومواليد أبقارك وأغنامك وقدّمها للأنبياء، لأنّهم رؤساء كهنتك.

٤. إن لم يكن لكم نبيًا، فاعطه للفقراء.

٥. إن خبزت، فقدّم باكورته حسب الوصيّة.

٦. إذا فتحت وعاء خمرك أو زيتك، إعط باكورته للأنبياء.

٧. كذلك مالك (فضتك) وثيابك وكل ممتلكاتك،

خذ الباكورة – كما تحسن في عينيك – وقدّمها حسب الوصيّة.

(١٤)

١. في يوم الرب اجتمعوا معًا لتكسروا الخبز وتشكروا،

لكن أولاً اعترفوا بخطاياكم لكي تكون ذبيحتكم طاهرة.

٢. على أي الأحوال، من كان على خلاف مع أخيه فلا يشترك في

اجتماعكم قبل أن يتصالح،

فلا تكن ذبيحتكم مدنّسة.

٣. لأن هذا ما قاله الرب

"في كل مكان وزمان، تقرّب لأسمى تقدمة طاهرة،

لأني ملك عظيم، يقول الرب، واسمي مهيب بين الأمم[٦٣]".

[٦٠] ٢تس٣: ١٠.

[٦١] ١تي٦: ٥.

[٦٢] مت١٠: ١٠؛ ١كو٩: ٧–١٤؛ ١تي٥: ١٨.

[٦٣] ملا١: ١١، ١٤.

(١٥)

١. أقيموا لكم أساقفة وشمامسة جديرين بالرب،
رجالاً ودعاء، غير محبّين للمال،
مستقيمين ومجرّبين،
فإنّهم يقومون عندكم بخدمة الأنبياء والمعلّمين.
٢. لا تحتقروهم لأنّهم الرجال المكرّمون بينكم مع الأنبياء والمعلّمين.
٣. وبخوا بعضكم بعضًا لا بحدّة بل بسلام كقول الإنجيل[٦٤]،
إذا أهان أحد قريبه فلا يكلّمه أحد ولا يسمع منكم كلمة حتى يتوب.
٤. أقيموا صلواتكم وقدّموا صدقاتكم وافعلوا كل شيء حسب إنجيل ربّنا.

٤. بَرُّوسيّا الرب

(١٦)

١. اسهروا على حياتكم،
ولا تدعوا مصابيحكم تنطفئ،
ولا أحقاءكم تنحل،
بل كونوا مستعدّين دائمًا لأنكم لا تعرفون الساعة التي يأتي
فيها ربّنا[٦٥].
٢. يليق بكم أن تجتمعوا دائمًا وتطلبوا ما يخص نفوسكم،
لأنّه لا ينفعكم طيلة زمان إيمانكم إن لم تكونوا كاملين في اللحظة الأخيرة.
٣. ففي الأيام الأخيرة يكثر الأنبياء الكذبة والمفسدين،
وتتحوّل النعاج إلى ذئاب[٦٦]، والمحبّة إلى كراهيّة[٦٧].

[٦٤] مت٥: ٣٢-٣٦؛ ١٨: ١٥.

[٦٥] لو١٢: ٣٥؛ مت٢٤: ٤٢.

[٦٦] مت٧: ١٥.

٤. إذ يزداد الإثم يكره الناس بعضهم بعضًا،
ويضطهدون بعضهم بعضًا،
ويطردون بعضهم بعضًا[٦٨]،
عندئذ يظهر مضلّل العالم[٦٩] كابن الله[٧٠].
ويصنع آيات وعجائب[٧١]
وتصبح الأرض في قبضة يديه،
ويرتكب آثامًا لم يحدث مثلها منذ البدء.
٥. عندئذ تدخل الخليقة نار الاختبار،
ويتعثّر كثيرون ويهلكون.
أما الذين يثبّتون في إيمانهم فيخلصون[٧٢] من اللعنة.
٦. عندئذ تظهر علامات الحق:
أولاً علامة السموات مفتوحة
ثم علامة صوت البوق[٧٣]
ثالثًا قيامة الموتى، ليس جميعهم.
٧. لكن كما قيل: سيأتي الرب ومعه جميع قدّيسيه[٧٤]،
وسينظر العالم الرب آتيًا على سحب السماء[٧٥].

[٦٧] مت٢٤: ١٢.

[٦٨] مت٢٤: ٨-٩.

[٦٩] رؤ١٢: ٩.

[٧٠] ٢تس٢: ٤.

[٧١] مت٣٤: ٢٤.

[٧٢] مت٣٤: ٨-٩.

[٧٣] مت٣٤: ٣١.

[٧٤] زك١٤: ٥.

[٧٥] مت٣٤: ٣٠.

بدء الأدب المسيحي الآبائي

====كتابات الآباء الرسوليّين